المجموع المفيد

في

نقض القبورية ونصرة التوحيد

تأليف وجمع

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الأستاذ المشارك بجامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار أطلس للنشر والتوزيع

فهـــرس المحتويـــات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤٤٩
المبحث الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية	٤٥٤
المبحث الثاني: أقسام الشرك عند بعض علماء المالكية	٤٥٧
المبحث الثالث: سد الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية	٤٦١
المبحث الرابع: نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية	٤٦٨
الخاتمة	٤٧٧
• **بيان الشرك ووسائله عند علماء الشافعية**	٤٧٩
المقدمة	٤٨١
أضرار الشرك ومفاسده	٤٨٤
المبحث الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء الشافعية	٤٨٨
المبحث الثاني: بيان أنواع الشرك عند بعض علماء الشافعية	٤٩١
المبحث الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية حماية لجناب التوحيد	٤٩٤
المبحث الرابع: نماذج من الشرك التي حذر منها علماء الشافعية	٥٠١
الخاتمة	٥١٠
• **بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة**	٥١١
المقدمة	٥١٣
المبحث الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء الحنابلة	٥١٧
المبحث الثاني: أقسام الشرك عند بعض علماء الحنابلة	٥١٩
المبحث الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها بعض علماء الحنابلة	٥٢٦
المبحث الرابع: نماذج من الشرك التي ذكرها وحذر منها علماء الحنابلة	٥٢٩
الخاتمة	٥٤١
ـ القسم الرابع: الشرح الميسر لثلاث رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي	٥٤٧
• **الرسالة الأولى: معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه**	٥٤٩
الفصل الأول: أول واجب على الإنسان	٥٥١
الفصل الثاني: معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله	٥٥٤

الموضوع	الصفحة

المقـــدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[3].

وبعد:

فإن الأمة الإسلامية كما نرى أصبحت في ذلة، وأصبحت مطمعاً للأمم من حولها، وما ذاك إلا بسبب انتشار الفساد والانحراف عن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠ ـ ٧١).

(٣) سورة النساء، الآية (١).

منهج الله تعالى، سواء في أبواب العقائد، أو في الأحكام أو غير ذلك.

وقد فتك بالأمة داء عضال، أصبح لا يكاد يدع قرية ولا مدينة ولا بلداً إلا دخلها، وأفسد على أهلها دينهم ـ إلا من شاء الله تعالىٰ ـ وهو داء الغلو في الصالحين المقبورين، وتعظيمهم، والتقرب إليهم، وطلب الحوائج منهم وغير ذلك.

ولما كان انتشار هذا الداء مصادمة صريحة لأصل دعوة التوحيد، دعوة الرسل جميعاً، وهو شرك بالله تعالىٰ إذ إن فيه صرفاً للعبادة لغير الله تعالىٰ، مستحقها دون سواه.

وقد طم هذا البلاء حتىٰ دخل على كثير من المنسوبين للعلم في معظم أقطار الأرض ففتنوا به، وأجازوه، بل ودخلوا المساجد التي فيها أضرحة، وقعدوا يدرسون فيها، كأنهم يريدون إقرار القبورية على ما هم عليه، ولم ينكروا ما يرونه حولهم من مظاهر الشرك والوثنية القبورية المحرمة.

ورغم ذلك فإن الله تعالى يؤيد دينه بالعلماء المخلصين الذين يحذرون الناس من الشرك ووسائله، ويدعون الناس إلى منهل التوحيد العذب الصافي ومن أبرزهم في مجال الرد على القبورية وتفنيد حججهم ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً، كما أن هناك جهوداً أخرىٰ كثيرة لغير علماء الحنابلة في هذا المضمار.

وقد أحببت أن أوضح وأبرز جهود علماء المذاهب الأخرىٰ في هذا الباب حتى لا يظن ظان أن الحنابلة وحدهم هم المتصدون لهذا الباب، وقد قسمت البحث إلى أربعة أقسام:

القسم الأول:

في كشف شبهات القبورية، وما يبدو وكأنه أدلة لهم على صنيعهم.

وفيه ثلاثة كتب:

١ ـ كشف الشبهات للشيخ ابن عبد الوهاب مع شرح له.

٢ ـ المِنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل. لمؤلف هذا الكتاب.

٣ ـ التنبيهات السنية على الهفوات في المواهب اللدنية للقسطلاني ـ لمؤلف هذا الكتاب ـ.

القسم الثاني:

وفيه نماذج لكتب لأهل العلم من غير الحنابلة في بيان زيارة القبور الشرعية والشركية. وفيه أربعة كتب:

١ ـ زيارة القبور الشرعية والشركية لمحيي الدين البركوي الحنفي.

٢ ـ المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية لمحمد سلطان المعصومي الحنفي.

٣ ـ حكم الله الواحد الصمد في الطالب من الميت المدد لمحمد سلطان المعصومي الحنفي.

٤ ـ مجالس الأبرار لأحمد الرومي الحنفي.

القسم الثالث:

ويتعلق ببيان الشرك ووسائله والتحذير منه عند أهل العلم من المذاهب الأربعة. وفيه أربعة كتب، جميعها لمؤلف هذا الكتاب، وهي:

١ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنفية.

٢ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية.

٣ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الشافعية.

٤ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة.

القسم الرابع:

شرح ثلاث رسائل للإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في التحذير من الشرك وبيان التوحيد، وهي:

١ ـ رسالة الطاغوت.

٢ ـ رسالة التوحيد.

٣ ـ رسالة القواعد الأربع.

وأسأل الله أن أكون قد وفقت في عملي هذا لخدمة العقيدة السلفية الصافية والدفاع عنها، ورد شبهات أهل الإلحاد من القبورية وأشباههم، وأن يجعل عملي هذا صالحاً، ويثقل لي به موازين الحسنات، هو ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

تمهيد
القبورية
(تعريفها ـ نشأتها ـ تطورها)

(أ) تعريف القبورية:

القبورية نسبة إلى القبور، وأصحابها يسمون: القبوريون، والقبورية، وغير ذلك. وقد أطلق عليها هذه التسمية بالنسبة إلى أن أتباعها يغلون في أصحاب القبور من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فيعكفون على قبورهم، ويعظمونها، ويصرفون لهم أنواعاً من العبادات التي لا تنبغي إلا لله وحده فأشركوهم مع الله في العبادة، أو اتخذوهم وسائط بينهم وبين الله تعالىٰ كفعل الوثنيين من السابقين الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[١] وزعموا أنهم يشفعون لهم عند الله تعالىٰ كما حكىٰ سبحانه عن الكافرين فقال: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢] بل وإن غلاتهم بلغ من شدة تعظيمهم للقبور أن نسبوا إلىٰ أهلها التصرف في الملك، والنفع والضر، وعلم الغيب ونحو ذلك، وكل هذا شرك أكبر مخرج من الإسلام، ومناقضة صريحة وواضحة لدعوة الرسل الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٢) سورة يونس، الآية: (١٨).

(ب) نشأة القبورية:

كان الناس فيما بين آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ مسلمين على دين التوحيد، وذلك كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١] وكما في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...»[٢].

ثم إنهم كان فيهم رجال صالحون منهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فلما ماتوا أتى الشيطان إلى أقوامهم وأوحى إليهم أن يرفعوا قبورهم ويبرزوها حتى يذكروهم فيقتدوا بهم، فلما هلك هذا الجيل، أتى إلى الجيل الذي يليه، وأوحى إليهم أن ينصبوا لهم أنصاباً، ويصنعوا لهم تماثيل، حتى يتذكروهم حين عبادتهم، ثم طال عليهم الأمد حتى عبدوهم من دون الله، وصرفوا لهم أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى، وقد ذكر هذا ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[٣] فكان هذا الحدث منهم هو بداية تعظيم القبور والغلو فيها، وصرف العبادة لها من دون الله، ولم تكن قد عرفت هذه الدعوة قبل ذلك.

واستمرت مظاهر القبورية في كل أمة، وفي كل زمان ومكان، رغم زعم البعض أن هذا شرك بدائي لم يوجد إلا في الأولين فقط، لكنه في الحقيقة كان ولا زال موجوداً في كل مكان وزمان، ولهذا اشتد تحذير الأنبياء جميعاً من الغلو في أهل القبور، ورفعهم فوق

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

(٣) سورة نوح، الآية (٢٣). وأثر ابن عباس ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه برقم ١٨٧٣ وغيره.

منزلتهم، فإن هذا ذريعة وباب للإشراك بالله تعالى.

(جـ) تطور القبورية:

إن قبورية قوم نوح عليه السلام هم سلف كل قبورية، وهم أصلهم، ومَنْ بعدهم تبع لهم في هذا الأمر. وانتشرت القبورية في بلاد الهند، والترك، والبربر، والعرب، وغيرهم على ما ذكر أهل العلم، لم تسلم منها أمة من الأمم، وانتشر هذا الفعل جداً بين اليهود والنصارى، خصوصاً في حق أنبيائهم، ومن ثم دعا عليهم النبي ﷺ ولعنهم، وقال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)]، يحذر ما صنعوا.

وانتشرت القبورية جداً بين العرب، ثم أصبحت وثنية، فإنهم كانوا يعبدون الصالحين وصورهم دون قبورهم وأحجارهم وعظموهم جداً، وكان في كل قبيلة صنم يعبدونه ويصرفون له العبادة من دون الله تعالى كاللات والعزى وهبل ومناة وذي الخلصة، وغير ذلك كثير.

ومما يدل على انتشار القبورية بين سائر الأمم السابقة قوله ﷺ: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[(٢)] فدل على أن هذا الداء كان منتشراً في كل أمة قبلنا، وما زال موجوداً حتى اليوم، بل وهو مستفحل جداً رغم ما يزعمه البعض من أنه ليس له وجود حالياً.

بل وقد ذكر الرازي (٦٠٦هـ) (أن تلاميذ أرسطو من الفلاسفة كانوا إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض)[(٣)].

(١) البخاري (٧/ ٧٤٧ ح ٤٤٤٣) ومسلم (١/ ٣٧٧ ح ٥٣١) عن عائشة وابن عباس.
(٢) مسلم (١/ ٣٧٧ ح ٥٣٢) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٢٠) من حديث جندب بن عبد الله.
(٣) المطالب العالية (٧/ ٢٢٨) والرق المنشور للنيلوي (٩٣).

وظهرت في الإسلام فرق الباطنية المتعددة. وهم من أكثر الناس ولعاً وشغفاً بالأضرحة والقبور والمشاهد حتى ألف بعضهم كتاباً سماه: (مناسك حج المشاهد) فجعلوها هي الحج الحقيقي دون الحج إلى مكة.

وفشا تعظيم القبور واستمدادها واللجوء إليها، فشا جداً بين أصحاب الطرق الصوفية في القرون الأخيرة حتى أصبح لا يكاد يوجد مدينة أو قرية تخلو من ضريح واحد على الأقل، وذلك في معظم بلدان المسلمين وهكذا تطورت القبورية لتصبح منتشرة بشكل فظيع بين الناس، حتى إن كل مقبور يحتفلون بموعد محدد هو يوم ميلاده، وقد يحتفلون بوفاته أيضاً، ويقدمون له القرابين والنذور، ويعبدونه من دون الله تعالى، وهذا منتشر جداً جداً بين المتصوفة بالذات في القرون المتأخرة.

القســم الأول

في كشف شبهات القبورية

وفيه ثلاثة كتب:

١ ـ كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع شرح له.

٢ ـ المِنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل.

٣ ـ التنبيهات السنية على الهفوات في المواهب اللدنية.

شـــرح كتــاب
كشـــف الشبهـــات

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الفصل الأول

معنى التوحيد(*) وخطأ المشركين في فهمه

بيان أن مهمة الرسل الأولى تحقيق توحيد العبادة.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن التوحيد هو: إفراد الله ـ سبحانه ـ بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده.

فأوَّلهم: نوح ـ عليه السلام ـ، أرسله الله إلى قومه لَمَّا غلوا في الصالحين: وداً، وسواعاً، ويغوثَ، ويعوقَ، ونسراً[(١)].

اللغـــة:

(غلوا) تجاوزوا الحَدَّ، وبالغوا في التعظيم (صور) أي: تماثيل.

(*) التوحيد لغة: جعل الشيء واحداً والعلم بأن هذا الشيء واحد.

---

(١) أقول: هذا جواب شبهة القبورية، وهي أنهم يقولون: إن المشركين كانوا يعبدون الأحجار والأشجار والأصنام، وأما نحن فندعو الأنبياء والأولياء، ونستغيث بهم، فالأحجار والأشجار لا كرامة لها عند الله، وأما الأولياء والأنبياء فلهم منزلة عند الله ـ تعالى ـ، والله لا يَرُدُّ شفاعتهم فينا، فلا يصح قياس موحِّدٍ يستغيث بالأولياء على مشركٍ يعبد الأحجار. إلى آخر كلامهم. =

وآخر الرسل: محمد ﷺ وهو الذي كَسَرَ صور هؤلاء الصالحين.

وفي الاصطلاح: إفراد الله تعالى بما يختص به علماً وعقيدة وعملاً مما يتعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته.

الشرح

إن التوحيد ـ توحيد الألوهية ـ وهو: إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة، وصرفها له دون سواه، أيًا كان نوعها؛ هو دين الرسل جميعاً، الذي أرسلهم الله به، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

وأوَّل هؤلاء الرسل: نوح، لقوله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[2].

وقد أُرسل إلى قومه لَمَّا غلَوا في الصالحين منهم، فبنوا على قبورهم، ثم عملوا لهم تماثيل، ولما طال عليهم الأمد عبدوهم، كما أخبر ابن عباس وغيره.

= انظر: «البراهين» للقضاعي: (٣٨٧ ـ ٣٩٠)، و «التوسل» لابن مرزوق: (٣٧، ٩٢)، و «البراءة» له: (١٠٦ ـ ٢٥٦)، و «حقيقة التوسل» لموسى محمد علي: (١٣٧ ـ ١٤٥)، و «تبديد الظلام» للكوثري: (٢٨)، و «صلح الإخوان لابن جرجيس»: (١٣٦ ـ ١٤٤)، و «سعادة الدارين» للسهنودي: (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧)، و «كشف الارتياب» للعاملي: (٢٩٣ ـ ٢٩٦)، و «كشف النقاب» للنقوي: (٤٥ ـ ٥٠)، و «فصل الخطاب» للقباني: (١٢، ١٨، ٩١، ٩٨)، و «فصل الخطاب» لعبد الرؤوف: (٢٧)، و «شواهد الحق» للنبهاني: (١٥١ ـ ١٥٢)، و «الدرر السنية» لدحلان: (٣٨)، و «البصائر» للداجوي: (١٦٧ ـ ١٦٩)، و «شفاء السقام» للسبكي: (١٤٦).

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٦٣).

قال المصنف: أرسله الله إلى أناس يتعبَّدون، ويحجُّون، ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً، لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد منهم شفاعتهم عنده، مثل: الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين؛ فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ويُخبرهم: أن هذا التقرُّب والاعتقاد محضُ حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لمَلَك مقرَّب، ولا لنبي مُرسَل، فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون مقرُّون يشهدون[1] أن الله هو

وآخر الرسل: محمد ﷺ، كما قال ـ تعالى ـ في حقه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2].

وهو الذي كَسَرَ تماثيل وصور هؤلاء يوم الفتح لما دخل الكعبة، ودفعها بعود في يده، فَسَقَطَت.

(محض) خالص (قهره) غلبته (جحدوه) أنكروه.

---

(١) هذا جوابٌ لشبهة القبورية، وهي: أن المشركين كانوا يشركون آلهتهم في ربوبية الله وخالقيته ومالكيته، بخلافنا نحن، فإننا لا نعتقد من الأولياء التصرف والقدرة الذاتية والربوبية والخالقية. إلى آخر هذيانهم.
انظر: «البراهين» للقضاعي: (٣٨١، ٣٧٨، ٣٩٠، ٤٣٩)، و «الفرقان» له: (١١٣ ـ ١١٤)، و «التوسل» لابن مرزوق: (٢٠، ٣٠، ٣١، ٣٧)، و «البراءة» له: (٨٩، ٩٩، ١٠٠)، و «السيف الصقيل» للسبكي مع «تبديد الظلام» للكوثري: (٢٧ ـ ٢٨)، و «البراهين» للطباطبائي: (٢٣٣ ـ ٢٣٤)، و «الكشف» للعاملي: (١٠٦، ٢٩٣ ـ ٢٩٦)، و «سعادة الدارين» للسهنودي: (٢/٣٠٤ ـ ٣٠٧)، و «ردود النوري»: (٢٤٣)، و «المفاهيم» للمالكي: (٢٦ ـ ٢٧).
(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٤٠).

الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يُميت إلا هو، ولا يُدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

بعثة الرسول

وقد كان هؤلاء المشركون يحجون، ويتصدقون، ويتعبّدون بعبادات مختلفة، ولكنهم جعلوا بينهم وبين الله وسائط يقربونهم إليه ـ بزعمهم ـ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1].

فمنهم من عبَد الملائكة، ومنهم من عبدَ عيسى ابن مريم وأمّه، ومنهم من عبَد أصنافاً من الصالحين؛ فأرسل الله إليهم محمداً ﷺ، مجدداً لمِلّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[2].

وبيَّن لهم أن التقرُّب محض حق الله، لا يصلح لغيره: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[3].

وأن اتخاذ وسائط معه إشراك في عبادته ـ سبحانه ـ.

وقد كان هؤلاء المشركون مقرين بانفراده ـ تعالى ـ بالخلق والرزق والمُلك والتدبير: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[4].

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٣).
(٢) سورة النساء، الآية: (١٢٥).
(٣) سورة الزمر، الآية: (٤٤).
(٤) سورة لقمان، الآية: (٢٥).

فإذا أردتَ الدليل على أن هؤلاء المشركين، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾. [سورة يونس، الآية: ٣١].

وقـــولـــه: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

و ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[١].

فقد كانوا مقرين بكل أمور الربوبية، غير أنهم أشركوا مع الله في الألوهية، فعبدوا غيره من هذه المعبودات، التي لا تستحق أن تُعبَد، لأنها ليس لها من الأمر شيء.

والآيات التي ذكرها المؤلِّف ـ رحمه الله ـ صريحة وواضحة في تقرير ما ذكره؛ من إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، ولكن ذلك لم يدخلهم في التوحيد، الذي دعا إليه النبي ﷺ، والنبيون من قبله، وهو توحيد العبادة، أي: إفراد الله ـ عز وجل ـ بكل أنواع العبادة، لا يشرك معه فيها أحد من خلقه.

فهؤلاء كانوا يدعون الله، ويدعون معه غيره من الأنبياء والصالحين، بزعم أنهم يقربونهم من الله ـ تعالى ـ، أو أنهم يشفعون لهم عنده.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: (٨٤ ـ ٨٩).

ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤ ـ ٨٩].

وغير ذلك من الآيات.

فإذا تَحقَّقتَ أنهم مقرُّون بهذا، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفتَ أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)، كما كانوا يدعون الله ـ سبحانه ـ ليلاً ونهاراً.

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله؛ ليشفعوا... إلخ، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل: اللات، أو نبياً مثل: عيسى.

الخلاصة

١ ـ كان المشركون مقرين لله ـ تعالى ـ بأمر الربوبية.

٢ ـ كان شرك الأوَّلين بسبب اتخاذهم وسائط من دون الله للقُربة والشفاعة.

٣ ـ الإقرار بالربوبية لا يكفي للحكم بالإسلام.

المناقشة

س ١: هل كان المشركون الأوَّلون يجعلون لله شركاء في أمر الربوبية؟ ما الدليل؟

س ٢: لماذا اتخذوا وسائط من دون الله ـ تعالى ـ؟

س ٣: هل يكفي الإقرار بالربوبية ليصبح المرء مسلماً؟

الفصـــل الثـــاني
حقيقة التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرسل

وعرفتَ أن رسول الله قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

وقـال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٤].

وتحققتَ أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاءُ كله لله، والنذر لله، والذبح لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وعرفتَ أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدَهم الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك؛ هو الذي أَحَلَّ دماءهم وأموالهم..

(أَحَلَّ) أباحَ.

والنبي ﷺ قاتلهم رغم إقرارهم بالربوبية، قاتلهم لصرفهم محض

عرفتَ حينئذٍ التوحيد، الذي دعَتْ إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

حق الله في العبودية إلى غيره، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾(١).

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾(٢).

فقد قاتلهم ليصرفوا العبادة لله وحده، من:

دعاء ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٣).

ونذر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾(٤).

والذبح، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾(٥).

والاستغاثة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾(٦).

وهكذا جميع أنواع العبادة، لا ينبغي أن تكون إلا لله وحده، وهكذا فإقرارهم بالربوبية لم يُدخلهم في الإسلام، وصرفُهم شيئاً من العبادة لغيره هو الذي كان سبباً في كفرهم، وإباحة دمائهم وأموالهم، كما قال ـ تعالى ـ ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾(٧).

---

(١) سورة الزمر، الآية: (١١).
(٢) سورة البينة، الآية: (٥).
(٣) سورة الجن، الآية: (١٨).
(٤) سورة الحج، الآية: (٢٩).
(٥) سورة الكوثر، الآية: (٢).
(٦) سورة الأنفال، الآية: (٩).
(٧) سورة التوبة، الآية: (٢٩).

وهذا التوحيد هو معنى قولك: (لا إله إلا الله).

فإن الإله ـ عندهم ـ هو الذي يُقصَد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملَكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جِنّياً.

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده ـ كما قَدَّمتُ لك ـ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد).

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي (لا إله إلا الله).

والمراد من هذه الكلمة: معناها، لا مجرد لفظها[1].

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو:

التعليق

(لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله.

الشرح

إن التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرسل، ورفَضَه المشركون، هو معنى قولنا: (لا إله إلا الله)، فإن معناها: لا مستحق للعبادة إلا الله ـ تعالى ـ، وذلك لأن هناك آلهة تُعبَد من دونه، لكنها عُبِدت بالباطل، لأنها لا تملك شيئاً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ

---

(١) هذا جواب عن شبهة للقبورية: أن الوهابية يكفِّرون من قال: (لا إله إلا الله). وقصدهم بذلك: أن القبورية الذين يستغيثون بالأولياء، وينذرون لهم، ويهتفون بأسمائهم؛ لا حَرَجَ عليهم، لأنهم يقولون: (لا إله إلا الله).
انظر: «التوسل» لابن مرزوق: (٣٦ ـ ٣٧)، و «البراءة» له: (١٠٥ ـ ١٠٦).
فرَدَّ عليهم الإمام بأن مجرّد التلفظ لا ينفعهم بدون فهم معناها.

إفراد الله ـ تعالى ـ بالتعلُّق، والكفر بما يُعبَد من دون الله، والبراءة منه، فإنه لَمَّا قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [سورة ص، الآية: ٥].

فإذا عرفتَ أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله.

فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله).

هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[1].

والكفار المتقدمون قد عرفوا أن الإله هو المعبود، ولم يعتقدوا أبداً أن الإله هو الخالق، بل هم قد عرفوا أن هذا غير هذا.

أما المشركون في زماننا فإنهم ـ لجهلهم ـ يظنون أن الإله معناه الخالق، فظنُّوا أن المطلوب مجرَّد النطق بكلمة التوحيد، لكنهم لم يفهموا معناها الحق.

أما المشركون المتقدمون فإنهم قد فهموا معنى هذه الكلمة، وأن المراد منها: إفراده ـ تعالى ـ بالعبادة والتعلُّق، ولهذا تعجَّبوا عندما عرفوا دعوة النبي ﷺ، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[2].

اللغـة

(الحاذق) الذكي، الفَطِن.

---

(١) سورة الحج، الآية: (٦٢).

(٢) سورة ص، الآية: (٥).

....

الشرح

ولَمَّا تبيَّن لك أن الجهال من الكفار يعرفون حقيقة معنى (لا إله إلا الله)، وأنها تعني: إخلاص الدين لله ـ تعالى ـ، وصرْف العبادة له وحده، ها هنا ينبغي لكَ العَجَب من حال أناسٍ يدَّعون الإسلام، وهم لا يعرفون شيئاً عن حقيقة معنى (لا إله إلا الله)، فأصبح جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)، فهو يرى أن المقصود من كلمة (لا إله إلا الله) مجرَّد النطق باللسان، دون أن يعتقد القلبُ شيئاً من معانيها، بل إن الذكي منهم والفَطِن يظن أن (لا إله إلا الله) تفيد الربوبية، وأن معناها: إثبات انفراد الله ـ تعالى ـ بأعمال الربوبية، من خلق ورزق وإحياء وإماتة، ونحو ذلك، ولا عِلاقة لها بأمر الألوهية، فأيُّ خير في مثل هذا الرجل، الذي يدَّعي الإسلام، في حين أن جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)؟!

الخلاصة

١ ـ النبي ﷺ لم يفرق بين أصناف المشركين، بل قاتلهم جميعاً، ليكون الدين لله.

٢ ـ المشركون فهموا معنى (لا إله إلا الله)، وأنه لا يعني الخالق المدبر، بل المرجو، المعبود، المتعلّق.

٣ ـ مشركو زماننا لا يفرقون بين الرب والإله.

٤ ـ حقيقة التوحيد هي: معنى (لا إله إلا الله) أي: لا مستحق للعبادة إلا الله ـ تعالى ـ.

....

المناقشة

س ١: هل خَلَطَ المشركون الأوَّلون بين معنى الرّب والإله، كما فعل مشركو زماننا؟

س ٢: ما الفرق الذي تراه بين معنى الرّب ومعنى الإله؟

س ٣: هل فرّق النبي ﷺ بين أصناف المشركين هؤلاء؟

الفصــــل الثــــالث
وجوب الحذر من الكفر وأهله

قال الإمام المصنِّف:

إذا عرفتَ ما ذكرتُ لك معرفةَ قلب، وعرفتَ الشركَ بالله، الذي قـال الله فـيـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨].

وعرفتَ دين الله الذي أرسل به الرسل من أوّلهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد سواه.

وعرفتَ ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا..

أفادك فائدتين:

الشرح

وإذا تبيَّن ما سبق، واستقرَّ في نفسك أيها المسلم، واتضح لك معنى الشرك، الذي لا يغفره الله ـ تعالى ـ، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١].

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٨].

وأفادَك ـ أيضاً ـ الخوف العظيم؛ فإنك إذا عرفتَ أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل.

وإذا تبيَّن دين الرسل الذي لا يُقبَل من أحد غيره، واتضح ما عليه الناس من الجهل بالتوحيد، وبمعنى الشرك؛ فإن الملسم يستفيد من هذا فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[١].

وقد قيل: إن المراد هنا: الإيمان والقرآن. وقيل: الإيمان والرسول. وقيل: القرآن والرسول. وغير ذلك.

الثانية: الخوف الشديد من الشرك، ولا سيما إذا عرف المرء أن الإنسان قد يكفر بمجرد كلمة تخرج من فمه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يكون الجهل عذراً.

تنبيه

الصحيح: أن الجهل عذر، لعدم الحكم بالتكفير على المسلم الجاهل.

وسيأتي من كلام المصنِّف في آخر الكتاب ما يشير إلى ذلك.

---

(١) سورة يونس، الآية: (٥٨).

وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله ـ تعالى ـ[(١)] كما ظن المشركون، خصوصاً إِنْ أَلْهَمَكَ اللَّهُ ما قَصَّ عن قوم موسى ـ مع صلاحهم وعلمهم ـ أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٢٨].

اللغــة

(يعظم) يشتد (يخلصك) ينجيك.

الشــرح

وقد يقول الإنسان كلمة الكفر وهو لا يدري أنها كفر، بل يظن أنها تقربه إلى الله ـ تعالى ـ، كما هو حال كثير من المشركين، ولا سيما إذا وفق الله الإنسان لفهم ما ذكر في القرآن عن قوم موسى ـ عليه السلام ـ، فإنهم ـ مع ما كانوا عليه من صلاح وعلم ـ قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[(٢)].

فهم قد اغتروا بما رأوا؛ فتكلموا بكلمة شرك بظن أن ذلك يقربهم من الله ـ تعالى ـ.

---

(١) هذا جواب عن شبهة القبورية، وهي: أن الكفار كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها شريكة مع الله في الخلق والرزق والتدبير والربوبية، وأنها مستقلة بالنفع والضر.
فأجاب الإمام: أن الكفار لم يكونوا يعتقدون ذلك، إنما يعتقدون فيهم الشفاعة.

انظر: «البراهين» للقضاعي: (٣٨١، ٣٧٨ ـ ٣٩٠، ٤٣٩) و «الفرقان» له: (١١٣ ـ ١١٤)، و «التوسل» لابن مرزوق: (٢٠، ٣٠ ـ ٣١، ٣٧)، و «البراءة» له: (٨٩ ـ ١٠٠)، و «السيف الصقيل» للسبكي: (٢٧ ـ ٢٨)، و «سعادة الدارين» للسهنودي: (١/٣٠٤ ـ ٣٠٧)، و «المفاهيم» للمالكي: (٢٦ ـ ٢٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٣٨).

فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلّصك من هذا وأمثاله.

اعلم أن الله ـ سبحانه ـ من حِكمتِه لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٢].

فالواجب على الإنسان أن يخاف من هذا وأمثاله مما قد يوقعه في الشرك، وأن يحرص على التمسك بالتوحيد والإخلاص والسنة، التي تخلصه من هذا الشرك، وتحميه من الوقوع فيه.

اللغة:

﴿يُوحِي﴾ يوسوس.

الشرح:

ومن حكمة الله ـ تعالى ـ: أنه لم يرسل نبياً ولا رسولاً إلا وجعل له أعداء ممن لم يؤمنوا به، ولم يتّبعوه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ . . .﴾(١).

فدلّت الآية على أن الكفار قد يكون عندهم من العلوم الشيء الكثير، من علوم الدنيا وغيرها، غير أنهم لم ينتفعوا بهذه العلوم، ولم يستغلوها فيما يفيدهم في آخرتهم، بل كانت الدنيا هي كل همهم، ولهذا فقد عادوا رسل الله وحاربوهم، فكانوا من الخاسرين.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١١٢).

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة غافر، الآية: ٨٣].

الخلاصة

١ ـ كثير من المسلمين يجهل حقيقة معنى (لا إله إلا الله)، بل الكفار أعلم بمعناها منه.

٢ ـ وجوب الفرح بفضل الله وبرحمته.

٣ ـ وجوب الحذر من الشرك، والحرص على ما ينجي منه.

٤ ـ ليس هناك نبي إلا وكان له أعداء، وقد تكون لهم علوم وحجج.

المناقشة

س ١: هل عرف الكفار حقيقة معنى (لا إله إلا الله)؟

س ٢: ما هما الفائدتان اللتان أشار إليهما المؤلف؟

س ٣: ما حكم من تكلَّم بكلمة الكفر جاهلاً بأنها كفر؟

س ٤: هل وُجِدَ نبي ليس له أعداء؟

س ٥: هل يكون عند أعداء الرسل حجج وعلوم، أم لا؟

الفصل الرابع
وجوب تعليم ما يدفع شبه المشركين

قال المصنف:

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك، تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك ـ عز وجل ـ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ ـ ١٧].

ولكن إذا أقبلتَ على الله، وأصغيتَ إلى حججه وبيناته؛ فلا تَخَف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٦] والعامي من الموحّدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٧٣].

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان.

اللغة:

(إمامهم) زعيمهم وكبيرهم: إبليس ـ لعنه الله ـ.

....

الشـرح

إذا تبيَّن لك ما سبق أيها المسلم؛ فاعلم أن أعداء الله في كل زمان ومكان قاعدون على طريق الله ـ تعالى ـ، يصدُّون عنه كلَّ سالك إلى الله، بما أوتوا من العلم والفصاحة، والحجة والبيان، يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(١)].

والواجب على المسلم: أن يتعلم من أمر دينه ما يرُدُّ به شبَه أولئك وحججهم، فإنه إن كان على بصيرة من أمر دينه، ظهرَ على أولئك، الذين أقسم إمامهم وزعيمهم: إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم في كل طريق، وأن يأتيهم من كل فَجٍّ، يريد صدَّهم عن سبيله ـ تعالى ـ، كما قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الآية[(٢)].

ولكن من عَقَلَ كلام الله ـ تعالى ـ، وفهم حجته وبيانه؛ فإنه لا خوف عليه، فإن كيد الشيطان ضعيف، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[(٣)].

وليست هناك مقارنة بين المؤمن والمشرك، فالمؤمن ـ ولو كان عاميًا ـ يظهر على علماء الشرك ولو كانوا كثرة، وجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، وبالسيف والسنان.

---

(١) سورة الصف، الآية: (٨).
(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٦).
(٣) سورة النساء، الآية: (٧٦).

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح وقد مَنَّ الله ـ تعالى ـ علينا بكتابه الذي جعله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٨٩].

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣٣].

قال بعض المفسرين: (هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة).

اللغة:

(مَنَّ) أنعم وجادَ (ينقضها) يبطلها، ويظهر بطلانها.

الشرح:

وليس هناك خوفٌ على الموحد بفضل الله ـ تعالى ـ، إلا إذا سلك الطريق إلى الله ـ تعالى ـ دون سلاح من العلم والحجة، والكتاب والسنة، مما يعصمه من شبهات أهل الضلال والإضلال، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قد أنعم علينا ـ أمة الإسلام ـ بكتابه الكريم، الذي هو بيانٌ لكل شيء، وفيه الهدى، وهو رحمة وبشرى لمن أطاع الله ـ تعالى ـ ووحَّده، ومِن فضل الله ـ تعالى ـ أن ليست هناك حجة لأهل الباطل إلى يوم القيامة؛ إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبطلها، أياً كانت هذه الحجة، وأياً كان صاحبها، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٣٣).

....

الخلاصـة:

١ ـ الشيطان وحزبه يلجؤون دائماً إلى إلقاء الشبهات، ليفتنوا المسلمين عن دينهم.

٢ ـ يجب على المسلم أن يتعلم من الحجج ما يرُدُّ به على أهل الشرك والضلال.

المناقشة:

س ١: إلامَ يلجأ المشركون عند كلامهم مع المسلمين؟

س ٢: ماذا يجب على المسلم تجاه شبهات المشركين؟

الفصل الخامس
الجواب المجمل على أهل الباطل

قال المصنف:

وأنا أذكر لكَ أشياء مما ذكر الله في كتابه؛ جواباً لكلام احتجَّ به المشركون في زماننا علينا، فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصَّل.

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عَقِلَها، وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

اللغة:

﴿زَيْغٌ﴾ ضلال وانحراف وفتنة ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب وقصد.

الشرح:

يذكر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أموراً مما أجاب الله بها الكفار والمشركين، وهي ردودٌ على حجج المشركين في زمان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد صَحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّى الله، فاحذروهم**».

الشبهة الثانية: التشبث بالمجملات والمتشابهات وترك المحكمات.

مثال ذلك: إذا قال بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢].

وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذَكَرَ كلاماً

ويبين ـ رحمه الله ـ أن جواب أهل الباطل يكون على نوعين: مجمل، ومفصَّل.

أما الجواب المجمل: فهو قول الله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[(١)].

والنبي ﷺ قد حذَّر من هذا الصنف من الناس، حين قال في حديثه الصحيح: «إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّى الله، فاحذروهم»[(٢)].

أي: أن هؤلاء هم الذين ذكرهم الله في الآية السالفة، ووَسَمَهُمْ بزيغ القلوب.

فيجب على المؤمن أن يحذرهم أشد الحذر.

اللغة:

(جاه) مكانة ومنزلة (يُقرُّون) يعترفون (بين) واضح (أقطع) أجزم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٧).

(٢) البخاري: (٤٥٤٧)، ومسلم: (٢٦٦٥) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنتَ لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره؛ فجاوبه بقولك:

إن الله ذكر في كتابه: أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المُحكَم ويتَّبعون المتشابه..

(لا يتناقض) لا يتعارض بعضه مع بعض.

الشــرح:

ومن الأمثلة على ذلك الجواب المجمل:

ما لو قال أحد المفتونين الواقعين في الشرك:

إن الأنبياء لهم جاه عند الله، وشفاعتهم حق[1]، والأولياء لهم جاه. مستدلاً بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2].

أو استدلَّ بشيء من كلام النبي ﷺ لنصرة باطله فيما يزعم، وقد يكون السامع ليس من أهل العلم، ولا يفهم معنى كلام ذلك المشرك، ولا يعرف وجه الاستدلال به..

---

(١) إن المشركين من قبورية هذه الأمة لهم عِدَّة شُبهات يتشبثون بها، منها: استدلالهم بأن الأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله ـ تعالى ـ.
فهذا كلام حق، ولكنهم يستدلون به على باطل، وهو: تبرير الإشراك بالله، والاستغاثة بغير الله، ويورِدُون هذه الشبهة في كتبهم.
انظر: «البراهين» للقضاعي: (٣١٧ ـ ٣٩٠)، و «التوسل» لابن مرزوق: (٣٧، ٩٢)، و «البراءة» له: (١٠٦ ـ ٢٥٦)، و «تبديد الظلام» للكوثري: (٢٨)، و«صلح الإخوان لابن جرجيس»: (١٣٦ ـ ١٤٤)، و «سعادة الدارين» للسهنودي: (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧)، و «شواهد الحق» للنبهاني: (١٥١ ـ ١٥٢)، و «الدرر السنية» لدحلان: (٣٨)، و «شفاء السقام» للسبكي: (١٤٦).

(٢) سورة يونس، الآية: (٦٢).

وما ذكرتُ لكَ من أن الله ـ تعالى ـ ذَكَرَ أن المشركين يقرُّون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلّقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨].

هذا أمر مُحكَم بيِّن لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وما ذكرتَ لي ـ أيها المشرك ـ من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطعُ أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ـ عز وجل ـ.

حينئذ يمكنه أن يجيب مستدلاً بآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[(١)].

ويبين أن الله ـ تعالى ـ قد كفَّر في كتابه كل من تعلّق بالملائكة والأنبياء وغيرهم، وصَرَفَ إليهم شيئاً من العبادة، قائلاً: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

فهذا أمر مُحكَم واضح، لا يحتمل أكثر من ظاهره.

وأما حجة ذلك المشرك فإنها وإن كان السامع لا يفهم وجهها، لكنه يجزم بأنها لا تخالف ظاهر الآية السابقة، ويجزم بأن كلام الله لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضاً، وأن كلام الرسول ﷺ لا يخالف كلام الله ـ تعالى ـ أبداً، فلا بد أن المقصود بحجة ذلك المشرك غير ما ذهب هو إليه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٧).

(٢) سورة يونس، الآية: (١٨).

وهذا جوابٌ جيدٌ سديدٌ، ولكن لا يفهمه إلا من وفَّقه الله ـ تعالى ـ، فلا تستهن به، فإنه كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٥].

اللغة:

(سديد) موفَّق.

الشرح:

فهذا الجواب المجمل جواب صحيح وسديد وموفق، لكن قَلَّ من يفهمه، وهم الذين وفقهم الله ـ تعالى ـ، فلا ينبغي الاستهانة بذلك الجواب، إذ الأمر كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[1].

الخلاصة:

١ ـ الجواب المجمل على شبهات المشركين، هو: أن كلامهم يناقض الكلام المُحكَم من كتاب الله، وكلام نبيه.

٢ ـ كلام الله ورسوله لا يتناقض أبداً في نفسه.

المناقشة:

س ١: هاتِ مثالاً للجواب المجمل على شبهات المشركين.

س ٢: هل يمكن أن يوجد تناقض بين كلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله ﷺ؟

---

(١) سورة فصلت، الآية: (٣٥).

الفصـــل الســـادس
الرَّدُّ المفصَّل على شبهات المشركين

قال المصنف:

وأما الجواب المفصل:

الشبهة الثالثة: إنكار الشرك.

فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدُّون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم(١) فجاوبه بما تقدم، وهو:

(١) أقول: هذه الشبهة يردّدها عامة القبورية على ألسنتهم وفي كتبهم.
وهذه الشبهة مركَّبة من شبهتين:
الشبهة الأولى: زعمهم أن الشرك غير وارد في هذه الأمة، فينكرون وجود الشرك ووقوعه في هذه الأمة إنكاراً قاطعاً.
وسبب ذلك: أنهم لا يعدُّون النذر لغير الله، ولا الاستغاثة بغير الله ـ ونحو ذلك ـ شركاً، وإنما الشرك عندهم: أن يقال في غير الله أنه بالاستقلال.
انظر: «كشف النقاب» للنقوي: (٤٤ ـ ٥٠)، و «كشف الأسرار» للخميني: (٢٧ ـ ٥٩، ٧٥)، و «الحقائق» لابن داود: (٤٤) المخطوط، و «منهج الرشاد» للنجعي: (٢٩)، و «البراهين» للطباطبائي: (٣٢)، و «البراهين» للقضاعي: =

أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرُّون بما ذكرتَ، ومقرُّون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة.

واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضّحه.

اللغة:

(مقرُّون) معترفون (الجاه) المنزلة (الربوبية) انفراد الله بالخلق والتدبير والتصريف.

الشرح:

ثم هناك الجواب المفصَّل:

وذلك لأن أعداء الله وأعداء دينه لهم أشياء كثيرة، وحجج متعددة، يعترضون بها على دين الرسل، وقصدُهم بذلك الصَّدّ عن سبيل الله:

= (٣٧٥ ـ ٣٧٨، ٣٨٠ ـ ٣٨١، ٣٨٨، ٣٩٠، ٤٤٠)، و «الفرقان» له: (١١١ ـ ١١٦)، و «التوسل» لابن مرزوق: (٢٠ ـ ٢١، ٢٤)، و «البراءة» له: (٨٩ ـ ٩١ ـ ٩٣)، و «مقالات الدجوي»: (١/ ١٦٢ ـ ١٦٧)، و «مفاهيم» للمالكي: (٤٩، ٧٤).

والشبهة الثانية: قولهم: نحن مذنبون وملطّخون بالذنوب، بعيدون عن الله، والصالحون لهم جاه عند الله، فيشفعون لنا عند الله، لأنه كما أن الوزراء والأمراء يشفعون للناس عند الملوك في الحياة الدنيا، فيقبلون شفاعتهم فيهم؛ كذلك الله ـ تعالى ـ يقبل شفاعة الأولياء.

انظر: «كشف النور» للنابلسي: (٢٠)، و «لمع البرق» للبكري: (٤٤٧) المطبوع في «آخر شواهد الحق» للنبهاني، و «صلح الإخوان»: (١٤١ ـ ١٤٢)، و «سعادة الدارين» للسهنودي: (١/ ٣٠٩)، و «شواهد الحق»: (١٣٩ ـ ١٤١) للنبهاني الحنفي: (٢٦٩ ـ ٢٧٥، ٤٤٧)، و «الأقوال الرضية» للكاتب الحنفي: (٢١٢)، و «تطهير الفؤاد» للمطيعي الحنفي: (١٦١)، و «البصائر» للداجوي الحنفي، و «مفاهيم المالكي»: (٤٣)، و «براءة الأشعريين»: (٢٦٦)، و «التوسل»: (١٩٣) كلاهما لابن مرزوق.

الشبهة الرابعة: أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ونحن ندعو الصالحين.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين من الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾[١].

ومن حججهم التي يحتجون بها دائماً؛ قولهم:

نحن لا نشرك بالله، ونقرُّ بأنه الخالق الرازق، النافع الضار، المتصرف المدبر، وحده لا شريك له في شيء من ذلك كله، ولا حتى النبي ﷺ أو غيره، ولكن نحن مذنبون وعصاة، ونعترف أن الأنبياء والصالحين لهم جاه ومكانة عند الله ـ تعالى ـ، فنحن نتخذهم واسطة بيننا وبين الله، ونطلب من الله ـ تعالى ـ بهم، فهم أقرب للإجابة.

فهذا يُجاب عليه بما تقدم في الجواب المجمل الذي سبق سياقه.

ومفاد ذلك: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، واستباح دماءهم وأموالهم؛ لم ينكروا أن الله ـ تعالى ـ هو المتفرد بأمر الربوبية والخلق والتدبير، وإنما فقط كل ما أرادوه الشفاعة عند الله ـ تعالى ـ ممن عبدوهم من الصالحين، الذين كانت تلك الأصنام على هيئتهم، والجاه عند الله ـ تعالى ـ.

وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه، فقال في بيان طلبهم للجاه: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٢].

وقال في بيان طلبهم للشفاعة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣].

---

(١) سورة الصف، الآية: (٨).
(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).
(٣) سورة يونس، الآية: (١٨).

فجوابه بما تقدم؛ فإنه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة.

ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر.

فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء، الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٧].

فإذا احتجَّ المعارض بأن الآيات فيمن عبَد الأصنام، فكيف يُلحَقُ به من قصد الأولياء الصالحين والأنبياء؟.

وكيف يساوي بينهم وبين الأصنام؟

فيجاب عليه بما تقدم، وبأن الكفار كانوا مقرين بأمر الربوبية لله ـ تعالى ـ، كما يقرُّ به عبَدَة الأنبياء والصالحين.

والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾[1].

فما الفرق بينهم؟ كلهم يقر لله بالربوبية، وإنما اتخذ الوسائط تقربه إلى الله ـ تعالى ـ، وتشفع له عند الله ـ عز وجل ـ، فهم في ذلك سواء لا فرق بينهم.

اللغة:

(يبتغون) يريدون ويطلبون.

---

(١) سورة لقمان، الآية: (٢٥).

ويدعون عيسى ابن مريم وأمَّه، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا

﴿يُؤفَكُونَ﴾ يُصرفون عن الحق.

الشرح:

فإذا أراد المعارض أن يفرق بين فِعل من عَبَدَ الأصنام وفِعل من عَبَدَ الصالحين والأنبياء؛ فيقال له:

إن الكفار منهم من كان يعبد الأصنام، ومن كان يدعو الصالحين، ومنهم من كان يعبد الأنبياء، بل إن وداً وسواعاً ويغوثَ ويعوق ونسراً كلهم كانوا أناساً صالحين من قوم نوح، صوَّر أقوامُهم أصناماً على هيئتهم ليذكروهم بعد موتهم، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، كما ثبت عند البخاري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

والآيات المذكورة تدلُّ على أن مِن الكفار من عَبد الصالحين من الملائكة والجن وغيرهم، فاتخذهم أرباباً، بينما هؤلاء المعبودون يتقرَّبون إلى ربهم ـ عز وجل ـ، لأنهم أهل إيمان به.

وذكر ـ تعالى ـ من عَبَدَ المسيح وأمَّه، فبيَّن أن المسيح ما هو إلا رسول وأمه صديقة، كانا يأكلان كعادة البشر، فكيف يُعبدان من دون الله ـ تعالى ـ وهما لا يملكان ضراً ولا نفعاً لأنفسهما ولا لغيرهما.

وكذلك ذكرَ من عَبَد الملائكة، وذكر ما يكون في يوم الحشر، حينما يسأل الملائكة عن عبادة هؤلاء، فيتبرأ منهم الملائكة، ويقرُّون لله ـ تعالى ـ بالربوبية والولاية دون هؤلاء العابدين، وإنما كان هؤلاء العابدين يعبدون الجن من دون الله ـ تعالى ـ.

نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٧٥ ـ ٧٦].

واذكر قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة سبأ، الآية: ٤٠ ـ ٤١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ١١٦].

فقل له: عرفتَ أن الله كفَّر من قصد الأصنام، وكفَّر ـ أيضاً ـ

اللغة:

﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ معبودين (قَصَدَ) عبده وتوجَّه إليه.

الشرح:

وكذلك ذكر الله ـ تعالى ـ ما يكون من الكلام بينه وبين عيسى ـ عليه السلام ـ يوم القيامة، حيث يسأل الله ـ تعالى ـ عيسى ـ عليه السلام ـ إن كان قد طلب من هؤلاء الكفار النصارى أن يعبدوه، فيتبرأ عيسى منهم، ويحكي ما طلَبه منهم، وهو إفراد الله ـ تعالى ـ، ويكِل العلم إلى الله ـ تعالى ـ، الذي يعلم كل شيء، ويعلم ما في نفوس عباده.

فحينئذٍ يتبين لهذا المخالِف أن الله ـ تعالى ـ قد حكم في كتابه بالكفر على من عبَد الأصنام، أو عبد الصالحين، أو حتى الأنبياء والملائكة.

وعلى هذا قاتلهم رسول الله ﷺ.

الشبهة الخامسة: شبهة الشفاعة.

من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قيل: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، فاقرأ عليه قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣].

وقوله - تعالى -: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨].

واعلم أن هذه الشُّبَه الثلاث هي أكبر ما عندهم.

فإن احتجَّ المعترض بأن الكفار طلبوا ممن عبدوهم قضاء الحوائج، بينما هذا المخالف المعارض يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، الذي كل شيء بيده، ولا يطلب الحوائج من غيره، لا جلب نفع ولا دفع ضر، هؤلاء الصالحون ليس لهم من الأمر شيء، كما قال - تعالى -: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1].

وإنما قصده فقط مِن وراء التوجُّه إلى الصالحين طلب شفاعتهم عند الله - تعالى -.

---

(١) سورة النحل، الآية: (٧٣).

الشبهة السادسة: زعم أن الاستغاثة والدعاء والنداء ليس من العبادة.

فإذا عرفتَ أن الله وضَّحها في كتابه، وفهمتَها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاءَهم ليس بعبادة(١).

اللغة:

(أيسر) أسهل (الالتجاء) الركون والاحتماء (إخلاص العبادة) تنقيتها، وإفرادها.

الشرح:

فيجاب عليه: بأن كلامه هو كلام الكفار سواء بسواء، لا فرق، فإنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٢).

وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾(٣).

فلا فرق بينه وبينهم، فالكل أقرَّ بالربوبية، لكنه اتخذ وسائط يدعوهم ويرجو شفاعتهم.

ثم ينبغي أن يُعْلَمَ: أن هذه الشبهات هي أكبر ما عندهم من الشبه المُضِلَّة، ولكن هذه الشبه قد أوضحها الله ـ تعالى ـ في كتابه ـ

---

(١) هذه الشبهة ـ أيضاً ـ من أعظم شبهات القبورية، وحاصلها: أن القبورية يزعمون أنهم لا يعبدون الأولياء، بل يدعونهم، لأن دعاء الأموات والاستغاثة بهم عند الملمات ليس من العبادة في شيء وقد تشبثوا بهذه الشبهة في عامة كتبهم، وبها برَّروا الاستغاثة بالأموات عند الكربات. انظر: «صلح الإخوان لابن جرجيس»: (١٤٢، ١٤٤، ١١٩)، و «البراهين» للقضاعي: (٣٨٨ ـ ٣٨٩)، و «الدرر السنية» لدحلان: (٣٤، ٣٩ ـ ٤٠).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٣) سورة يونس، الآية: (١٨).

فقل له: أنتَ تُقِرُّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك؟. فإذا قال: نعم. فقل له: بين لي هذا الذي فرضه الله عليك ـ وهو: إخلاص العبادة لله وحده ـ، وهو حقه عليك ـ.

فإنه لا يعرف العبادة، ولا أنواعها.

فبينها له بقولك: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٥].

فإذا أعلمتَه بهذا، فقل له: هل علمتَ هذا عبادةً لله؟. فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة.

كما سبق ـ، وقد سبق الكلام عن ذلك.

فحينئذٍ إذا ادّعى ذلك المعترض أن التجاءه إلى هؤلاء الصالحين ليس بعبادة أبداً.

فيقال له: هل تُقِرُّ أن الله ـ تعالى ـ قد طلبَ منكَ وافترضَ عليكَ إخلاص العبادة له دون سواه، وهذا حقه عليك؟.

فإن قال: نعم.

حينئذٍ يقال له: هل تعرف هذه العبادة التي افترضها الله عليك وأوجب عليك إخلاصها له، وتُقِرُّ بأنها حق الله ـ تعالى ـ عليك؟.

فحينئذٍ يتبيَّن أنه لا يعرف ما هي العبادة، ولا أنواعها، ويظهر جلياً مدى جهله بدين الله ـ عز وجل ـ.

اللغة:

(أعلمتَه) أخبرته.

فقل له: إذا أقررتَ أنها عبادة لله، ودعوتَ الله ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعاً، ثم دعوتَ في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشركتَ في عبادة الله غيره؟. فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا علمتَ بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [سورة الكوثر، الآية: ٢].

وأطعتَ الله ونحرتَ له، هل هذا عبادة؟. فلا بد أن يقول: نعم فقل له: فإن نحرتَ لمخلوق: نبيٍّ، أو جنِّيٍّ، أو غيرهما، هل

﴿وَٱنْحَرْ﴾ النحر هو: الذبح.

الشرح

حينئذٍ ينبغي بيان العبادة له، فيُذكَر له الدعاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(١).

فيقال له: هل الدعاء عبادة؟. فلا بد أن يجيب بنعم، ويقول: بأن الدعاء مخ العبادة(٢).

فإذا أقرَّ المخالف أن الدعاء عبادة، فيقال له: إذا صرفتَ هذه العبادة لغير الله، فدعوتَ في حاجتكَ غيره؛ أفلا تكون مشركاً مع الله ـ تعالى ـ؟. فلا بد أن يجيب بنعم.

وكذلك يُسأل ذلك المعاند عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾(٣)

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٥٥).

(٢) حديث: (الدعاء مخ العبادة) ضعيف، رواه الترمذي وغيره. والصحيح ما أخرجه أحمد وأصحاب السنن وغيرهم: (إن الدعاء هو العبادة).

(٣) سورة الكوثر، الآية: (٢).

أشركتَ في هذه العبادة غير الله؟. فلا بد أن يُقِرَّ، ويقول: نعم.

وقل له ـ أيضاً ـ: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟. فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء، والذبح، والالتجاء، ونحو ذلك؟. وإلا فهم مقرُّون أنهم عبيده، وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة.

ويقال له: هل النحر لله ـ تعالى ـ عبادة؟. فيقول: نعم؟. فيقال له: إذا نحر رجل لمخلوق، من ملك، أو جني، أو نبي، أو ولي؛ ألا يكون قد أشرك مع الله ـ تعالى ـ في العبادة، التي فرض الله عليه إخلاصها، وأمره بذلك، وهو خالص حقه ـ عز وجل ـ؟. فلا بد أن يقرَّ بذلك، ويقول: نعم.

اللغة:

(القهر) البطش والقوة.

الشرح:

ويقال لهذا المعاند ـ أيضاً ـ: هل كان المشركون الذين نزل القرآن في شأنهم، هل كانوا يعبدون آلهتهم، التي اتخذوها من دون الله، من ملائكة وصالحين وغيرهم؟. فيقول: نعم.

فيقال له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا بالذبح لهم، والالتجاء إليهم، والاستعاذة بهم، ودعائهم، وغير ذلك؟.

وهذا ظاهر جداً.

وإلا فإنهم كانوا مقرين لله ـ تعالى ـ بالربوبية، بكل مظاهرها، وكانوا مقرين أنهم تحت قهر الله وبطشه، وإنما فقط دعوا هؤلاء الوسائط، والتجأوا إليهم بطلب بلوغ الجاه عند الله، والشفاعة منهم لهم عند الله.

وقد سبق الكلام عن ذلك، فهو ظاهر لا يحتاج إلى تعليق.

الخلاصة:

حجج المشركين كثيرة، فهم يصرفون الآيات القرآنية عن معانيها، ويحتجُّون لشركهم بأن آلهتهم إنما عبدوها تقرُّباً إلى الله ـ تعالى ـ، ورجاء لشفاعتها لهم.

ويجب على المسلم معرفة كيف يَرُدُّ عليهم.

المناقشة:

س ١: ما هي أهم حجج المشركين التي احتجُّوا بها لأفعالهم؟

س ٢: كيف ترد على من قال: إن الآيات التي ذُكِرَ فيها الشرك نزلت في حق من عبدوا الأصنام؟

الفصـــل الســـابـع
حول مسألة الشفاعة

قال المصنف:

الشبهة السابعة: في الشفاعة ولكن بطريق أخرى.

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟[1].

فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو الشافع والمشَفَّع، وأرجو شفاعتَه، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٤].

الشرح

فإن قال هذا المعاند: أتنكر شفاعة الرسول ﷺ وتبرأ منها؟.

---

(١) **قلت**: هذه من أعظم شبهات القبورية، فإنهم يزعمون أن الاستغاثة بالأموات، ونداءهم عند الملمات من باب التوسل بهم والشفاعة. فيحملون الاستغاثة بالأموات من باب التوسل والشفاعة.
انظر: «شفاء السقام» للسبكي: (١٣٤ ـ ١٤٠ ـ ١٤٥)، و «شواهد الحق» للنبهاني: (١٣٩ ـ ١٤١، ١٦٨)، و «الأنوار المحمدية» له: (٥٩٨ ـ ٥٩٩)، و «البراهين» للقضاعي: (٣٩١)، و «الفرقان» له: (١١٧ ـ ١٢٢)، و «المدخل» لابن الحاج: (١/٢٥٨ ـ ٢٥٩)، و «المواهب» للقسطلاني: (٤/٥٨٠)، و «شرحها» للزرقاني: (٨/٣٠٥)، و «صلح الإخوان»: (٩١).

ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥].

فيقال له: لا، فإنه ﷺ هو الشافع والمُشَفَّع[(١)].

وكلنا نرجو شفاعته ﷺ يوم القيامة، لكن هذه الشفاعة كلها لله، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[(٢)].

ولا يشفع أحد لأحد إلا بشرطين:

أن يأذن الله للشافع، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[(٣)].

والشرط الثاني: أن يرضى الله عن الشفاعة للمشفوع فيه، فيأذن بها، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(٤)].

فهذان الشرطان لا بد منهما للشفاعة: الإذن للشافع، والرضى عن المشفوع فيه.

والله ـ عز وجل ـ لا يرضَى مِن خلقه إلا التوحيد، ولا يرضَى منهم أبداً الكفر، ولا يقبل منهم غير الإسلام، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[(٥)].

فكيف ينتظر المشركُ شفاعةَ النبي ﷺ؟.

---

(١) كما في حديث الشفاعة الطويل: «يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع...».
(٢) سورة الزمر، الآية: (٤٤).
(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٥٥).
(٤) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).
(٥) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨].

وهو ـ سبحانه ـ لا يرضى إلا التوحيد، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله ـ تعالى ـ إلا لأهل التوحيد؛ تبيَّن لك أن الشفاعة كلها لله، وأَطلبها منه؛ فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شَفِّعه فِيَّ، وأمثال هذا.

الشبهة الثامنة: في الشفاعة بطريق ثابت.

فإن قال: النبي ﷺ أُعطِيَ الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاكَ عن هذا، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

فإذا كنتَ تدعو الله أن يُشَفِّع نبيَّه فيك؛ فأطِعْهُ في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

و ـ أيضاً ـ فإن الشفاعة أُعطِيَها غير النبي ﷺ، فصحَّ أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول:

اللغة

(الأفراط) المقصود بهم: الوِلْدان يموتون قبل الحُلُم.

الشرح

فلما كانت الشفاعة كلها لله، لا تكون إلا من بعد إذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع فيه، ولا تكون إلا لأهل التوحيد؛ تبيَّن أنها كلها لله، فلم يجز طلبها من غيره، بل تُطلَب منه وحده، فيقال: اللهم

إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم. فإن قلتَ هذا؛ رجعتَ إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلتَ: لا. بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

لا تحرمني شفاعته، اللهم شَفِّعه فِيَّ، ونحو ذلك.

فإذا احتجَّ المعارض بالقول: إنه يطلب من النبي ﷺ الشفاعة التي أعطاه الله إياها.

فيقال له: أعطاه الله الشفاعة، ونهاكَ أن تطلبها منه، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(١).

فإذا كنتَ تريد شفاعة النبي ﷺ عند الله ـ تعالى ـ فأطِعْهُ في نهيه عن دعاء غير الله ـ عز وجل ـ.

و ـ كذلك ـ فإن الشفاعة ليست خاصة برسول الله ﷺ فقط، وإن كان هو صاحب الشفاعة العظمى، فإن الملائكة تشفع ـ كما سبق ـ، والأفراط ـ وهم: الوِلْدان الذين ماتوا قبل الحُلُم ـ يشفعون لآبائهم، وكذلك الصالحون؛ فَلِمَ لا تطلب الشفاعة من هؤلاء جميعاً؟

فإن قال: أطلب الشفاعة من كل هؤلاء وأدعوهم.

قيل له: رجعتَ إلى الشرك، الذي أقررتَ بأنه شرك أكبر، وهو عبادة الصالحين التي سبق الكلام عنها ـ.

وإن قال: لا أطلب منهم الشفاعة. قلنا له: الآن أبطلتَ قولكَ في أنك تطلب من النبي ﷺ ما أعطاه الله إياه من الشفاعة.

الخلاصة

١ ـ شفاعة النبي ﷺ حق.

---

(١) سورة الجن، الآية: (١٨).

....

٢ ـ احتجَّ المشركون بهذه الشفاعة لشركهم بالله ودعائهم نبيَّه ﷺ.

المناقشة:

س ١ : هل شفاعة النبي ﷺ ثابتة؟

س ٢: ما هي شروط الشفاعة المشروعة؟

س ٣: كيف تُجيب من يقول: أنا أطلب النبي ﷺ مما أعطاه الله؟

الفصـــل الثـــامـن
معنى الشرك والعبادة

قال المصنف:

الشبهة التاسعة: في أن الاستغاثة بغير الله ليست من الشرك.

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنتَ تُقِرُّ أن الله حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرَّمه الله، وذكره أنه لا يغفره؟. فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرىء نفسك من الشرك، وأنتَ لا تعرفه؟ أم كيف يحرِّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟! أتَظن أن الله يحرِّمه ولا يبيِّنه لنا؟.

الشبهة العاشرة: في أن الشرك هو عبادة الأصنام.

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟. أتظن أنهم يعتقدون أن تلك

الشـــرح:

قد يقول هذا المعاند المخالف: أنا لا أشرك بالله ـ تعالى ـ، ولا أعبد من دونه أحداً، وهذا الالتجاء إلى الأنبياء والصالحين ليس بشرك أبداً.

الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبّر أمرَ من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [سورة يونس، الآية: ٣١].

وإن قال: هو من قَصَدَ خشبة أو حجراً أو بُنيةً على قبر، أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى،

حينئذٍ يقال له: هل تقِرّ أن الله ـ تعالى ـ قد حرَّم الشرك، وعَظَّم من خطورته، وذكر أنه لا يغفره أبداً؟.

فإنه لا يعارض في ذلك، وفي أن الشرك أعظم من الكبائر وغيرها.

فيقال له: هل تعرف الشرك أصلاً، الذي حرَّمه الله ـ تعالى ـ، وذَكَرَ أنه لا يغفره؟.

فحينئذ يظهر أنه لا يعرفه أبداً.

فيقال له عندئذٍ: كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنتَ لا تعرفه؟. وكيف يذكر الله عِظَمَ تحريمه، ويغَلِّظ في شأنه، ثم لا تسأل عنه ولا تعرفه؟. وهل يمكن الظن بأن الله ـ تعالى ـ حرَّم علينا الشرك، لكنه لم يبيِّنه لنا؟.

كلا. فإن هذا ظن سوء بالله ـ تعالى ـ، ومحال أن يكون هذا الأمر مما لم يتوفر القرآن على بيانه، بل هو من أعظم ما بيَّنه الله في كتابه، وحذَّر منه.

اللغة:

(زلفى) قربة ومنزلة.

ويدفع الله عنّا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقتَ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

فهذا أقَرَّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له ـ أيضاً ـ: قولُك: الشرك عبادة الأصنام.

الشرح:

وإن قال: الشرك إنما هو عبادة الأصنام، وأنا لا أعبدها.

فيقال له: ما المقصود بعبادتها؟ إن الذين عبدوها من دون الله لم ينسبوا إليها شيئاً من خواص الربوبية، والقرآن قد بيّن ذلك بوضوح ـ كما سبق ـ، وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾ الآية[1].

وإن قال: الشرك قصد شجرة، أو خشبة، أو حجر، أو غيره، يُدعى، ويُذبح له، بزعم أنه يقرب من الله ـ تعالى ـ، وأن الله يدفع السوء ببركته.

فيقال له: وهذا هو عين فعلكم عند القبور والأضرحة وغيرها. وإقراره هذا بأن أفعال المشركين هو ما ذكرتَ هو عين ما نريده منكَ؛ لتقِرَّ بأن ما أنت عليه شرك بالله ـ تعالى ـ.

ويقال له: هل الشرك مخصوص بعبادة الأصنام فقط؟ أم إن هناك شركاً بعبادة المسيح وأمّه، والعزير، والملائكة، وغيرهم؟

فإن قال: الشرك مخصوص بالأصنام. فإنه يكون معارضاً لكتاب الله ـ تعالى ـ، رادًّا لما ذكره الله ـ عز وجل ـ.

---

(١) سورة يونس، الآية: (٣١).

هل مرادُكَ أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين، ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟.

فهذا يردُّ ما ذكره الله في كتابه مِن كفر من تعلّقَ على الملائكة، أو عيسى، أو الصالحين، فلا بد أن يقِرَّ لكَ أن من أشركَ في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن.

وهذا هو المطلوب.

وسِرُّ المسألة، أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسِّره لي؟.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل له: وما معنى عبادة الأصنام؟. فَسِّرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟. فسِّرها لي.

فإن فسَّرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه، فكيف يدَّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟!

وإن فَسَّر ذلك بغير معناه، بيِّنتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له، هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم، حيث قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ

وإن قال: يشمل عبادة الأصنام وغيرها من المعبودات. كان هذا هو عين المطلوب منه الإقرار به، وبذلك تظهر عليه الحجة.

عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [سورة ص، الآية: ٥].

اللغة:

﴿عُجَابٌ﴾ غريب عجيب جداً.

الشرح:

والسِّر في هذه المسألة هو: أنه إذا نفى ذلك المدَّعِي الجاهل عن نفسه الشرك، فإنه يُسأل عن معنى الشرك.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فإنه يُسأل عن معنى هذه العبادة.

فإن قال: أعبدُ الله.

سئل عن معنى عبادة الله.

فإنه إذا أجاب بمقتضى الكتاب والسنة، فقد حصل المراد.

وإن لم يعرف معناها، فيقال له: كيف تنفي شيئاً وأنت لا تعرف معناه؟.

ثم يبيَّن له: أن الآيات البيِّنات في كتاب الله توضِّح أن الشرك بالله ـ تعالى ـ هو عين ونفس ما يفعله المشركون المبتدعون في أزمنتنا هذه، وأن التوحيد الحق هو ما ينكره هؤلاء المبتدعون، ويتعجبون منه كما تعجَّب أسلافهم من قبل، حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾[1].

وهم سائرون على درب أسلافهم، كلما دعوا إلى الحق تعجَّبوا،

---

(١) سورة ص، الآية: (٥).

....

كلما دُعوا إلى التوحيد تعجَّبوا، وكلما سمعوا الدعوة إلى توحيد الله - تعالى - أنكروا.

الخلاصة

١ - المشرك الجاهل يبرىء نفسه من الشرك، وهو لا يدري معناه.

٢ - أخطأ المشركون في زماننا في فهم معنى عبادة الأصنام، فوقعوا في مثل ذلك.

٣ - وجوب بيان معنى الشرك، ومعنى العبادة الصحيحة للجهال المشركين، حتى تُقام عليهم الحجة.

المناقشة

س ١: هل فهم مشركو هذا الزمان حقيقة عبادة الأصنام؟ وضِّح ذلك.

س ٢: ما الواجب علينا بيانه لهؤلاء المشركين الجهال؟

الفصل التاسع
الفرق بين شرك الأولين والمتأخرين

قال المصنف:

فإذا عرفتَ أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا هذا (الاعتقاد)، هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه؛ فاعلم أن شرك الأوَّلين أخفّ من شرك أهل زماننا، بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون، ولا يدعون الملائكة، والأولياء، والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٦٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١].

اللغة

﴿مُنِيبًا﴾ تائباً وراجعاً.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزمر، الآية: ٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٢].

﴿غَشِيَهُم﴾ غطاهم وغلبهم.

الشرح:

وإذا تبيَّن أن اعتقاد المشركين في زماننا هذا هو الذي سمَّاه ـ تعالى ـ في كتابه شركاً، وكَفَّر من أتى به، وقاتل رسول الله ﷺ عليه الناس، تبيَّن لنا حينئذٍ أن شرك الأولين أخف وأهون من شرك أهل زماننا، **لأمرين**:

الأول: أن الأولين يدعون الله ـ تعالى ـ، ويدعون معه غيره من آلهتهم في حال الرخاء والنعمة، وأما في حال الشدة والكرب فإنهم كانوا يخلصون الدعاء لله وحده، وينبذون آلهتهم التي يدعون من دونه، وذلك كما حكى ـ سبحانه ـ عنهم في الآيات المذكورة وفي غيرها من الآيات، فكلها توضِّح وتصرِّح أن شرك الأولين كان حال الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدعاء واللجوء لله ـ تعالى ـ، لعلمهم أنه لا ينجيهم غيره، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[١].

فمن فهم هذه المسألة جيداً؛ تبيَّن له أن مشركي هذا الزمان

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: (٦٥).

فمن فهِمَ هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه، وهي: أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ـ تعالى ـ، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم؛ تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.

ولكن أين من يفهم قلبُه هذه المسألة فهماً راسخاً؟!

والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأوَّلين يدعون مع الله أناساً مقرَّبين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً وأحجاراً[1] مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين

أعظم شركاً مما كان عليه المشركون على عهد رسول الله ﷺ.

اللغة:

(أفسق) أفجر.

الشرح:

والأمر الثاني: الدال على أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا، هو: أن الأولين كانوا يعبدون آلهة من الملائكة، أو الأنبياء، أو

---

(١) تنبيه: لا يفهم من هذا الكلام: أن مشركي العرب كانوا ينادون الأشجار والأحجار المجردة؛ فإن هذا لا يصدر عن شخص عنده أدنى عقل.

يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من: الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي - مثل: الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به.

الصالحين، أو غيرهم، أو حتى من الأشجار والأحجار، وهي مخلوقات لا تعصي الله - تعالى -.

وأما مشركو زماننا فإنهم يعبدون الصالحين وغير الصالحين، بل إنهم - أحياناً - يعبدون أناساً اشتهر عنهم الفجور كالزنا والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك، وهم يعرفون ذلك عنهم، بل ويحكونه عنهم.

ولا شك أن الذي يعتقد في الصالحين أهون من الذي يعتقد في غير الصالحين، وإن كان كلاهما مشركاً بالله العظيم.

الخلاصة:

هناك اختلاف بين شرك الأوَّلين وشرك المتأخرين، وذلك في أمرين:

(أ) شرك الأولين في حالة الرخاء فقط، وأما شرك المتأخرين ففي كل حال.

(ب) الأولون عبدوا من ظنوا فيهم الصلاح، وأما المتأخرون فعبدوا أهل الصلاح وأهل الفجور.

المناقشة:

س ١: هل هناك فرق بين شرك الأولين والمتأخرين؟

س ٢: ما هي أبرز الفروق بينهم؟ دَلِّل على ما تقول.

الفصل العاشر
حكم من آمن ببعض القرآن وكفر ببعض

قال المصنف:

الشبهة الحادية عشرة: زعمهم أن المشركين لم يكونوا يشهدون بالشهادتين ونحن نشهد.

إذا تحققتَ أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصَحّ عقولاً، وأخفّ شركاً من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغِ سمعك لجوابها، وهي:

أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذِّبون الرسول، ﷺ، وينكرون البعث، ويكذِّبون القرآن، ويجعلونه سحراً.

ونحن نشهد أن (لا إله إلا الله)، وأن (محمداً رسول الله)، ونصدِّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

ومن أقَرَّ بهذا كله وجحد البعث؛ كَفَرَ بالإجماع، وحَلَّ دمه وماله، كما قال ـ جل جلاله ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

اللغة:

(جحد) أنكر (أقَرَّ) اعترف.

وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ ـ ١٥١].

الشرح:

ولهؤلاء المشركين في زماننا شبهة من أعظم شبههم، يوردونها على من رماهم بالشرك، وسفَّه ما هم عليه، فإنهم يقولون:

كيف تحكمون علينا بالشرك، وتجعلوننا مثل المشركين الأولين، أو أعظم شركاً منهم، وهم كانوا لا يشهدون بكلمة (لا إله إلا الله)، ولا يقرُّون بنبوة الرسول، وينكرون البعث والحساب، ويكذِّبون بالقرآن، ويجعلونه سحراً.

بينما نحن نقرُّ بأنه (لا إله إلا الله)، ونصدِّق بنبوة الرسول ﷺ، وبالقرآن، ونصلي، ونصوم، ونتصدق، فكيف يليق أن تجعلونا مثل أولئك المشركين؟.

فالردُّ على تلك الشبهة لهؤلاء المشركين هو: أن العلماء مجمعون على أن من أقرَّ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ وأنكر شيئاً آخر وجده: كافر لم يدخل في الإسلام.

فمن أقرَّ بالتوحيد وجحد الصلاة كفر، ومن أقرَّ بهما وجحد الزكاة كفر، وهكذا، كما قال ـ تعالى ـ في حق من لم ينقد للحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٩٧).

(٢) سورة النساء، الآيتان: (١٥٠ ـ ١٥١).

فإذا كان الله قد صرَّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً؛ زالت هذه الشبهة.

فالجواب: إنه لا خلاف بين العلماء كلهم على أن الرجل إذا صدَّق رسول الله ﷺ في شيء، وكذَّبه في شيء؛ كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرَّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الصوم، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الحج، ولَمَّا لم يَنْقَدْ أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

وهذه التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال ـ أيضاً ـ: إذا كنتَ تقرّ أن من صدّق الرسول في كل

فهذه نصوص صريحة من كتاب الله في بيان كفر من أقرَّ بشيء من الدين وجحد شيئاً، أو صرف شيئاً من العبادة لله وشيئاً آخر لغيره، فلا ينفعه حينئذٍ ما أقرَّ به من الدين، أو ما صرفه لله ـ تعالى ـ من العبادة.

وإذا كان الله ـ تعالى ـ قد قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ فقد زالت بذلك شبهة هؤلاء المشركين، التي سبق ذكرها.

وبهذا ينحل الإشكال.

وهذه الشبهة ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه إلى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ.

شيء، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع.

وكذلك إذا أقرَّ بكل شيء إلا البعث.

وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان وصدَّق بذلك كله.

ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن ـ كما قدَّمنا ـ.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي، ﷺ، وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كَفَرَ، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل.

اللغة:

(الجحد) هو الإنكار مع العناد.

الشرح:

ويقال ـ كذلك ـ لهؤلاء المشركين: مِن العجب أنكم تقرُّون بأن من صدَّق الرسول في كل شيء ثم جحد الصلاة أنه كافر، حلال الدم والمال بالإجماع.

وكذلك لو أقرَّ بكل شيء إلا البعث فإنه يكفر.

وكذلك لو أقرَّ بكل شيء إلا صيام رمضان.

فالقرآن قد نطق بهذا، والمذاهب اتفقت عليه، وأنتم تقرُّون به.

ومن الغريب أنكم لا تكفِّرون من أشرك مع الله في العبادة، ونَقَضَ التوحيد الواجب عليه، لا تكفِّرونه بسبب إقراره بالأمور التي جاء بها الرسول ﷺ من الأحكام وغيرها، وتتحرّجون من القول بكفره.

ويقال ـ أيضاً ـ: هؤلاء أصحاب رسول الله، ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي، ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ﷺ، ويصلون، ويؤذّنون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي.

قلنا: هذا هو المطلوب.

إذا كان من رفعَ رجلاً إلى رُتبَةِ النبي ﷺ كَفَرَ، وحلَّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفعَ (شمسان)، أو (يوسف)، أو صحابياً، أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟.

سبحان الله! ما أعظم شأنه. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٩].

فكيف يستقيم هذا مع ما قدَّمناه من تكفيركم للأوَّل، مع العلم بأن التوحيد هو دين الرسل جميعاً، وهو أعظم ما أُرسل به النبي ﷺ، وهو أعظم ما افترض الله ـ تعالى ـ على عباده؟!

إن تناقضكم هذا من أعجب العجاب.

اللغة:

(مرتبة) منزلة ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم.

الشرح:

أي: ومما يقال ـ أيضاً ـ لهؤلاء المشركين في نقض حجتهم، وإبطال شبهتهم: أن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة،

ويقال ـ أيضاً ـ: الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدَّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلَّموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في (يوسف) و (شمسان) وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكُفرهم؟!.

أتظنون أن الصحابة يُكَفِّرون المسلمين؟.

أتظنون أن الاعتقاد في (تاج) وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب كُفر؟.

ويقال ـ أيضاً ـ: بنو عبيدِ القدّاح ـ الذين ملكوا المغرب ومصر،

واستحلوا دماءهم وأموالهم، مع أنهم أسلموا مع النبي ﷺ، وشهدوا أن (لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)، وكانوا يصلون، ويؤذِّنون.

فإن أجاب هؤلاء المشركون: بأن بني حنيفة قالوا: إن مسيلمة نبي.

قيل لهم: صدقتم!. وهذا هو المطلوب.

فإذا كان من رفع رجلاً إلى مرتبة النبي ﷺ، وأشركه معه في النبوة كَفَرَ، وحَلَّ ماله ودمه، ولم ينفعه الصلاة، ولا الصيام، ولا الإقرار بالشهادتين..

فكيف بمن رفع رجلاً إلى مرتبة الجبار الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ سواء كان يوسف، أو شمسان، ممن عبدهم المشركون في زمان الشيخ ـ رحمه الله ـ أو حتى كان صحابياً أو نبياً؟.

إن من جادل في هذا؛ فهو ممن طبع الله ـ تعالى ـ على قلبه، ولا شك أنه من الذين لا يعلمون.

في زمن بني العباس ـ كلهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ويدّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلمّا أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه؛ أجمع العلماء على كُفرهم وقِتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

اللغة

(يدَّعون) يزعمون.

يوسف، وشمسان، وتاج[1]: أهل القبور التي جعلت أوثاناً تعبد من دون الله في نجد، قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الشرح

أي: ومما يجاب به على هؤلاء المشركين: فعلُ علي بن أبي

---

(١) قال الشيخ محمد بن إبراهيم (أن يوسف وشمسان وتاج أسماء ناس كفرة طواغيت، وليست أسماء مواضع؛ فأما تاج فهو من أهل الخرج تصرف إليه النذور، ويدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ما له من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه. وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يدعى فيهم الدعاوى الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة، ومما ينسب إلى تاج أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده.
وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارض وله أولاد يعتقد فيهم.
وأما يوسف فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه ويظهر أن قبره في الكويت أو الاحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله. أما تاريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهّاب وقد ذكرهم في كثير من رسائله لأنهم من أشهر الطواغيت التي يعتقد فيها أهل نجد وما يقاربها وكانوا يعتقدون فيهم الولاية ويصرفون لهم شيئاً من العبادة وينذرون لهم النذور) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٣٤).

ويقال ـ أيضاً ـ: إذا كان الأوّلون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك؛ فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)؟ وهو: المسلم الذي يكفر بعد إسلامه.

ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يُكَفِّر، ويحل دم الرجل

طالب رضي الله عنه بمن غلوا فيه، ورفعوه إلى مرتبة الألوهية، حيث أحرقهم بالنار، رغم أنهم ادّعوا الإسلام، وتعلموا من الصحابة، واتفق الصحابة على وجوب قتلهم.

فهل يمكن أن يكون الصحابة قد كَفَّروا المسلمين واستحلوا دماءهم؟

وكيف يكون من اعتقد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كافراً، ولا يكفر من اعتقد فيمن دون عليٍّ، كيوسف، وشمسان، وتاج، وغيرهم؟.

هذا من أعجب العجب.

ويجاب عليهم ـ أيضاً ـ: بأن بني عبيدٍ القدّاح، الذين ظهروا في أيام بني العباس، وملكوا مصر والمغرب وغيرها، كانوا يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، وادّعوا الإسلام، وصلوا الجمعة والجماعة، لكن لَمَّا ظهر منهم مخالفات للشريعة ـ أقل مما يفعله مشركو زماننا ـ اتفق العلماء على كفرهم، ووجوب قتالهم.

وقاتلهم المسلمون فعلاً، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين.

وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرةً عند من فعلها مثل: كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال ـ أيضاً ـ: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧٤].

أما سمعتَ أن الله كَفَّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله، ﷺ، يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون، ويوحّدون؟.

اللغــة:

(يسيرة) بسيطة.

الشــرح:

أي: ويقال ـ أيضاً ـ لهؤلاء المشركين: أنتم تزعمون أن المشركين الأوائل لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين أمور هي: الشرك، وتكذيب الرسول ﷺ، وإنكار البعث، وغير ذلك.

وهذا بزعمكم.

مع أنا نقول: إن المخالفة في أيٍّ من هذه المسائل تكفي للحكم بالكفر، ولو لم يوجد غيرها.

لكن نسألكم: ما معنى الباب الذي يُذكَر في كتب الأحكام، وفي كل مذهب، وهو: «باب حكم المرتد»؟.

والمرتد هو: الذي يكفر بعد أن كان مسلماً.

ويذكر العلماء في هذا الباب أشياء كثيرة من الأمور التي يكفر بها المسلم، بل إن مما ذكروه أشياء يسيرة، وألفاظ قد يقولها باللسان دون القلب، أو يقولها على سبيل المزاح واللعب، كما قال بعض العلماء في تكفير من قال: شبعتُ من القرآن، أو كرهت أن أقرأه.

كذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ٦٥ ـ ٦٦].

ومن قال: أطبخ القدر بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[١] وقصده الاستخفاف.

ومن قال عند اجتماع الناس عنده: ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾[٢].

وغير ذلك من الألفاظ التي كَفَّر بها بعض العلماء، حتى ولو كانت على سبيل الهزل لا الجد[٣].

الشرح

ومما يقال لهم ـ أيضاً ـ: إن الله ـ تعالى ـ كَفَّر أناساً في زمان النبي ﷺ بكلمة قالوها، مع أنهم كانوا يصلون مع النبي ﷺ، ويزكون، ويحجون، بل ويوحدون، ومع ذلك كَفَّرهم الله ـ تعالى ـ، فقال: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾[٤].

وكذلك الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم قالوا كلمةً على وجه المزاح ـ كما زعموا ـ، فيها استهزاء بالرسول ﷺ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . . .﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[٥].

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: (١).
(٢) سورة الكهف، الآية: (٩٩).
(٣) انظر كتاب: «ألفاظ الكفر» لبدر الرشيد تحقيق د. محمد الخميس.
(٤) سورة التوبة، الآية: (٧٤).
(٥) سورة التوبة، الآيتان: (٦٥ ـ ٦٦).

فهؤلاء الذين صرَّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تُكَفِّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويصلون، ويصومون.

ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

فانظر كيف كَفَّرهم الله بالكلمة، رغم ما سبق من توحيدهم، وصلاتهم، وجهادهم.

فإذا تأمَّلتَ شبهة هؤلاء المشركين، وهي: تعجُّبهم من تكفير مسلمين؛ يوحدون، ويصلون، ويزكون ـ كما زعموا ـ، وتأمَّلتَ ما أجبنا به عليهم؛ نفعك الله به، فإنه من أعظم ما في هذه الأوراق، بفضل الله ـ تعالى ـ.

الخلاصة:

١ ـ من آمن بشيء من الدين وكفر بشيء فهو كافر.

٢ ـ النبي ﷺ كَفَّر أصنافاً من الناس بهذا، وكذلك أصحابه من بعده، وقاتلوهم.

٣ ـ يكفر المرء بنطق كلمة الكفر مازحاً.

المناقشة:

س ١: ما حكم من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض؟

س ٢: هاتِ صُوراً توضِّح كُفرَ هذا الصنف من الناس.

س ٣: ما حكم من نطق بكلمة الكفر مازحاً؟ اذكر الدليل.

الفصل الحادي عشر
شبهات والرَّدُّ عليها

قال المصنف:

الشبهة الثانية عشرة: أن بني إسرائيل والصحابة لم يحكم عليهم النبي ﷺ بالكفر فكيف تكفروننا.

ومن الدليل على ذلك ـ أيضاً ـ: ما حكى الله عن بني إسرائيل، مع إسلامهم، وعلمهم، وصلاحهم؛ أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨].

وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط. فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾.

ولكن للمشركين شبهة يُدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: (اجعل لنا ذات أنواط) لم يكفروا.

فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا.

ولا خلاف في أنَّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا.

وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي،ﷺ، لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا. وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد: أن المسلم ـ بل العالم ـ قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: (التوحيد فهمناه)، إن هذا من أكبر الجهل، ومكائد الشيطان.

وتفيد ـ أيضاً ـ: أن المسلم المجتهد إذا تكلَّم بكلام كفر وهو لا يدري، فَنُبِّه على ذلك، وتاب من ساعته؛ أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ.

وتفيد ـ أيضاً ـ أنه لو لم يكفر يُغَلَّظ عليه في الكلام تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله ﷺ.

اللغـة:

(يُغلَّظ) يُشدد.

الشـرح:

ومن الدليل على ما سبق، من أن الذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض أنه يكفر: ما وقع لبني إسرائيل مع موسى ـ عليه السلام ـ لما قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[1]، وقول بعض الصحابة للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط»[2]، فحلف لهم النبي ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل السابق.

وقد يقول بعض هؤلاء المشركين عند سماع هذه القصة: إن كلا الفريقين لم يكفر بمقالته هذه.

لكن يجاب عليهم: بأنهم لم يفعلوا ما نُهوا عنه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٣٨).

(٢) الترمذي: (٢١٨٠) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد: (٢١٨/٥)، وغيرهما، من حديث أبي واقد الليثي. وهو حديث صحيح.

الشبهة الثالثة عشرة: تشبثهم بقصة أسامة رضي الله عنه.

ولهم شُبهة أخرى، يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: (لا إله إلا الله)، وقال: «**أَقَتَلْتَه بعد أن قال: لا إله إلا الله؟**»، وكذلك قوله: «**أُمِرتُ أن أقاتِل الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله**». وأحاديث أخرى في الكَفّ عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فَعَل ما فَعَل[1].

ولا خلاف في أن بني إسرائيل لو فعلوا ما نهوا عنه لكفروا.

ولا خلاف في أن الصحابة لو لم يطيعوا النبي ﷺ لكفروا بذلك.

وهذا هو المطلوب إثباته من هذه القصة: أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك من غير أن يدري، لذلك ينبغي الحذر والتحرّز منها، ويجب تعلمها حتى لا يقع فيها.

ومن هنا - أيضاً - يتبيَّن أن قول الشخص الجاهل: «التوحيد فهمناه» يدل على جهله وقِلَّة علمه بمكايد الشيطان، إذا كان أصحاب النبي ﷺ كادوا يقعون في الشرك وهم لا يدرون، فلهذا كان ذلك القول من صاحبه حيلة شيطانية، ليوقعهم الشيطان في حبائل الشرك وهم لا يدرون، فيضلون وهم يحسبون أنهم مهتدون.

ومن أعظم ما يستفاد من هذه القصة - كذلك -: أن المسلم إذا تكلَّم بكلام كفر وهو لا يدري، ولا يعلم أنه كفر، بل هو جاهل بكونه كفراً، ثم أتاه من ينبهه ويعلمه ويحذره، فرَجَعَ من ساعته وتاب؛ أنه لا يكفر بذلك، فإن بني إسرائيل لم يحكم بكفرهم حين قالوا ما قالوا، وأصحاب النبي ﷺ لم يكفروا حين قالوا ما قالوا، ولو كُفِّروا لوَرَدَ ذلك صراحة.

---

(١) أقول: هذا من أعظم شبهات القبورية لتبرير شركهم، بحجة أنهم يقولون كلمة التوحيد.

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتَلَ اليهود، وسَبَاهم، وهم يقولون: (لا إله إلا الله).

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتَلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ويصلون، ويدّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرّقهم علي بن أبي طالب.

ومما يستفاد ـ أيضاً ـ: أنه إذا لم يكفر المسلم بذلك، فإنه يغلّظ له الكلام، ويُشدد عليه النكير، كما قال موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[(١)]، وكما قال النبي ﷺ: **«الله أكبر! إنها السنن، قُلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قال أصحاب موسى لموسى...»**[(٢)].

❀ ❀ ❀

الشرح:

ومن شبهات المشركين ـ أيضاً ـ أنهم يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد قَتْلَه للرجل بعد أن قال: (لا إله إلا الله)[(٣)].

وكذلك قال: **«أُمِرتُ أن أُقاتِل الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله»**[(٤)].

ومرادهم بذلك: أن من أَقَرَّ بها لا يكفُر ولا يُقتل، وإن فعل ما فعل.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٣٨).

(٢) سبق تخريجه ص٨٢.

انظر: «التوسل بالنبي ﷺ» لابن مرزوق: (٣٦ ـ ٣٧)، و «براءة الأشعريين» له: (١٠٥ ـ ١٠٦)، وكتاب «البراهين» للقضاعي.

(٣) البخاري: (٤٢٦٩)، ومسلم: (٩٦).

(٤) البخاري: (١٣٩٩)، ومسلم: (٢٠ ـ ٢١).

وهؤلاء الجهلة مقِرُّون: أن من أنكر البعثَ كَفَر وقُتِل، ولو قال: (لا إله إلا الله).

وأن من جَحَدَ شيئاً من أركان الإسلام كَفَرَ وقُتِل، ولو قال: (لا إله إلا الله).

فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد

لكن يُرَدُّ عليهم: بأن النبي ﷺ قاتَلَ اليهود، وسَبَاهم، وهم يُقِرُّون بها، وإن كانوا لم يقروا بالرسالة.

وكذلك الصحابة قاتلوا بني حنيفة، واستحلوهم، وهم يشهدون بها، ويصلون، ويدَّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن قالوا بتأليهه، رغم نطقهم بالشهادتين.

اللغة

(مقرّون) معترفون (يتبيَّن) يظهر (تبينوا) تثبتوا وتأكدوا.

الشرح

وهؤلاء الجهال معترفون بأن من أنكر البعث كَفَرَ وقُتِل، حتى ولو كان يقول: (لا إله إلا الله).

وأن من جَحَدَ شيئاً من أركان الإسلام كالصلاة، والزكاة، وغيرها، كَفَرَ وقُتِل، حتى ولو كان ينطق بالشهادتين.

التوحيد، الذي هو أصل دين الإسلام ورأسه؟!.

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قَتَل رجلاً ادَّعى الإسلام، بسبب أنه ظنَّ أنه ما ادَّعاه إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وَجَبَ الكَفُّ عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٤] أي: فتثبتوا.

فالعَجَبُ: كيف يكفِّرون ويوجبون قتل من يجحَد شيئاً من الفروع أو الأحكام، مع نطقه بالشهادتين، ولا يحكمون عليه بالمثل إذا جَحَدَ التوحيد، الذي هو أصل الدين ورأسه.

غير أن هؤلاء المشركين لم يفهموا معنى الأحاديث التي استدلوا بها.

أما حديث أسامة: فإنه قَتَل الرجل بعد نطقه بالشهادتين، ظناً منه أنه قالها تعوُّذاً من القتل فقط، بينما كان الواجب عليه أن يتريَّث حتى يتثبَّت من الأمر وحقيقته، وحتى يظهر منه ما يوافق ذلك أو يخالفه، ولهذا أنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾(١)، أي: تثبتوا وتأكدوا.

فأوجبت الآية: الكَفّ عمن قالها، والتثبت من أمره؛ فإن بدا منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام، وينقض هذه الشبهة؛ قُتِل.

ولو كان المقصود: أنه لا يُقتل ما دام قد نطق بالشهادة مهما فعل، لم يكن هناك معنى مقصود من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٩٤).

فالآية تدل على أنه يجب الكَفُّ عنه والتثبُّت، فإن تبيَّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل، لقوله ـ تعالى ـ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

كذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وَجَبَ الكفُّ عنه، إلا إن تبيَّن منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ الذي قال: «**أَقَتَلْتَه بعد أن قال: لا إله إلا الله؟**»، قال: «**أُمِرتُ أن أُقاتِل الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» هو الذي قال في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، مع كونهم من أكثر الناس عبادة، وتهليلاً حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلَّموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم (لا إله إلا الله)، ولا كثرة العبادة، ولا ادِّعاء الإسلام؛ لَمَّا ظهر منهم مخالفة للشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة.

اللغة:

(يناقض) ينافي ويخالف (يحقرون) يستصغرون.

الشرح:

ومما يوضح ذلك ـ أيضاً ـ: الحديث الآخر الذي احتجُّوا به، وهو حديث: «**أُمِرتُ أن أُقاتِل الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»[(١)].

فإنهم إن قالوها وَجَبَ الكَفُّ عنهم حتى يتبيَّن أمرهم، ويظهر منهم ما يخالف هذه الشهادة، كما قاتل الصحابةُ المرتدين، ومانعي الزكاة.

---

(١) سبق تخريجه ص٨٤.

وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق، لَمَّا أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٦].

وكان الرجل كاذباً عليهم.

فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجُّوا بها ما ذكرناه.

والنبي ﷺ الذي قال هذا الكلام، هو نفسه ﷺ الذي أَمَرَ بقتل الخوارج، فقال: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[١].

هذا.. مع العلم أن الخوارج كانوا أكثر الناس عبادةً، وصلاةً، وذكراً وتهليلاً، لدرجة أن الصحابة كانوا يحقرون صلاتهم إلى جانب صلاة الخوارج، وعبادتهم مقارنة بعبادتهم. وهؤلاء الخوارج تعلَّموا العلم من الصحابة، لكن رغم ذلك لم ينفعهم هذا، ولم تنفعهم العبادة العظيمة، ولا النطق بالشهادة، ولا ادِّعاء الإسلام؛ حين ظهر منهم مخالفة.

بل إن النبي ﷺ هَمَّ أن يغزو بني المصطلق ويقاتلهم، لَمَّا بلغه عن رجل أنهم منعوا الزكاة، وكان الرجل كاذباً عليهم، فنزل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾[٢].

---

(١) البخاري: (٦٩٣٠)، ومسلم: (١٠٦٤ ـ ١٠٦٦).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (٦).

الشبهة الرابعة عشرة: قياسهم الاستغاثة الشركية بالاستغاثة الشرعية.

ولهم شبهة أخرى، وهي: قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لَمَّا أُلقي في النار ـ اعترض له جبريل في الهواء، فقال: أَلَكَ حاجة؟. فقال إبراهيم ـ عليه السلام ـ: أما إليك فلا.

فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عَرَضَ

والمقصود منه: الاستدلال أن النبي ﷺ كاد أن يقاتلهم حين بلغه عنهم ما بلغه، ولم يبال بكونهم يدَّعون الإسلام، أو يصلون، أو يؤذنون، أو يصومون، أو غير ذلك.

وكل هذا يدل على أن المقصود من هذه الأحاديث التي احتجُّوا بها ليس ما فهموه، بل ما ذكره الشيخ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ.

اللغـة

(مِنَّة) نعمة، ومعروف، وفضل.

الشـرح

ومِن شُبَه المشركين هؤلاء:

ما يُروى من قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع جبريل لَمَّا أُلقي في النار، فظهر له جبريل ـ عليه السلام ـ وسأله: هل لك من حاجة؟. فقال إبراهيم: أما إليك فلا[1].

---

(١) هذه القصة لا تثبت، انظر: «السلسلة الضعيفة» برقم: (٢١)، وقال الألباني: «لا أصل له».

عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله ـ تعالى ـ فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية: ٥].

ووجه استدلالهم هو: أن الاستغاثة بغير الله لو كانت محرَّمة ما عَرَضها جبريل ـ عليه السلام ـ على النبي إبراهيم ﷺ.

وهذا استلال باطل لسببين:

الأول: أن القصة لم تصح أصلاً، فلا مجال للاستدلال بها، إذ إن الاستنباط فرع التصحيح.

الثاني: أنه مع فرض صحتها، فإن جبريل عَرَضَ على إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن ينفعه بشيء في طاقته، بل هو قادر ـ بإذن الله ـ بما أعطاه الله من قوة، كما قال ـ تعالى ـ في حقه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[1].

قادر ـ بإذن الله ـ على أن يطفىء هذه النار، أو يُخرج إبراهيم ـ عليه السلام ـ منها.

والأمر تماماً كرجل غني، يرى رجلاً فقيراً محتاجاً، فيعرض عليه شيئاً في استطاعته، كأن يقرضه، أو نحو ذلك، أو يهب له؛ فيرفض الفقير، ويصبر، حتى يرزقه الله من غير مِنَّةٍ عليه لأحد.

فلا تشابه بين ذلك، وبين استغاثة العبادة والشرك؛ لِمَن كان يفقه حقائق الأمور.

الخلاصة

١ ـ إذا أظهر المرء الإسلام وَجَبَ الكَفُّ عنه، حتى يتبيَّن حاله.

٢ ـ من قال كلمة الكفر جاهلاً بها عُرِّف وعُلِّمَ، فإن أَصَرَّ كَفَرَ.

---

(١) سورة النجم، الآية: (٥).

فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض، والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفَعَل.

ولو أمره أن يضع إبراهيم ـ عليه السلام ـ في مكان بعيد عنهم لفعل. ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني، له مال كثير، يرى رجلاً محتاجاً، فيعرض عليه أن يقرضه، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته؛ فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، ويصبر، إلى أن يأتيه الله برزق لا مِنَّةَ فيه لأحد.

فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟.

---

٣ ـ الحق قد يخفى على أفاضل الناس ـ أحياناً ـ.

٤ ـ يجب التثبت من الأخبار التي يسمعها الإنسان.

٥ ـ كل شبهات المشركين يوجد الرَّدّ عليها فيها نفسها.

المناقشة:

س ١: ما الواجب علينا تجاه من أظهر الإسلام؟

س ٢: ما حكم من أتى بكلمة كفر جاهلاً؟

س ٣: هل يجوز تصديق الأخبار ونقلها دون تثبت؟

الفصـــل الثـــاني عشـــر
حول معنى الاستغاثة

قال المصنف:

الشبهة الخامسة عشرة: تشبثهم بـحـديـث الشفاعة.

ولهم شبهة أخرى، وهي: ما ذكر النبي ﷺ: **«أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى»** فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً[(١)].

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه؛ فإن

اللغة:

(يستغيثون) الاستغاثة: هي طلب الغوث والنجدة.

---

(١) قلت: لقد تشبثت القبورية بتلك النصوص الشرعية، التي تدل على جواز استغاثة الإنسان بغير الله من حَيٍّ حاضر فيما يقدر عليه.
فذكروا تلك النصوص الشرعية ليجوزوا بها الاستغاثة بالأموات عند الكربات، فحرفوا مضمون هذه النصوص، ووضعوها في غير موضعها.
انظر: «صلح الإخوان لابن جرجيس»: (٤٤، ٥١)، و «شواهد الحق» للنبهاني: (١٢٧ ـ ١٢٨، ١٦٨ ـ ١٦٩)، و «البراهين» للقضاعي: (٤١٧)، و «مقالات الكوثري»: (٣٩٥)، و «المفاهيم» للمالكي: (٨٦).

الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا نُنكرها، كما قال ـ تعالى ـ في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥].

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب، وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق.

ونحن أنكرنا استغاثة العبادة، التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

﴿شِيعَتِهِۦ﴾ طائفته وقومه.

الشرح

ومن شبهات أهل الشرك القبورية، والتي يحاولون الاستدلال بها على باطلهم: ما وَرَدَ عن النبي ﷺ من استغاثة الناس يوم القيامة بآدم، ثم نوح، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذرون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ فيشفع لهم.

فاستدلوا بذلك ـ من جهلهم ـ على جواز الاستغاثة بغير الله ـ تعالى ـ، وأنها ليست شركاً بالله.

وجوابهم أن يقال: سبحان الذي ختم على قلوب أعدائه فهم لا يعلمون، فإن الاستغاثة بالمخلوق في شيء يقدر عليه، لا ينكرها أحد، كما قال ـ تعالى ـ عن موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[1].

فإن الإنسان قد يستغيث بغيره لينقذه من الغرق، أو يساعده في إطفاء حريق، أو يعينه في الحرب، أو غير ذلك. وهذا لا يُنكر.

---

(١) سورة القصص، الآية: (١٥).

إذا ثَبَتَ ذلك؛ فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة، يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس، حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف.

وهذا جائز في الدنيا والآخرة؛ أن تأتي عند رجلٍ صالح حَيٍّ، يجالسك، ويسمع كلامك، وتقول له: ادع الله لي.

كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه عند قبره، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف دعاؤه نفسه؟.

وإنما الذي ننكره على هؤلاء؛ ما يفعلونه عند القبور، واستغاثتهم بالموتى والغائبين، واستغاثتهم بغير الله - تعالى - فيما لا يقدر عليه إلا الله، فإن ذلك شرك لا شك فيه، كالذي يستغيث بغير الله لأجل أن تحمل امرأته، أو ليُشفى من مرضه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله - تعالى -.

ولهذا فإن الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة حتى يشفعوا عند الله - تعالى - لكي يحاسب الناس؛ إنما هي استغاثة بمخلوق في شيء يقدر عليه.

وهذا جائز؛ أن يأتي الإنسان لرجل صالح حَيٍّ وحاضر، فيقول له: ادع الله لي. رجاء أن يستجيب الله - تعالى - له، فهذا جائز، وقد فعله أصحاب رسول الله ﷺ، فسألوه أن يدعو الله لهم، لكنهم لم يفعلوا ذلك بعد موته، ولا جاءوا عند قبره فسألوه، بل ثبت عنهم إنكارهم على من فعل ذلك، أو أتى قبره ﷺ للدعاء عنده، فكيف بمن أتاه ليطلب الغوث منه نفسه ﷺ، وليس لمجرّد الدعاء عنده؟.

لا شك أنه أعظم ضلالاً.

....

الخلاصة:

١ ـ احتجاج المشركين بقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا يصح، لأنها لا تثبت، وليس فيها دليل على ما ذهبوا إليه.

٢ ـ يجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

المناقشة:

س ١: ما رأيك في احتجاج المشركين بقصة إبراهيم وجبريل ـ عليهما السلام ـ؟

س ٢: ما حكم الاستغاثة بغير الله؟

الخـــاتمـــة

ولنختم الكلام ـ إن شاء الله تعالى ـ بمسألة عظيمة، مهمة جداً، تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعِظَم شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً.

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون، وإبليس وأمثالهما.

الشبهة السادسة عشرة: معذرتهم في عدم تحقيق التوحيد.

وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم. وغير ذلك من الأعذار.

ولم يدرِ المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [سورة التوبة، الآية: ٩].

وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٦].

اللغة:

(غالب) أكثر.

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً، وهو لا يفهمه، ولا يعتقده بقلبه؛ فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٥].

الشرح:

وفي آخر الكلام حول هذا الموضوع، أراد الشيخ أن يختم بمسألة مهمة، يكثر الغلط حولها، فبيّن أنه ليس هناك خلاف في أن التوحيد يلزم أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإذا أشرك بقلبه، أو بلسانه، أو بعمله؛ ارتفعت عنه صفة الإسلام.

فمن عرف التوحيد بقلبه ولم يعمل به كَفَرَ كُفْرَ العِناد، كإبليس وفرعون وغيرهما.

وهذا يخطىء فيه الكثيرون، فيقرون بحقيقته، لكن يعتذرون عن العمل به، موافقة لأهل بلدهم، أو غير ذلك من الأعذار، وغاب عنهم أن أئمة الكفر يعرفون ذلك غالباً، لكنهم اعتذروا عن التوحيد لأعذار، كرغبتهم في حيازة المال وغيره.

ومما يدل على معرفتهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1].

وكذلك من عمل بالتوحيد فيما يظهر من غير أن يعتقده بقلبه؛ فهو منافق نفاقاً اعتقادياً، وهو شَرٌّ من الكافر ظاهراً وباطناً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٦).
(٢) سورة النساء، الآية: (١٤٥).

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تَتَبيَّن لك إذا تأمّلتها في أَلْسِنَة الناس؛ ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولاهما: ما تقدم من قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٦].

فإذا تحقَّقْتَ أن بعض الصحابة، الذين غزوا الروم مع الرسول، ﷺ، كَفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبيَّن لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراةً لأحدٍ؛ أعظم ممن يتكلم بكلمةٍ يمزح بها.

والآية الثانية: قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا

اللغة:

(مداراة) أصلها: اتقاء شر من تداريه. (أكره): أُجبِر وأُرغِمَ.

الشرح:

وهذه مسألة كبيرة طويلة، تتبيَّن وتتضح لمن تأمّلها في أَلْسِنة الناس، فإن كثيراً منهم يعرف الحق ولا يعمل به، بسبب الخوف على دنياه أن ينقص منها شيء، أو الرغبة في تحصيل جاه، أو مداراة من يخاف شره، وهناك من يعمل بالحق ظاهراً لا باطناً، وإذا سئل عما يعتقده بقلبه إذا هو لا يعرفه، ولا يفهمه.

والذي يعين على ذلك فهم آيتين من القرآن:

الأولى: ما تقدم من ذِكر قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم

فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [سورة النحل، الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧].

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أُكرِه مع كون قلبه مطمئن بالإيمان.

وأما غير هذا فقد كَفَرَ بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً، أو مداراةً، أو مشحّةً بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعل على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المُكْرَه.

والآية تدل على هذا من وجهين:

الأول: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ فلم يستثنِ الله - تعالى - إلا

بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[1].

فإذا وَضَحَ أن بعض المسلمين الذين غزوا مع رسول الله ﷺ كَفَروا، وخرجوا من الإسلام، بسبب كلمة قالوها مِزاحاً لا أكثر، تبيَّن جلياً أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به، خوفاً على دنياه أن تنقص، أو رغبة في الجاه والمنزلة، ونحو ذلك، كل هؤلاء أعظم كفراً ممن تكلّم بالكفر بمجرّد كلمة لا يقصد بها إلا المزح.

وهذا واضح جلي.

(مشحّة) بخلاً (آثره) فَضَّله.

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٦٦).

المُكرَه. ومعلوم أن الإنسان لا يُكره إلا على العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يُكره أحدٌ عليها.

الشرح

والآية الثانية: التي توضح هذه المسألة: قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ . . .﴾(١).

فإن الله ـ تعالى ـ لم يستثنِ أحداً من حكم التكفير إذا أظهر الكفر إلا المُكرَه، الذي يُجبَر على إظهار القول بالكفر، أو العمل، مع بقاء إيمانه في القلب، إذ إن الاعتقاد لا يمكنه أن يدخل عليه الإكراه، وإنما يكون الإكراه في القول والعمل.

وأما المازح، والحريص على دنياه، وغيرهما، فهؤلاء يكفرون بفعلهم وقولهم.

ودلالة الآية على ذلك من وجهين:

الأول: أن الله لم يستثنِ إلا المُكرَه، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾، وكما سبق فالإكراه في القول والعمل لا في الاعتقاد.

الثاني: أن الله قال في حق الذين حَكَمَ في كفرهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾(٢).

فدَلَّ على أن من أظهر القول أو العمل بالكفر لأجل تحصيل غرض دنيوي أنه يكفر بذلك.

فالآية واضحة الدلالة. والله أعلم.

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٠٦).
(٢) سورة النحل، الآية: (١٠٧).

والثاني: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الخلاصة

١ ـ من أتى بالكفر قولاً أو فعلاً مُكرهاً، مع ثبوت الإيمان في قلبه؛ فهو معذور.

٢ ـ من أتى بالكفر قولاً أو فعلاً خوفاً على دنياه، أو طمعاً فيها؛ كَفَر بذلك.

٣ ـ لا بد من اقتران التوحيد الباطن في القلب بالتوحيد الظاهر قولاً وعملاً.

المناقشة

س ١: ما حكم من أُكرِه على النطق بكلمة الكُفر؟

س ٢: ما القول في رجل نطق بالكفر رغبة في تحصيل دنيا، أو خوفاً عليها؟

س ٣: هل يجوز فصل التوحيد الظاهر عن الباطن؟

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

المنخل

لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل

المقــدمــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(٣)].

وبعـد:

فإن كتاب **المدخل**، وقد ألف في بيان البدع المختلفة في

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠ ـ ٧١).

(٣) سورة النساء، الآية: (١).

دين الله، ولكن المؤلف ـ للأسف ـ وقع[١] في ما حذّر منه، فتراه يجوّز التوسل بذات النبي ﷺ ويحتج على ذلك بالآثار الضعيفة والموضوعة، مما قد يلبس على الناس أمر دينهم لذا فقد رأيت التنبيه على مواضع الخطأ تلك، ليكون المسلم منها على حذر، وليس المقصود الرد بالتفصيل على حجج هؤلاء، فلذلك مظانه من الكتب السلفية وما أكثرها، ولا أدعي أنني أوفيت الموضوع حقه، وإنما هو مجرد تنبيهات كما ذكرت محاولاً كشف عوارها بإيجاز.

والله أسأل القبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

---

(١) من ذلك وقوعه في التأويل الكلامي البدعي مثل تأويل صفة الإتيان والمجيء بمجيء عذاب الله ونقمته لمن كفر به وألحد وتأول صفة الضحك بالرضا والإحسان وزعم أن إضافة العرش إلى الله هو إضافة تشريف كما يقال بيت الله وتأول حديث الساق بالشدة وغير ذلك من التأويلات الفاسدة انظر المدخل (٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩، ١٥٢).

الخرافة الأولى

إن [ابن الحاج][(١)] قد وفق للرد على كثير من البدع حيث ألف كتابه «المدخل» وفيه فوائد كثيرة في الرد على البدع، ولكنه شحنه ببدع أخرى، ولا سيما بدع القبورية وخرافاتهم وشركياتهم، واستغاثاتهم بالأموات عند إلمام الملمات، والدعوة إلى الخرافات والقبورية العمياء. ولا سيما في باب زيارة القبور وأدائها، خصوصاً زيارة قبر النبي ﷺ[(٢)].

فالناس يظنون أن كتابه مفيد في الرد على البدع فإذا فيه دعوة سافرة إلى القبورية؟!

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد: أبو عبد الله العبدري القبيلي المغربي الفاسي المالكي (٧٣٧هـ).
رد على كثير من البدع، ولكنه وقع في الدعوة إلى القبورية الصريحة.
انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، والدرر الكامنة (٤/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦)، والأعلام للزركلي (٧/ ٣٥).

(٢) انظر المدخل (١/ ٢٤٨ ـ ٢٥٨).

الخرافــة الثانيــة

قال صاحب المدخل: (إذا نزلت نازلة بالمسلمين ـ يذهبون إلى القبور ويدعون عندها لزوال ضرها وهذه صفة زيارة القبور)[١].

قلت: هذا باطل محض وبدعة بينة، ودعوة إلى القبورية، قال أحمد الرومي الحنفي: (وأما الزيارة البدعية فهي زيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها وأخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الدين وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من الحاجات التي كان عبّاد الأصنام يسألونها من أصنامهم)[٢]. إذ لم يثبت في السنة ولا عن السلف ـ:

أنه إذا نزلت بهم نازلة ـ يذهبون إلى القبور ويدعون عندها لزوال تلك المصيبة، بل سنة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة هذا الدين أن يستغاث بالله عند النوازل وأن يقنتوا في الوتر والصلوات الخمس المكتوبة.

أما زيارة القبور فللاعتبار والدعاء لأهلها كما اعترف المصنف نفسه بعد ذكر حديث الزيارة حيث قال: (فجعل عليه الصلاة والسلام

(١) انظر المدخل (١/٢٤٨).
(٢) المجالس الأربعة ص (٥٩).

فائدة زيارة القبور تذكر الموت)[١].

---

(١) انظر المدخل (١/٢٤٨).

الخرافة الثالثة

قال صاحب المدخل في الترغيب في زيارة القبور لدفع البلاء والتوسل بأصحابها، والتبرك بالأموات: (فإن كان الميت المزور ممن ترجى بركته، فيتوسل إلى الله تعالى به...)[١].

قلت: هذا باطل لوجهين:

الأول: أن التبرك بالأموات والقبور من بدع دعاة القبورية وهو طريق واسع سريع إلى الوثنية.

الثاني: أن زيارة القبور لأجل التوسل بأصحابها لدفع البلاء والتبرك بهم لجلب النافع، أيضاً من خرافات دعاة القبورية قديماً وحديثاً، وأيضاً هو طريق وباب إلى الشرك بالله عز وجل.

---

(١) المدخل (١/٢٤٨).

الخرافـــة الرابعـــة

قال صاحب المدخل: (بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ؛ إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله)[١].

قلت: هذا باطل:

لأنه لم يثبت عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أتباعهم التوسل بذات النبي ﷺ؛ وإنما الثابت عنهم التوسل بدعاء الحي الحاضر كما يدل عليه توسل عمر بالعباس، رضي الله عنهما حتى على اعتراف ابن الحاج هذا[٢].

فهذا هو التوسل في عرف الصحابة واصطلاحهم، ولكن دعاة القبورية قد حرفوا معنى التوسل فجعلوه توسلاً واستغاثة بالأموات. قال شيخ الإسلام: (ومن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء يجتلبون المنافع ويجتنبون المضار)[٣]. أما السؤال بالنبي ﷺ فقد قال شيخ الإسلام:

---

(١) المدخل (٢٤٨).
(٢) انظر المدخل (٢٤٨ ـ ٢٤٩).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(السؤال به فهذا يجوزه طائفة من الناس ونُقل في ذلك آثار عن بعض السلف وهو موجود في دعاء كثير من الناس لكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع)[١].

وقال كذلك: (وسؤال الله بالميت والإقسام على الله به واستحباب الدعاء عند تلك البقعة لم يكن هذا من فعل أحد من سلف الأمة لا الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان وإنما حدث بعد ذلك)[٢].

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص (١١٤).

(٢) الاستغاثة ص (٢٣٢).

الخرافـــة الخامســـة

قال صاحب المدخل: (فيتوسل به ﷺ ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)[١].

قلت: قد سبق أن التوسل بالصالحين الذي قد ورد به الشرع، واصطلح عليه السلف ـ هو التوسل بدعاء الحي الحاضر.

بحيث يطلب من الحي الحاضر الدعاء والشفاعة عند الله فيدعو ويشفع.

كما طلب عمر من العباس رضي الله عنهما الدعاء والشفاعة والعباس استجاب لطلبه فدعا الله تعالى وشفع لهم[٢] فأين في النصوص توسل دعاة القبورية؟!

---

(١) المدخل (١/٢٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/٤٩٤) ح (١٠١٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/٢٨، ٢٩) كلاهما من طريق ثمامة بن عبد الله عن أنس بن مالك.

الخرافــة السادســة

قال صاحب المدخل: (ثم يتوسل بأهل تلك المقابر: أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه، ومغفرة ذنوبه...)[١].

قلت: زيارة القبور لأجل التوسل بأهل المقابر والاستغاثة بهم في قضاء الحوائج وغفران الذنوب هي عين الوثنية الجاهلية ـ ولا يمت ذلك بأي صلة للشرع السماوي ودين التوحيد.

والرسل قد بعثوا لقمع هذه التوسلات.

---

(١) المدخل (١/٢٤٩).

الخرافة السابعة

هي قول صاحب كتاب المدخل: (ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى؛ . . .)[١].

قلت: هذا باطل؛ فإن الإكثار من هذا النوع من التوسل - إكثار من وسائل الشرك وأسبابه وزيارة القبور إنما شرعت للاعتبار والدعاء للميت ولم تشرع للتبرك والدعاء بالميت والتوسل به، وإنما كان ذلك في شرع دعاة القبورية.

(١) المدخل (١/٢٤٩).

الخرافـــة الثامنـــة

وهي احتجاجه بحجة أهل الجاهلية حيث يقول:

(لأن الله تعالى اجتباهم وشرفهم وكرمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر)[١].

قلت: هذه بعينها حجة المشركين يعني السابقين ووثنيتهم؛ فإنهم كانوا يقولون: نحن مذنبون بعيدون عن الله تعالى وهؤلاء الأولياء مقربون عند الله تعالى ولهم مكانة عنده فقد اجتباهم وشرفهم وكرمهم.

فنحن نتوسل إلى الله بهم ليشفعوا لنا عند الله، ويقربونا إلى الله زلفى.

فقولهم هو مقالة أصحاب الوثنية الأولى حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولا شك أن الله تعالى قد شرف عباده الصالحين ولكن هذا لا يقتضي أن نستغيث بهم بل يجب محبتهم والتأسي بهم فقط.

(١) المدخل (١/ ٢٤٩).

الخرافة التاسعة

قال المصنف:

(فمن أراد حاجة فليذهب إليهم، ويتوسل بهم؛ فإنهم الواسطة بين الله تعالى، وخلقه)[١].

قلت: هذا شرك صراح لوجهين:

الأول: هذه الواسطة بعينها عقيدة المشركين الأولين في الواسطة فإنهم أيضاً كانوا يعتقدون في الأنبياء والأولياء أنهم وسائط إلى الله، وأنهم يقربونهم عند الله زلفىٰ وأنهم يشفعون لهم عند الله، وأنهم الواسطة بينهم وبين الله.

وكانوا يقيسون الله تعالى وهؤلاء الأولياء، على ملوك الدنيا وأمرائهم ووزرائهم، فكما أن الرعية لا يمكن لأحدهم الوصول إلى الملوك إلا بواسطة الأمراء والوزراء، كذلك الله تعالى - في زعمهم - لا يمكن الوصول إليه - إلا بواسطة هؤلاء الأولياء المقربين عند الله تعالى وقد صرح ببيان عقيدة المشركين هذه كثير من العلماء[٢].

---

(١) المدخل (١/٢٤٩).

(٢) انظر التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازي وشرح الطحاوية (٢١) ط. دار=

فدل هذا على أن دعاة القبورية هم على طريقة المشركين السابقين في هذه الواسطة، وأن هذه الواسطة مأخوذة عنهم..

الوجه الثاني: أن دعاة القبورية في تشبثهم بكلمة «الواسطة» ملبسون ومدلسون، وخالطون بين الحق والباطل؛ فإن كون الأنبياء والأولياء والعلماء واسطة بين الله وبين خلقه، يحتمل معنيين: معنى حقاً ومعنى باطلاً؛ فمن أراد أنهم واسطة في تبليغ دين الله تعالى في أوامره ونواهيه وشرح شرعه وتوضيح ما يحبه الله وما يكرهه، فهذا معنى حق وصواب يجب الاعتقاد به، ولكن دعاة القبورية لا يقصدون هذا المعنى في هذا الصدد، في باب الاستغاثة بأهل القبور.

ومن أراد أنهم واسطة بين الله وبين العباد في جلب المنافع ودفع المضار يستغاث بهم عند إلمام الملمات وكشف المضرات، فهذا من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين الأولين فمن اعتقد هذا فهو كافر بدين الله ومشرك بالله؛ يجب أن يستتاب؛ فإن تاب فبها ونعمت؛ وإلا فهو مرتد عن دين الله تعالى خارج عن الإسلام مشرك كافر حلال الدم يجب أن يقتل قتل المرتد؛ فإن هذا من أصل دين المشركين عباد الأوثان والأصنام، ولقد صرح بهذا كثير من علماء الإسلام(١).

= البيان و (٧٩) ط. الكتب الإسلامي.

وحجة الله البالغة (١/ ٦١، ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨، ١٨٢ ـ ١٨٤).

والبدور البازغة (١٦٥ ـ ١٦٦) ط. الجديدة، والتفهمات الإلهية (٢/ ٦٣ ـ ٦٤) والفوز الكبير (٥ ـ ٦) كلاهما للشاه ولي الله الدهلوي.

(١) انظر الواسطة بين الحق والخلق لشيخ الإسلام برقم (١٠ ـ ١٢)، وصيانة الإنسان (١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦)، وفتح المنان (٤٨٦ ـ ٤٨٧، ٥٠٢، ٥٠٤ ـ ٥٠٥، ٥٠٩) وغاية الأماني (١/ ٢٧٧، ٢/ ٩ ـ ١٠، ٣٩، ٣٥٣).

الخرافـــة العاشـــرة

خرافة التبرك بزيارة القبور حيث قال: (وما زال الناس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغرباً، يتبركون بزيارة القبور)[(١)].

أقول: هذه الخرافة فيها طامتان:

الأولى: طامة التبرك بزيارة القبور؛ وهي بدعة محضة وقد تكون شركاً أو وسيلة إليه؛ قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد: (فالتبرك بقبور الصالحين ـ كاللات ـ وبالأشجار والأحجار ـ كالعزى ومناة ـ من فعل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان فمن فعل مثل ذلك أو اعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عبّاد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك) وقال: (إن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك ولا يغتر بالعوام والطغام)[(٢)]. أقول: لم تشرع زيارة القبور إلا للاعتبار والاتعاظ وتذكر الموت والبلى والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والدعاء للميت والاستغفار له.

والثانية: الاستدلال على هذه الطامة التبركية البدعية الشركية ـ بالإجماع.

---

(١) المدخل (١/ ٢٤٩).

(٢) (١/ ٢٥٨).

مع أن هذا الإجماع الذي ذكر ـ هو إجماع أهل البدع الذين تسربت القبورية فيهم إلى عوام المسلمين. قال العلاّمة عبد الرحمن بن حسن الشيخ: (فليس إجماع هؤلاء حجة وليسوا من أهل الإجماع الذي يحتج به في الأحكام لمخالفتهم ما جاءت به الرسل من توحيد الله وما بُعث به خاتم النبيين محمد ﷺ من النهي عن الشرك.. وهذا الذي ذكره هذا العراقي من أن الاستشفاع بالأموات مجمع عليه ليس في شريعة أحد من الأنبياء جوازه، وأما شريعة النبي ﷺ ففي الكتاب وفي السنة من النهي عن ذلك وأنه هو الشرك الذي كان يفعله أهل الجاهلية ومن قبلهم من الأمم المكذبة للرسل).

ومما يدل على فساد هذا الإجماع الذي حكاه، ما رواه الدارمي في مسنده: قال حدثنا سعيد بن منصور حدثنا أبو عوانة عن بيان هو ابن بشر الأحمسي عن قيس عن مرداس الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى حثالة كحثالة الشعير**»[(١)].

وقد أخبر العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ كالصرصري كما تقدم شعره وغيره من العلماء أن ذلك وقع في زمنهم وهم كانوا في القرن السادس قبله وبعده: (إن الصالحين مضوا وذهبوا وبقيت الحثالة التي اشتدت بها غربة الإسلام وعاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير وهؤلاء هم الذين ذكر العراقي إجماعهم وبهم اشتدت غربة الإسلام) إلى أن قال: (وقد أخطأ في هذا الأمر أناس قبلهم لهم ذكاء ومصنفات ظهر فيها خطؤهم كالفخر الرازي وأبي معشر البلخي وابن الأخنائي وابن البكري والمفيد محمد بن النعمان ذكره شيخ الإسلام وقبلهم الغزالي وغيره من أكثر المتكلمين كأبي بكر الباقلاني وإمام الحرمين وغيرهم من المتكلمين وقد اشتدت بهم غربة الإسلام لإعراضهم عن الوحيين كما لا يخفى على من عرف أحوالهم وما ذكروه في مصنفاتهم وخالفوا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ذهاب الصالحين ح (٦٤٣٤).

أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات وأيضاً فإذا كان الخطأ في أمر التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه قد أخطأ في معرفته من هو أفضل من هؤلاء المتأخرين الذين هم حثالة الحثالة فكيف يحتج بهم؟ وقد قال ابن عباس: (كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ) وقال الأئمة كذلك فلا حجة في قول أحد ولا فعله ممن يجوز عليه الخطأ فكيف إذا تبين خطؤه ومخالفته للكتاب والسنة في هذا الأصل العظيم)(١).

فإجماع أمثال هؤلاء مثل إجماع الفسقة والفجرة على الفسق والفجور فإذا كان في الدنيا إجماع فاسد باطل كاسد عاطل ـ فهو هذا الإجماع.

فهنيئاً لابن الحاج وأمثاله أن يستدلوا لدعم خرافاتهم بإجماع دعاة القبورية؟!

(١) كشف ما ألقاه إبليس ص (٣٤١، ٣٤٧، ٣٤٨).

الخرافـــة الحاديـــة عشـــرة

قال صاحب المدخل نقلاً عن ابن النعمان:

(تحقق لذوي البصائر والاعتبار: أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار: فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم، كما كانت في حياتهم.

والدعاء عند قبور الصالحين، والتشفع بهم ـ معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين)[١].

أقول: هذه الخرافة تتضمن ست طامات:

الأولى: نقله عن ابن النعمان الوثني:

وهو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المراكشي الهنتاني التلمساني الفاسي ثم المصري الصوفي أحد كبار دعاة عباد القبور القدامى (٣٨٣)[٢].

الذي ألف كتاباً سماه: «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام

(١) المدخل (١/ ٢٤٩).

(٢) ترجمته في النجوم الزاهرة (٧/ ٢٦٣)، وكشف الظنون (٢/ ١٧٠٦)، وإيضاح المكنون (٢/ ٦٨٨)، وهدية العارفين (٢/ ١٣٤)، والأعلام (٧/ ١١٨)، والمعجم (١٢/ ٦٨).

في اليقظة والمنام»[١].

وإذا عرفت أنه من دعاة القبورية فلا عبرة بكلامه.

ولا يشرب من مستنقعاته إلا دعاة عباد القبور[٢].

وقد ذكر هذا البدعي في سبب تأليف كتابه هذا ما نصه: (إن كثيراً من أئمة الإسلام قد صنفوا في الاستغاثة بالله وحده فأردت أن أؤلف في الاستغاثة برسول الله ﷺ والالتجاء إليه).

فصنف كتابه «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام»[٣].

انظر أيها الموحد إلى هذا المفرط في الدعوة إلى القبورية!!

كيف يعارض أئمة الإسلام؟!.

فهم يؤلفون كتبهم في الاستغاثة بالله تعالى والالتجاء إليه؛ ولكن هذا المبتدع «ابن النعمان» ـ يؤلف كتابه في الاستغاثة بغير الله فالإناء الفاسد لا ينضح إلا بالفاسد؛ بدليل ما قيل:

فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

ولقد وصل هذا المبتدع إلى حد:

أنه قد حج إلى قبر النبي ﷺ وكان هذا منتهى قصده؛ ولم يحج إلى بيت الله تعالى.

---

(١) لم يطبع ومنه نسخة في شستر بيتي برقم (٣٦٧٧)، كما في الأعلام للزركلي (١١٧/٧)، ونسخة في دار الكتب المصرية، كما في مقالات الكوثري (٣٩٧).

(٢) انظر المدخل ابن الحاج (٢٤٩/١)، والمواهب اللدنية للقسطلاني (٥٩٣/٤)، والجوهر للهيتمي وشرح المواهب للزرقاني (٣١٧/٨)، وصلح الأخوان (٩١) ومقالات الكوثري (٣٩٧)، والأنوار للنبهاني (٦٠٥)، والبراهين للقضاعي (٤٢٠).

(٣) انظر كشف الظنون (١٧٠٦/٢ ـ ١٧٠٧).

ومع هذا الغلو والمروق ترى أحد الغلاة وهو البكري الشافعي[١] عد هذا المروق في حسنات ابن النعمان ومناقبه[٢].

تنبيه: هناك ابن النعمان آخر غير هذا المبتدع وهو أبو عبد الله حمد بن حمد بن النعمان البغدادي أحد كبار أئمة الرافضة المعروف بابن المعلم والملقب بالمفيد (٤١٣هـ)[٣].

ومن وثنياته السافرة ومروقه من الدين ـ دين التوحيد ـ كتابه: «مناسك حج المشاهد». صرح به شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[٤].

فهؤلاء المبتدعة هم المصادر لأمثال ابن الحاج وغيره من دعاة القبورية!

الطامة الثانية:

جعله زيارة القبور محبوبة للتبرك؛ وهذه بدعة محضة وسبيل إلى الشرك كما سبق بيانه.

---

(١) هو نور الدين أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل القاهري الشافعي أحد دعاة عباد القبور، وكان من ألد الأعداء لشيخ الإسلام. ألف شيخ الإسلام في كشف هفواته كتاب الرد على البكري طبع المختصر بعنوان مختصر كتاب الاستغاثة قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى: (كان البكري في جملة من ينكر على شيخ الإسلام ابن تيمية، وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كدرة لاطمت بحراً عظيماً صافياً. أو رملة أرادت زوال جبل. وقد أضحك العقلاء عليه). انظر البداية والنهاية (١٤/١١٨)؛ وانظر ترجمته في الدرر الكامنة (٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) انظر الرد على البكري (٢٩٤).

(٣) ترجمته في تاريخ بغداد (٣/٢٣١)، والمنتظم (١٥/١٥٧)، والدول (١/٢٤٦)، والسير (١٧/٣٣٤)، والميزان (٤/٢٦، ٣٠)، واللسان (٥/٣٦٨)، والنجوم الزاهرة (٤/٢٥٨)، وأعيان الشيعة (٦/٢٠ ـ ٢٦، ١٠/١٣٣).

(٤) انظر الرد على البكري (٢٩٤).

الطامة الثالثة:

زعمه: أن بركة الصالحين بعد موتهم كما كانت في حياتهم، وهذا لون آخر من الخرافة؛ فإن التبرك لا يجوز بالحي فكيف بالميت؟ لأن التبرك لم يشرع إلا فيما ورد به النص.

الطامة الرابعة:

زعمه أن الدعاء عند قبور الصالحين معمول به عند العلماء أئمة الدين.

وهذا كذب محض؛ فإنه لم يرد في الشرع ولا عن السلف توخي القبور وزيارتها لأجل الدعاء عندها، أو دعاء أصحابها، وإنما شرعت الزيارة للاعتبار والاتعاظ، والاستغفار للميت.

الطامة الخامسة:

زعمه أن التشفع بأهل القبور معمول به عند العلماء أئمة هذا الدين؛

فإن هذا كذب مكشوف، وهو طريق إلى الشرك، ولم يرد ذلك عن أحد من أئمة هذا الدين؛

وإنما يفعله الدعاة إلى القبورية وهؤلاء ليسوا بأئمة هذا الدين دين التوحيد والسنة؛ وإنما هم أئمة دين البدعة والقبورية.

الطامة السادسة:

زعمه: أن زيارة القبور للتبرك والتشفع معمول بها عند العلماء المحققين أئمة هذا الدين، كأنه يزعم أن هذا إجماع شرعي صحيح، على أن هذا افتراء محض على سلف هذه الأمة وأئمة السنة وليس ذلك من دأب العلماء المحققين الذين عرفوا توحيد الأنبياء والمرسلين الذي أنزلت لتحقيقه الكتب السماوية، وأرسلت للدفاع عنه الرسل

الإلهية؛ فإجماع الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين بعدهم من أئمة هذا الدين على نقيض ما يقوله ابن الحاج وخلطاؤه فهذا النوع من الإجماع هو الإجماع الصحيح.

وأما ما ذكره ابن الحاج من ذلكم الإجماع ـ على جواز الشرك ووسائله ـ فهو إجماع باطل ـ لأنه إجماع أهل البدع، فمثل هذا الإجماع لا يكون حجة شرعية؛ وإنما هو حجة عند دعاة القبورية فهنيئاً لابن الحاج وغيره من أمثاله هذا النوع من الإجماع.

الخرافة الثانية عشرة

نقله عن الغزالي (٥٠٥هـ) كلاماً في الدعوة إلى القبورية ما نصه:

(وقد قال الإمام الجليل أبو حامد في كتاب آداب السفر في كتاب الإحياء له ما هذا نصه:

(القسم الثاني: وهو أن يسافر لأجل العبادة: إما بالجهاد أو حج).

إلى أن قال: (ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء، وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته..)[(١)].

أقول: هذا الكلام عليه مؤاخذات خمس:

الأولى: أن الغزالي ليس بحجة في العقيدة؛ بل هو معطل، صوفي، من دعاة القبورية، وذلك لوجوه.

الأول: أنه قد وصل به عقله إلى أنه كان يشك في المشاهدات المحسوسات والعقليات الأوليات حتى باعترافه وبيانه وشهادته على نفسه بقلمه وبنانه[(٢)].

---

(١) انظر المدخل (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، وراجع إحياء علوم الدين للغزالي.

(٢) انظر المنقذ من الضلال (٧ ـ ١٠).

فهل يعتمد في باب العقيدة عليه؟.

الثاني: أنه قد اعترف أيضاً أنه قد جرب طرق المتكلمين من الأشعرية وغيرهم والباطنية والفلاسفة وطلب منها الحق ولكنه لم يجد فيها الحق؛

إلى أن انتهى أمره إلى طريق الصوفية وأن الحق في المكاشفة والرياضة وأن هذه الطريقة هي الموصلة إلى الحق(١).

فكيف يقبل قوله هذا في العقيدة؟

الثالث: أنه قد صرح بأن اعتقاد العوام كالطود الشامخ في الثبات لا تحركه الدواهي والصواعق، وأما عقيدة المتكلم فكخيط مرسل في الهواء كهيئة الرياح مرة هكذا ومرة هكذا(٢).

فكيف يقبل قول من عقيدته كخيط مرسل في الهواء؟

الرابع: أنه قال: إن أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام(٣) ومعلوم أن الخرافات القبورية مأخوذة من أهل الكلام.

الخامس: أن الغزالي قد انتهى به التعطيل إلى حد أنه قد نزه الله تعالى عن صفة الوحدانية(٤).

السادس: أن من طامات الغزالي، أنه تابع أمثال ابن سينا من الملاحدة والزنادقة في زعمهم:

---

(١) المنقذ من الضلال (١٢ ـ ١٦، ٢٤، ٤٤)، وقواعد العقائد (٧٦، ١٠١)، وإحياء العلوم (١/ ٩٤، ٩٧).

(٢) انظر قواعد العقائد (٧٨)، وإحياء علوم الدين (١/ ٩٤)، وانظر شرح الإحياء للزبيدي (٢/ ٤٥).

(٣) انظر نقض المنطق برقم (٢٥)، ومجمع الفتاوى (٤/ ٢٨) عن الغزالي.

(٤) انظر مشكاة الأنوار (٩١ ـ ٩٢)، وانظر مقدمة الدكتور أبي العلا عفيفي لمشكاة الأنوار (٢٨).

أن الكتب السماوية والرسل جاءوا بإثبات العلو لله تعالى استدراجاً للعوام وجلباً لهم إلى الإسلام، لا أن عقيدة إثبات العلو لله - هي العقيدة الصحيحة[١].

فقد زعم أن الرسل قد كذبوا وأن الكتب السماوية جاءت بالكذب والتزوير لمصلحة الدعوة؟!

فهل يعتمد على مثله في باب العقيدة؟!

السابع: أن الغزالي له خرافات صوفية غريبة على البيئة الإسلامية[٢].

فهل يصلح أن تؤخذ عنه العقيدة؟!

الثامن: أن الغزالي قد وصل في صوفيته إلى أن يصرح بالاتحاد الصريح والإلحاد القبيح[٣].

المؤاخذة الثانية: أن نقله من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في باب العقيدة دليل على فساد عقيدة ابن الحاج؛ فإن العقيدة لا تتلقى من مثل كتاب إحياء العلوم فإن هذا الكتاب مليء بالعقائد المبتدعة.

وللإمام الطرطوشي كلام مهم حول كتاب «الإحياء للغزالي»؛ حقق فيه أن الانتفاع بسمومه القاتلة ونصره الإسلام بالآراء المنطقية - كمن يغسل الماء بالبول[٤].

ولشيخ الإسلام كلام في إحياء الغزالي حقق فيه: أن مثال سمومه للمسلمين بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين وألبسه ثياب

---

(١) انظر إلجام العوام (١٠٢ - ١٠٤)، والميزان (١٧٣).

(٢) راجع كتاب «أبو حامد الغزالي والتصوف» لعبد الرحمن دمشقية.

(٣) انظر معارج القدس (٢١٧، ٢٢٨ و ٢٢).

(٤) انظر المعيار المعرب للونشريسي (١٨٦/١٢ - ١٨٧).

المسلمين[١].

المؤاخذة الثالثة: أن قياس السفر إلى زيارة القبور على السفر إلى الجهاد والحج ـ من أبطل الأقيسة وأفسدها؛ لأن هذا القياس في معرض النص؛ والنص ينهى نهياً باتاً عن السفر إلى القبور وهو حديث شد الرحال.

وأما السفر إلى الجهاد والحج ـ فثابت بالأدلة القرآنية والسنة النبوية ولا يوجد دليل ولا شبه دليل على جواز السفر إلى القبور والحج إليها.

بل هذا من دين المشركين الذي دان به الروافض ثم سائر أهل البدع من أهل المذاهب.

المؤاخذة الرابعة: أن كُلِيَّة الإمام الغزالي: (كل من يتبرك به في حياته يتبرك به بعد مماته) ـ كلية فاسدة باطلة منقوضة.

بدليل أن النبي ﷺ كان يتبرك به في حياته ولكن الصحابة رضي الله عنهم لم يتبركوا بقبره، وكانوا يتوسلون بدعائه في حياته ـ ولكنهم لم يتوسلوا به ﷺ ولا بدعائه ولا بشفاعته بعد موته.

ولم يأت أحد منهم إلى النبي ﷺ بعد موته ليطلب منه الدعاء أو الشفاعة في كربة تنزلت به أو بلية طرأت عليه، بل الصواب أن التبرك لا يجوز إلا بشيء ثبت بالكتاب والسنة وإلا فلا.

المؤاخذة الخامسة: أن قياس الميت على الحي، وقياس الممات على الحياة، وقياس أحوال البرزخ على أحوال الدنيا من أوضح الأقيسة فساداً وبطلاناً؛ لأن هذا من قبيل الجمع بين المتخالفين، ومن قبيل قياس الضد على الضد، كقياس الضلالة على الهداية وقياس الظلمة على النور وقياس السفل على العلو وقياس العدم على الوجود

---

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ١٩٤) ط. ومجمع الفتاوى (١٠/ ٥٥١ ـ ٥٥٢).

وقياس البرد على الحر والعطش على الري والجوع على الشبع وغيرها من الأمور المتضادة التي لا تجتمع أبداً.

الخرافة الثالثة عشرة

زعمه: أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة وجوب السنن المؤكدة.

وقوله: (إنها قربة مطلوبة لنفسها)، لا تعلق لها بغيرها؛ فتفرد بالقصد وشد الرحال إليها؛

ومن خرج قاصداً إليها دون غيرها ـ فهو في أجل الطاعات وأعلاها؛ فهنيئاً له ثم هنيئاً له؛

اللهم لا تحرمنا في ذلك بمنك يا كريم)[١].

أقول: هذا باطل من وجوه:

الأول: أن شد الرحال إلىٰ القبور ليس من الواجبات ولا من السنن؛ بل ولا من المباحات؛

بل هو من البدع في الدين، قال البركوي الحنفي: (السفر إلى زيارة قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول رب العالمين ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك قربة وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ولو سافر إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه

(١) المدخل (١/ ٢٥٠).

قربة ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك)[١] إذا كان هكذا، فكيف تفرد زيارة قبر النبي بالقصد وشد الرحال إليها؟!

الوجه الثاني: أن قوله: (إنها مطلوبة لنفسها لا تعلق لها بغيرها فتفرد بشد الرحال إليها، ومن خرج قاصداً إليها دون غيرها - فهو في أجل الطاعات وأعلاها..).

قلب لشرع الإسلام؛ لأن شرع الإسلام رخص أن يشد الرحال إلى مسجد النبي ﷺ أصلاً؛

وإذا وصل الزائر إلى المسجد يجوز له أن يزور قبر النبي ﷺ؛ فيكون شد الرحل إلى المسجد هو الأصل الأصيل فقط.

الوجه الثالث: أن قوله: (إنها قربة مطلوبة لنفسها..).

وقوله: (ومن خرج قاصداً إليها دون غيرها فهو في أجل الطاعات..) يستلزم أن يشد الرجل رحله إلى زيارة قبره ﷺ فحسب؛ دون مسجده،ﷺ، ويستلزم كون من نوى زيارة القبر دون المسجد - أفضل ممن نوى زيارة المسجد، ويستلزم؛ أن من نوى زيارة المسجد - فهو ليس في الطاعة أصلاً فضلاً عن أن يكون في أجلها وأعلاها وهذا كله تحريف للدين، وتخريف في الدين، دين الإسلام دين التوحيد، لأن هذا من دين دعاة القبورية.

الوجه الرابع: أن نقول إذا ثبت أن شد الرحال لا يجوز للقبور؛ ولا يجوز إلا إلى هذه المساجد الثلاثة؛ علم أن شد الرحل إلى قبر النبي ﷺ دون مسجده ليس من الطاعات فضلاً عن أن يكون من أجلها وأعلاها فهنيئاً لدعاة القبورية تلك البدع ثم هنيئاً لهم؛ وهنيئاً لأهل التوحيد والسنة التمسك بالنهي ثم هنيئاً لهم اللهم لا تحرمنا في ذلك بمنك يا كريم.

---

(١) زيارة القبور الشركية والشرعية ص (٢٢).

الخرافة الرابعة عشرة

قال صاحب كتاب المدخل: (فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة...)(١).

أقول: قد سبق غير مرة بيان أنه لا يجوز شد الرحل إلى القبور وأن هذا ليس من الطاعات، قال شيخ الإسلام: (ولم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روي في ذلك لأهل الصحيح ولا السنن والأئمة المصنفين في المسند وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره. وأجل حديث روي في ذلك ما رواه الدارقطني وهو ضعيف باتفاق أهل العلم - بل الأحاديث المروية في زيارة قبره كقوله: (من زارني وزار أبي الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة) (ومن زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) (ومن حج ولم يزرني فقد جفاني) ونحو هذه الأحاديث كلها مكذوبة موضوعة ولكن النبي ﷺ رخص في زيارة القبور مطلقاً بعد أن كان قد نهى عنها)(٢)، بل إنه من البدع القبورية الموصلة إلى أنواع من الشرك فكيف يتعين على المكلف قصد زيارة قبورهم من الأماكن البعيدة؟

ما هذه إلا خرافة قبورية!!

---

(١) المدخل (١/ ٢٥١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص (٧٦٣).

الخرافــة الخامســة عشــرة

قال صاحب المدخل: (فإذا جاء إليهم فيتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطراد والخضوع ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم...)[١].

أقول: انظر أيها المسلم إلى قول المصنف كيف إنه يظهر البدع فإن هذه الحالة من أحوال العباد تكون عند عبادتهم لرب العباد؛ وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحضرون مجلس النبي ﷺ ولم تكن هذه الصفات صفات لهم عند رسول الله ﷺ غير السكوت والصموت والاستماع لحديثه ﷺ وحبه ﷺ والسعي في اتباع سنته ﷺ.

(١) المدخل (١/٢٥١ ـ ٢٥٢).

الخرافة السادسة عشرة

قال صاحب المدخل: (ثم يتوسل إلى الله تعالى إليهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه...)[1].

أقول: هذه خرافة أخرى وبدعة قبيحة وهي وسيلة إلى الشرك الأكبر.

ولم يثبت عن الصدر الأول التوسل بذوات الخلق لا الأنبياء ولا غيرهم، نعم قد ثبت التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته والأعمال الصالحة ودعاء الحي الحاضر، وبينهما بون بعيد وفرق شاسع؛ ولا استدلال بالحق على الباطل.

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

الخرافة السابعة عشرة

قول صاحب المدخل: (ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم...)[(١)].

أقول: الآن تأكد أن ابن الحاج من أعظم دعاة القبورية؛ فإن الاستغاثة بالأحياء الغائبين أو الأموات، بل بالأحياء الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ الشرك الأكبر والكفر الأصرح الأشد قال شيخ الإسلام: (فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار فهو كافر بإجماع المسلمين)[(٢)] وهذا هو بعينه شرك الوثنية الأولى، وقد أرسل الرسل وأنزلت الكتب لقمع هذا الشرك لأنه يضاد التوحيد الذي يبنى على عبادة الله وحده لا شريك له.

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

الخرافة الثامنة عشرة

قول صاحب المدخل: (ويقوى حسن ظنه في ذلك؛ فإنهم باب الله المفتوح)[١].

أقول: هذه خرافة أخرى؛ شبيهة ببدع الرافضة فإنهم يزعمون أن الإمام هو الباب إلى الله في قضاء الحوائج فلهم باب، والباب، اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله. وأما الرسل عليهم السلام ـ فالثابت بالاضطرار من دين الإسلام أنهم سفراء الله تعالى لإرشاد عباده وهدايتهم، فإن قصد دعاة القبورية أن الرسل باب وواسطة بين العباد وبين الله تعالى للهداية والإرشاد فهذا معنى صحيح، ولكن دعاة القبورية لا يقصدون هذا المعنى الصحيح ههنا، ولكنهم يقصدون أنهم باب وواسطة بين الله وبين العباد للاستغاثة بهم ودفع المضرات وجلب الخيرات؛ فهذا شرك صريح.

ولقد صرح بذلك جمع من الأئمة منهم شيخ الإسلام رحمه الله[٢].

---

(١) المدخل (١/٢٥٢).

(٢) انظر الواسطة بين الحق والخلق (١٠/١٣) ط. مطابع القصيم، و (٧ ـ ١٧) ط. المكتب الإسلامي لشيخ الإسلام، وصيانة الإنسان (١٨٥ ـ ١٨٦) للسهواني، وفتح المنان (٤٨٦ ـ ٤٨٧، ٥٠٢، ٥٠٤ ـ ٥٠٥، ٥٠٩)، وغاية الأماني (١/ ٢٧٧، ٢/٩ ـ ١٠، ٣٩، ٣٥٣)، كلاهما للعلامة محمود شكري الألوسي.

الخرافــة التاسعــة عشــرة

قال صاحب المدخل: (وجرت سنته، سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم)[١].

أقول: هذا تقوّل على الله تعالى وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم، فالرسل لم يدعوا الناس إلى الاستغاثة بهم ولا قالوا للناس: إن سنة الله تعالى جرت في قضاء الحاجات بأيديهم وبسببهم، ونحن نتحدى دعاة القبورية عامة أن يأتوا بنص واحد من الكتاب والسنة ينص على هذا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

الخرافـــة العشـــرون

قوله: (ومن عجز عن الوصول إليهم؛ فليرسل السلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك)[١].

أقول: لم يثبت في حديث مرفوع ولا أثر موقوف جواز إرسال السلام إلى الأموات من بعيد وإن ثبت زيارة القبور على وجه السنة ثم السلام على أهل القبور بالدعاء المأثور.

وأما ذكر الحوائج وطلب دفع الضر وجلب النفع من الأموات سواء كانوا أنبياء أو أولياء فهو من الشرك الأكبر الذي أرسل الرسل لقمعه.

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

الخرافة الواحدة والعشرون

قوله: (فإنهم السادة الكرام ـ والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل إليهم ولا من قصدهم، ولا من لجأ إليهم)[١].

أقول: بلغ المصنف النهاية في الدعوة إلى القبورية وتجرد في ذلك.

ولا شك في سيادة الرسل وكرم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولكن أين في الكتاب والسنة جواز طلب النفع أو دفع الضر من الأنبياء والأولياء والأموات والالتجاء إليهم في ذلك؟!

إنما هو شرك أكبر وقد أنزلت الكتب وأرسلت الرسل لقمعه وقمع أصحابه.

---

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

الخرافة الثانية والعشرون

قوله: (فصل: وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه ـ فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه؛

أعني في الانكسار والذل والمسكنة...)(١).

أقول: لا ريب أن نبينا ﷺ سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه.

ولكن لا يجوز الانكسار والذل والمسكنة إلا لله عز وجل فإن ذلك من العبادة.

فقوله: (فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه).

دعوة إلى الغلو المنهي عنه وإنما يجوز للرجل السفر إلى مسجد النبي ﷺ فإذا وصل يجوز له زيارة قبره الشريف ﷺ على وجه السنة لا على البدع.

---

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

الخرافــة الثالثــة والعشــرون

قوله: (لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته، ولا من استعان به أو استغاث به)[١].

أقول: كونه ﷺ الشافع المشفع في حياته ويوم القيامة حق لا ريب فيه.

وأما في البرزخ ـ فهذه عقيدة خرافية.

لأنه لم يثبت في الكتاب والسنة أن النبي ﷺ يشفع للسائلين في البرزخ. فالاستغاثة به ﷺ والاستعانة به ﷺ وهو في البرزخ نوع من الشرك الأكبر الذي جاء لقمعه نبينا ﷺ وغيره من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

---

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

الخرافــة الرابعــة والعشــرون

قوله: (إذ إنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة؛ قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: رأى صورته عليه الصلاة والسلام فإذا هو عروس المملكة)[1].

أقول: جعله ﷺ قطب دائرة الكمال غلو وإطراء وأمر لم يثبت فيه نص من الكتاب والسنة.

وأما جعله عروس المملكة ففيه توهين لجناب رسول الله، ﷺ، فدعاة القبورية أرادوا تعظيم رسول الله ﷺ فإذا هم وقعوا في توهينه، ﷺ، وأما تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ بأنه عروس المملكة، فهو تخريف قرمطي وخرافة قبورية، وأسطورة صوفية، وأما قوله: (قال علماؤنا):

فالجواب أن نقول: من هؤلاء العلماء الذين قالوا هذا؟ فإن السلف لم يقولوا بهذه الخرافة وإنما هو قول أمثال ابن الحاج من دعاة القبورية فلا يقبل قولهم في تفسير الكتاب والسنة لأنه تحريف محض وتخريف بحت.

---

(١) المدخل: (٢٥٢).

الخرافــة الخامســة والعشــرون

قوله: (فمن توسل، أو استغاث به أو طلب حوائجه منه ـ فلا يرد ولا يخيب)[(١)].

أقول: هذه دعوة سافرة إلى الوثنية.

فإن الاستغاثة به ﷺ بعد موته، وطلب الحوائج منه شرك أكبر.

وقد جاء هو ﷺ وغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزلت الكتب لقمعه وقطع دابر أهله؛ وبهذا تبين أن المصنف من الدعاة إلى الشرك (والله المستعان).

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

الخرافة السادسة والعشرون

قوله: (إذ لا فرق بين موته وحياته؛ أعني في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم؛ وذلك عنده جليّ لا خفاء فيه)[١].

أقول: تدبر أيها المسلم إلى هذا الكلام الفاسد.

كيف وصف النبي ﷺ عبد الله ورسوله ـ بصفات الخالق علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والذي هو عليم بذات الصدور!

والنبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب ولم يكن يعلم أحوال الناس نياتهم وعزائمهم وخواطرهم حينما كان حياً فكيف بعد الموت؟!

فقد كان النبي ﷺ لا يعلم حقيقة قصة الإفك، ولا قصة التأبير، ولا قصة فقدان العقد، ولا قصة مسجد الضرار، بل هناك آلاف من الحوادث والوقائع لم يكن للنبي ﷺ أي علم بها.

فكيف بعد موته ﷺ؟!

ولذا قال جمع من الفقهاء:

من قال: إن رسول الله ﷺ والملك يعلمان الغيب فقد كفر.

---

(١) المدخل (١/ ٢٥٢).

لأنه ﷺ ما كان يعلم الغيب حينما كان من الأحياء فكيف بعد الموت[1]؟!.

وتبين من هذا أن قياس الموت على الحياة من أبطل الأقيسة فلو كان في الدنيا قياس واحد باطل فهو هذا؛ نعوذ بالله من خرافات المخرفين.

وفي الأخير أقول: إن المصنف قد ناقض نفسه بنفسه حيث قال بعد هذا بقليل:

(فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف؛ كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به ويقبله، ويلفون عليه مناديلهم وثيابهم.

يقصدون به التبرك. وذلك كله من البدع.

لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام.

وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب..)[2].

أقول: إن المصنف نقض جميع خرافاته.. بهذا النص المهم المبارك القاطع لدابر دعاة القبورية.

ولعل هذا النص يعد ناسخاً لما ذكره من الخرافات قبل ذلك والله أعلم وعلمه أكمل وأتم.

---

(١) الفتاوى الهندية (٢/ ٢٢٦) والبحر الرائق (٣/ ٨٨، ٥/ ١٢٠)، خلاصة الفتاوى (٤/ ٣٨٥)، والدر المختار (٣/ ٢٩).

(٢) المدخل (١/ ٢٥٦).

الخاتمـــة

هكذا يرى القارىء أننا لم نبالغ حين وصفنا هذه الأخطاء الفاحشة بالخرافات، وقصدنا ـ والحمد لله ـ تحذير المسلمين، من هذه الأخطاء والخرافات حتى يكونوا من دينهم على بصيرة، ونسأل الله القبول، فله الحمد كما نقول وخيراً ما نقول، له الحمد في الأولى والآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التنبيهات السنية

على الهفوات
في كتاب المواهب اللدنية

قال العلامة محمود شكري الألوسي (١٣٤٢هـ) ما حاصله:

كان القسطلاني من غلاة القبورية؛ يثبت الواسطة الشركية، قياساً لله عز وجل على ملوك الدنيا.

انظر غاية الأماني (١٤٠/٢)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[3].

أما بعد:

فإن كتاب «**المواهب اللدنية**» من الكتب التي عنيت بسرد سيرة الرسول، ﷺ، وشمائله عليه الصلاة والسلام، وهو كتاب شائع، وفيه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

نفع كبير في هذا الباب، وقد انتشر بين كثير من عامة المسلمين، غير أنه قد اشتمل على بعض الهفوات المتعلقة بتوحيد العبادة، وفيه أشياء باطلة مثل الغلو في شخص النبي[١]، ﷺ، وإيجاب زيارة قبره، وغير ذلك من الأمور التي وقع فيها كثير من المنتسبين إلى الإسلام، وذلك بزعم شدة حبهم للنبي، ﷺ، وكذبوا فإن حبه يقتضي اتباعه فيما بلغ عن ربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٢] وعامة من يغلو في شأنه، ﷺ، إذا اعترض عليه أحد اتهمه بأنه لا يحب الرسول، ﷺ، وهو زعم باطل، فالمحبة تقتضي الاتباع كما سبق، وقد نهى، ﷺ، عن الغلو في شأنه فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»[٣] أخرجه البخاري من حديث عمر.

وغالب من غلا في شأنه، ﷺ، يحاول أن يحتج بالآثار الضعيفة والموضوعة لتأييده فيما ذهب إليه، كما فعل المصنف وغيره غفر الله له، ونحن لا نحاكم شخصه فإنه قد أفضى إلى الله تعالى، وإنما القصد تصحيح عقائد المسلمين، التي داخلها ذلك الدغل في كثير من البلدان، وردهم إلى عقيدة السلف الصحيحة، وعلى الرغم من ذلك فلا أدعي أني أوفيت الموضوع حقه، وهذا جهد المقل الذي يسّره الله تعالى لي، وحسبي أنني بذلت جهدي قاصداً النصح للأمة وإبراز عقيدة

---

(١) مثل ما جاء في المجلد الأول ص (٦٦) «إن الله تعالى خلق نور نبينا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به». وكذا في ص (٧١) «إن الله تعالى قد خلق قبل الأنبياء نور نبيك من نوره» وكذا في (٧٥) «لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره» وكذا في ص (٧٠) «هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً» وكذا في ص (١٤٥) ففيها أن مولد النبي ﷺ أفضل من ليلة القدر وهذا مصادم للأدلة الشرعية وغلو وإفراط وبعد عن الصراط.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

(٣) البخاري (٣٤٤٥).

أهل السنة، والنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وليس قصدي من ذلك الكتاب الرد بالتفصيل، وإنما التنبيه على مواضع الخطأ، حتى يحذرها المسلم، والرد المجمل عليها لا المفصل.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

الخطــأ الأول

أنه ذكر عدة أحاديث في الترغيب في السفر وشد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ[١].

والجواب: أن هذه الأحاديث مفتعلة موضوعة، ذكرها الإمام ابن عبد الهادي وناقشها مناقشة علمية، ومن جملة تلك الأحاديث التي استدلوا بها ما أخرجه الدارقطني[٢] بسنده قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أنبأنا أبو الربيع بن أبي داود عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»**.

ثانياً: ما أخرجه ابن عدي في الكامل قال: حدثنا علي بن إسحاق حدثنا محمد بن النعمان بن شبل حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»**[٣].

هذان الحديثان اللذان أوردناهما في هذا المقام هما نصان في هذا الموضوع ولم أقف على غيرهما من الأحاديث ما يكون نصاً في

---

(١) انظر المواهب اللدنية (٤/ ٥٧١ ـ ٥٧٢).
(٢) سنن الدارقطني (٢/ ٢٧٨) حديث رقم (١٩٢).
(٣) الكامل (٧/ ٢٤٨٠).

الموضوع وإنما هنالك أحاديث أخرى تدل على مطلق[١] زيارة قبر النبي ﷺ.

ولا نتكلم في هذا الموضع إلا ما يكون نصاً في الموضوع. وهذان الحديثان يحتاجان إلى النظر فيهما من ناحية السند.

ففي إسناد الحديث الأول راوٍ ضعيف هو حفص بن أبي داود قال عنه البخاري: تركوه[٢] وقال عنه أبو حاتم: لا يكتب حديثه وهو ضعيف الحديث[٣]، وأما الحديث الثاني ففي إسناده راويان ضعيفان وهما النعمان ابن شبل وحفيده محمد بن محمد بن النعمان بن شبل أما الأول فقد قال عنه ابن حبان يأتي عن الثقات بالطامات وعن الأثبات بالمقلوب وأما الشخص الثاني فقد قال عنه ابن حجر: متروك[٤].

لذا نجد أن ابن الجوزي رحمه الله تعالى قد أورد هذا الحديث في الموضوعات[٥]، لذا يقول شيخ الإسلام: لم يثبت عن النبي، ﷺ، حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روى أحد في ذلك

---

(١) من ذلك ما أخرجه الدارقطني في سننه (٢/٢٧٨) «من زار قبري وجبت له شفاعتي» قال عنه ابن عبد الهادي «حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث منكر» الصارم (٢١). وكذا ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٩١) رقم (١٣١٤٩) «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» قال ابن عبد الهادي في الصارم ص (٤٩) «حديث ضعيف الإسناد منكر المتن». وكذا ما أخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم (٦٥) «من زار قبري أو من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً» قال عنه ابن عبد الهادي في الصارم (٩٦) «هذا حديث ليس بصحيح لانقطاعه وجهالة إسناده واضطرابه».
راجع الصارم المنكي وهو مطبوع عدة طبعات.

(٢) التاريخ الكبير (٢/ ٣٦٣).

(٣) الجرح والتعديل (٣/ ١٧٤).

(٤) تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٥).

(٥) (٢/٢١٧).

شيئاً لا أهل الصحيح ولا السنن ولا الأئمة المصنفون في المسند كالإمام أحمد وغيره وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره وأجلّ حديث روي في ذلك ما رواه الدارقطني وهو ضعيف باتفاق أهل العلم بل الأحاديث المروية في زيارة قبره ﷺ مكذوبة وموضوعة[١]. وقال كذلك: (وأما قوله من زار قبري وجبت له شفاعتي) وأمثال هذا الحديث مما رُوي في زيارة قبره ﷺ فليس منها شيء صحيح ولم يرو أحد من أهل الكتب المعتمدة منها شيئاً لا أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم ولا أصحاب السنن كأبي داود والنسائي ولا الأئمة من أهل المسانيد كالإمام أحمد وأمثاله ولا اعتمد على ذلك أحد من أئمة الفقه كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأمثالهم بل عامة هذه الأحاديث مما يعلم أنها كذب موضوعة كقوله: «**من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة**» وقوله: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**»، فإن هذه الأحاديث ونحوها كذب...)[٢].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٠١).

(٢) الفتاوى (٢٧/٢٩).

الخطــأ الثانــي

قال المصنف:

(اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام...)[١].

أقول: هذا الكلام فيه حق وباطل، بل فيه غلو عجيب، وتكفير سافر غريب. وفيه تطرف وإفراط، وانحراف عن سواء الصراط.

فأما الحق:

فهو أن زيارة قبر النبي، ﷺ، بدون السفر وبدون شد الرحال إليه سنة؛ لأن النبي، ﷺ، رغب في زيارة القبور بصيغة عامة فيدخل فيها قبر النبي، ﷺ، بالطريق الأحرى أي بطريقة السنة.

وهي أن لا تكون الزيارة متضمنة لأي نوع من أنواع الشرك أو البدع وأن لا تكون بالسفر وشد الرحل.

بل تكون زيارة المسجد النبوي هي المقصودة بالسفر وشد الرحل، وإذا جاء المسلم إلى المسجد من بعيد أو قريب فإنه يجوز له

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٠).

زيارة قبر النبي، ﷺ، بعدما يصلي ركعتين تحية المسجد.

ويشترط ألا يكون المقصود من زيارة قبره، ﷺ، إلا التزهيد في الدنيا والتذكير بالآخرة والاعتبار والندم على الذنوب واستحضار الموت والبلى، وذكر هادم اللذات، والاهتمام بمتابعة سنته، ﷺ، والاعتصام بطريقته والصلاة عليه، ﷺ، مع أن الصلاة عليه من بعيد كالصلاة من قريب وعلى العكس.

هذه هي الزيارة السنيّة التي عليها أصحاب النبي، ﷺ، والذين اتبعوهم بإحسان ومن بعدهم من أئمة السنة والقرآن.

أما الباطل فأنواع:

الأول: قوله: (اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات...) إلى آخره.

لأن ما كان من أعظم القربات فهو من الفرائض والواجبات التي ثبتت من الدين بالضرورة، وأما زيارة قبره، ﷺ، فهي سنة، ولكن على وجه السنية، فلا يجوز الغلو والإسراف.

والثاني: أن قصد المصنف أن السفر إلى قبر النبي، ﷺ، من أعظم القربات، وهذا قلب للحقائق وتحريف للدين، لأن السفر إلى القبور وشد الرحال والحج إليها بدعة دخيلة على الإسلام، قال البركوي: (السفر إلى زيارة قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول رب العالمين ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك قربة وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ولو سافر إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة. ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليه إلا لذلك)[1] وهو أمر لا يجوز في الإسلام فضلاً عن أن يكون قربة إلى الله عز وجل فما بالك بأن يكون من أعظم القربات.

---

(١) زيارة القبور الشركية والشرعية ص (٢٢).

بل إن السفر والحج وشد الرحال إلى القبور من أعظم ذرائع الشرك والوثنية وعبادة غير الله تعالى كما هو محسوس ملموس مشاهد في الأقطار والقرى والأمصار في شرق الأرض وغربها في كل بلاد العالم الإسلامي من الشام إلى مصر وتركيا والهند وأفغانستان والمغرب العربي إلى اليمن وأفريقيا وكل مكان.

ولا سيما إذا خالط ذلك أمور شركية وأفعال وثنية، كالنذر لأصحاب القبور (والاستغاثة بهم) والاعتقاد فيهم أنهم يعلمون الغيب، ويقدرون على جلب النفع ودفع الضر، كما ترى ذلك بالعيان على رؤوس الأشهاد، حيث عم البلاء العباد والبلاد.

الثالث: قوله: (ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع عن ربقة الإسلام...).

أقول: هذا تهور ماكر وتكفير سافر، صادر عن مبتدع؛ لأن المسلم لا يكفر بمثل هذه المسائل ولا ينخلع عن ربقة الإسلام، فالمصنف هو الذي خالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام؛ لأن تكفير المسلم ليس بالأمر الهين، فالمسلم لا يكفر ولا يرتد عن دين الإسلام ولا ينخلع عن ربقة الإسلام ولا يحكم عليه بالكفر والردة إلا بارتكاب كفر بواح أو شرك صراح، وبعد إقامة الحجة عليه، وإزالة الشبهة التي لديه، قال فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين: (فإن قال قائل هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟ قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنّة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفّر ولا يفسّق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله ـ تعالى ـ في الحكم وعلى

المحكوم عليه في الوصف الذي نبذه به.

الثاني: الوقوع فيما نبذ به أخاه إن كان سالماً منه. ففي صحيح مسلم[(١)] عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»[(٢)].

وفي رواية: «**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[(٣)] وفيه عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ «**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[(٤)].

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل بالمعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[(٥)].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ

---

(١) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩) (١١١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧٩) رقم (٦٠).

(٣) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩) ح (١١٢).

(٥) سورة النساء، الآية: (١١٥).

وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾[(١)].

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفّر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له. ومن الموانع: أن يقع بما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه، ولذلك صور، منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به، فلا يكفر حينئذ.

ومنها أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك. ودليله ما ثبت في صحيح مسلم[(٢)] عن أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[(٣)].

الرابع: أن قوله هذا ـ مع هذا التهور ـ منصب على السفر وشد الرحل والحج إلى قبر النبي، ﷺ، وقد عرفت أن هذا من الأعمال البدعية المحرمة فليس في الإسلام الحج إلى القبور ولا السفر إليها ولا شد الرحال إليها، فمن خالف هذا الأمر المحرم البدعي كيف يحكم عليه بأنه كافر أو مرتد، أو انخلع عن ربقة الإسلام؟

بل الأمر بالعكس: فمن اعتقد أن السفر إلى القبور والحج إليها وشد الرحل إليها من أعظم القربات وكفّر من لا يقول بذلك هو في الحقيقة حَرِيٌّ بأن يحكم عليه بأنه قد انخلع من ربقة الإسلام؛ إن أصر

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١١٥، ١١٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٤) كتاب التوبة حديث رقم (٢٧٤٧).

(٣) القواعد المثلى في صفات الله الحسنى (١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩).
والحديث أخرجه البخاري (٧/ ١٤٦) كتاب الدعوات ومسلم (٤/ ٢١٠٤) رقم (٢٧٤٧).

على هذا الاعتقاد؛ لأنه اعتقد في أمر محرم مبتدع محدث أنه من أعظم القربات وأرجى الطاعات، وهكذا حال أهل البدع؛ يعبدون الله تعالى بالبدع، ويكفرون أهل السنة المحضة أصحاب الحديث وأهل الأثر بسبب مخالفتهم لتلك البدع، ولكن أهل الحديث والسنة المحضة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة من الفرق المبتدعة ـ ولو كانت بدعتهم وصلت إلى حد الكفر ـ إلا بعد إقامة الحجة وإيضاح المحجة.

الخطـــأ الثالـــث

قوله: (وأطلق بعض المالكية... أنها واجبة..)[1].

قلت: عليه مؤاخذتان:

الأولى: أن إطلاق بعض المالكية على الزيارة أنها واجبة[2] تهور محض لا يصدر عن عالم متثبت، وإنما هي طريقة أهل البدع، والقسطلاني يعتمد على النقل عن دعاة القبورية؛ لأنه لم يرد دليل واحد على وجوب الزيارة.

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٠).

(٢) لم أقف على قول للإمام مالك وأصحابه الأوائل على وجوب السفر إلى زيارة قبر النبي ﷺ بل الذي وقفت عليه في الجملة يخالف ما يقرره المصنف ويدعو إليه. من ذلك ما جاء في كتاب الحوادث والبدع ص (٢٩٤ ـ ٢٩٥) قال: «كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد» وقال كذلك: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي» فتح المنان ص (٣٥٨) وقيل للإمام مالك: «إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك» فتح المنان ص (٣٥٨).

الثانية: أن هذا الكلام منصب على أن السفر إلى زيارة قبر النبي، ﷺ، واجب.

وهذه بدعة على بدعة.

فإن هذا النوع من السفر بدعة ومعصية في الدين وهو أمر غير مشروع كما سبق فضلاً عن أن يكون جائزاً في الإسلام!

فما بالك بأن يكون ذلك واجباً في دين التوحيد؟

والصواب أن يقال:

إن زيارة القبور عامة وزيارة قبر النبي، ﷺ، خاصة سنة ولكن بطريقة السنة.

الخطـــأ الرابـــع

أنه قد ذكر حديث: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**».

ثم قال: «ولا يصح».

ومع ذلك الاعتراف بنى عليه زعمه:

أن زيارة قبر النبي، ﷺ، واجبة، وأن هذا الحديث ظاهر في حرمة ترك الزيارة؛ لأن تركها جفاء، والجفاء أذًى، والأذى حرام، فالزيارة واجبة[(١)].

قلت: يرثى لحال المصنف وغيره من الدعاة إلى الغلو في شأن القبور، كيف يبنون صغرى قياسهم وكبراه، ومقدماته وأحكامه ونتائجه على حديث باطل باعترافهم؟!

فإذا كان القسطلاني يعترف ويشهد بنفسه على أن هذا الحديث لا يصح، فكيف ينبني عليه: أن ترك الزيارة محرم؛ لأنه جفاء، وأن الزيارة واجبة؟!

---

(١) انظر المواهب اللدنية (٤/ ٥٧١).

الخطأ الخامس

أن المصنف قد استدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ . . .﴾[١] على وجوب زيارة قبره، ﷺ، مطلقاً، سواء كانت بالسفر وشد الرحل أم لا[٢].

قلت: هذا باطل وتحريف لهذه الآية الكريمة. وذلك لوجهين:

الأول: أن هذه الآية خاصة بحياته، ﷺ، كما يظهر من تفاسير السلف. قال أبو جعفر الطبري: (يعني بذلك جل ثناؤه لو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين الذين إذا دعوا إلى حكم الله صدوا صدوداً إذ ظلموا أنفسهم باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها. . جاؤوك تائبين منيبين فسئل الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم وسألوا رسوله ﷺ مثل ذلك وذلك هو معنى قوله فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول. وأما قول: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يقول: راجعاً لهم مما يكرهون إلى ما يحبون «رحيماً» في تركه عقوبتهم)[٣].

---

(١) سورة النساء، الآية: (٦٤).
(٢) انظر المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٢).
(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٥١٧).

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ يرجع إلى المتحاكمين اللذين سبق ذكرهما.

قال ابن عباس: (ظلموا أنفسهم بسخطهم قضاء الرسول ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾)[١].

ويقول ابن كثير رحمه الله: (يرشد تعالى العصاة المنيبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم وغفر لهم ولهذا قال: لوجدوا الله تواباً رحيماً)[٢].

ويقول ابن سعدي في تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: (﴿إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها. وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك)[٣].

ويقول سيد قطب رحمه الله: (والذين يتناولهم هذا النص ابتداءً كان لديهم فرصة استغفار الرسول ﷺ وقد انقضت فرصتها وبقي باب الله مفتوحاً لا يغلق)[٤].

ويقول محمد بن بشير السهسواني: (والمجيء إلى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل ولا يفهم منه أصلاً أمر زائد على هذا فإن الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته هي

---

(١) زاد المسير (٢/ ٢٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٩).

(٣) تفسير كلام المنان (٢/ ٩٣).

(٤) ظلال القرآن (٢/ ٦٩٦).

المذكورة في الآية وإنما هي المجيء إليه، ﷺ، في الحياة بعد الظلم واستغفارهم عنده في الحياة بعد الظلم واستغفار الرسول ﷺ في الحياة بعد الظلم وفي زيارة القبر لا يوجد واحد من هذا)[١].

والثاني: أن السفر وشد الرحال والحج إلى القبور محرم في الإسلام وبدعة في الدين وطريق إلى الوثنية!!. فكيف يجوزه القرآن الذي نزل لتحقيق التوحيد الخالص، وقمع كل صور الشرك وقطع كافة وسائله؟؟؟

(١) صيانة الإنسان ص (٢٤ ـ ٣١).

الخطـــأ الســـادس

قوله: (... ولأن زيارة القبور تعظيم: وتعظيمه، ﷺ، واجب...)[1].

قلت: أراد المصنف أن يستدل على وجوب شد الرحال والسفر والحج إلى قبره، ﷺ، عن طريق أقيسة منطقية، فذكر دليل صغرى قياسه وكبراه، وضرب صفحاً عن دعواه ونتيجته، وكان تقرير قياسه على طريقة القياس الحملي هكذا:

السفر إلى زيارة قبره، ﷺ، واجب؛ لأن زيارة قبر النبي، ﷺ، تعظيم له، وكل ما هو تعظيم له، ﷺ، فهو واجب، فالسفر إلى زيارة قبر النبي، ﷺ، واجب.

وتقريره على طريقة القياس الشرطي الوضعي الذي فيه مقدم وتال ـ هكذا: إن السفر إلى قبره الشريف واجب؛ لأنه لو كان تعظيم النبي ﷺ واجباً لزم أن يكون السفر إلى قبره الشريف واجباً؛ لأن المقدم حق فالتالي مثله.

أقول: هذه كلها مغالطة مكشوفة؛ لأنه لا شك أن تعظيم النبي، ﷺ، واجب بل هو من أعظم الواجبات؛ ولا يمكن لشخص أن يسلم بدون تعظيم النبي، ﷺ، فمن لا يعظم النبي، ﷺ، فهو كافر خارج

---

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٣).

عن الإسلام بلا ريب، فلا خلاف على وجوب تعظيم النبي، ﷺ، إنما الخلاف والإنكار في وسائل التعظيم وصوره فتعظيم النبي، ﷺ، لا يستلزم السفر والحج وشد الرحل إلى قبره، ﷺ، فإنه محرم في الإسلام وبدعة في الدين، بل تعظيمه، ﷺ، يكون في اتباع سنته، ﷺ، والتمسك بهديه، ﷺ، والاعتصام بأوامره واجتناب ما نهى عنه.

الخطـــأ السابـــع

قوله في التشنيع على شيخ الإسلام بغياً وعدواً: (وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية، وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك)[١].

أقول: أكتفي بما قاله شارح كتاب المواهب اللدنية الزرقاني الحنفي ـ وكفى الله المؤمنين القتال ـ:

قال ابن عبد الهادي:

(إن ابن تيمية لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه، ولم يكرهها، بل استحبها، وحض عليها، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبره، ﷺ، وسائر القبور؛ وإنما تكلم على شد الرحال إلى مجرد زيارة القبور.

فذكر قولين للعلماء: المتقدمين، والمتأخرين:

أحدهما: إباحة ذلك، كما يقوله بعض أصحاب الشافعي وأحمد.

والثاني: أنه ينهى عنه؛ كما نصّ عليه مالك، ولم ينقل عن أحد من الثلاثة خلافه. وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد،

---

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٤).

واحتج ابن تيمية للثاني بحديث الصحيحين: «**لا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد**».

فأي عتب على من حكى الخلاف في مسألة بين العلماء، واحتج لأحد القولين بحديث صحيح؟

ولكن نعوذ بالله من الحسد، والبغي، واتباع الهوى)[١].

(١) شرح المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٤).

الخطــأ الثامــن

قوله: (ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في «شفاء السقام» فشفى صدور المؤمنين)[١].

قلت: كلا وحاشا، ومعاذ الله؛ بل السبكي هذا قد شفى صدور دعاة عباد القبور بكتابه «شفاء السقام» الذي هو دعوة سافرة إلى الغلو في الأموات.

فإن هذا الكتاب خارج على طريقة المؤمنين الموحدين، وفيه مناصرة لدعاة القبورية وفتح لأبواب الشرك والبدع. وكلامه ليس من كلام أهل العلم بالكتاب والسنة، وإنما أتى بالتشطيب والتشنيع؛ كما قال العلاّمة الألوسي:

(وقد شنع التاج[٢] السبكي كما هو عادته على المجد[٣]...)[٤].

---

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٤).
(٢) هكذا في الأصل وهو خطأ والصواب (التقي) لأن التاج هو ابنه.
(٣) هكذا في الأصل والصواب (التقي) لأن المجد هو جده.
(٤) روح المعاني (٦/ ١٢٦).

الخطــأ التاســع

قوله بجواز تقديم زيارة قبر النبي، ﷺ، على صلاة التحية في مسجد رسول الله ﷺ[١].

قلت: هذا من الغلو والإفراط ومخالفة سواء الصراط؛ فإن هدي السلف في ذلك أن الزائر للمسجد إذا دخل المسجد يصلي ركعتين تحية المسجد ثم يزور قبر النبي ﷺ فما زعمه المصنف نقلاً عن دعاة عباد القبور هو قلب للشريعة وتحريف للدين.

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٩).

الخطأ العاشر

زعمه استقبال القبر الشريف عند الدعاء واستدبار القبلة[١].

قلت: هذه بدعة سافرة، فالسنة استقبال القبلة عند الدعاء لا القبر الشريف، وعلى ذلك عمل سلف هذه الأمة وأئمة السنة[٢].

أما استدلاله على استقبال القبر الشريف عند الدعاء وعلى التوسل به ﷺ، بقصة المنصور وحواره لمالك وقوله له، حيث قال المنصور لمالك: (يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو)؟.

فقال له مالك:

(ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة)[٣].

فهذه الرواية ضعيفة أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد[٤].

---

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٨٠).

(٢) انظر صيانة الإنسان (٢٦٤) وفتح المنان (٣٥٨ ـ ٣٥٩) وتيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨) والأم (١/ ٤٦)، وشرح مسلم للنووي (٧/ ٣٨) والزواجر (١/ ١٩٤) والتوسل والوسيلة ص ٢٩٣ وروح المعاني (٦/ ١٢٥) وكشاف القناع (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(٣)(٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨) وكذا الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال: «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد=

الخاتمـــة

ليس المقصود انتقاص القسطلاني رحمه الله، وإنما التنبيه على أخطائه حتى يحذر منها المسلم ويعرف أمر دينه كما يريد منه الشرع الحنيف.

وأسأل الله ألا نكون قد تجاوزنا في كلامنا حدود الله تعالى، ونسأله القبول والسداد والتوفيق، إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبـه

د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

= رسول الله ﷺ قال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوماً وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾. [سورة الحجرات، الآية: ٢]. فهذه حكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرفة انظر صيانة الإنسان (٢٥٥) وفتح المنان (٣٥٩) كذا الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾. [سورة النساء، الآية: ٦٤]. فهي حكاية باطلة ولم يذكر عن أهل العلم المحققين أنهم استحبوا أن يسأل بعد الموت لا استغفار ولا غيره وكلام الإمام مالك المنصوص ينافي هذا انظر فتح المنان ص (٣٦٠).

وأما ما روى ابن زبالة وهو في أخبار المدينة عن عمر بن هارون عن سلمة بن وردان وهما ساقطان قال: رأيت مالك بن أنس يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو فالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد ص (٣٩٩).

القسم الثاني

وفيه نماذج لكتب لأهل العلم من غير الحنابلة في بيان زيارة القبور الشرعية والشركية وفيه أربعة كتب:

١ - زيارة القبور الشرعية والشركية لمحيي الدين البركوي الحنفي.

٢ - المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية لمحمد سلطان المعصومي الحنفي.

٣ - حكم الله الواحد الصمد في الطالب من الميت المدد لأحمد الرومي الحنفي.

٤ - المجالس الأربعة من مجالس الأبرار لأحمد الرومي الحنفي.

زيارة القبور
الشرعية والشركية

تأليف

محيى الدين البركوي الحنفي

المتوفى سنة ٩٨١هـ

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(٢)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

ثم أما بعد:

فلقد وقع القبوريون المعاصرون فيما وقع فيه المشركون السالفون في صرفهم العبادة لغير الله، حيث صرف هؤلاء القبوريون كثيراً من أنواع العبادة لغير الله، فتراهم يقصدون القبور التي يعظمونها للصلاة عندها والطواف بها، والذبح لها أو عندها، والاستشفاع بها، بل وطلب الحوائج منها: كجلب النفع ودفع الضر، وغير ذلك، كل هذا صرّح به المؤلف وهو ما دعاه إلى وضع تأليف هذا الكتاب وسمّاه «زيارة القبور الشرعية والشركية» أو «زيارة القبور وبدعيتها واستحبابها».

والمؤلف محيي الدين محمد البركوي الحنفي من كبار علماء الحنفية في بلاد الروم وقد عاصر الحكم العثماني في القرن العاشر الهجري، فقد قال المؤلف رحمه الله: (إن كثيراً من الناس في هذا الزمان جعلوا بعض القبور كالأوثان يصلون عندها ويذبحون القربان ويصدر منهم أفعال وأقوال لا تليق بأهل الإيمان فأردت أن أبين لهم ما ورد به الشرع في هذا الشأن حتى يتميز الحق من الباطل).

من هنا يتبين لنا قيمة هذه الرسالة، حيث إن المؤلف عالج الانحرافات العقدية في عصره ولا سيما منها ما يتعلق بالقبور، وتصدّى لبيان الحق مع قلة أهله، واندراس معالمه، وعفو آثاره، ورغم انتشار الباطل وظهور أهله، وهو ممن قاموا لإعلاء كلمة الله بالحجة والبيان، وإظهار الحق وقمع الباطل، ولم يزل هناك قائم لله بالحجة في كل عصر ومصر، وهذا من حفظ الله ـ عز وجل ـ لهذا الدين وإظهاره له.

وقد طبعت هذه الرسالة طبعتين:

الأولى: صورتها دار الكتب العلمية عن طبعة مصرية قديمة، وهي مطبوعة على هامش كتاب «شرح شرعة الإسلام» لسيد علي زادة.

والثانية: طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

ومنهجي في إخراج هذه الرسالة ما يأتي:

١ ـ جعلت طبعة الرئاسة العامة أصلاً، واعتمدت عليها في إخراج هذا الكتاب.

٢ ـ ترجمت للمؤلف ترجمة موجزة.

٣ ـ عزوت الآيات القرآنيّة إلى مواضعها.

٤ ـ خرجت الأحاديث النبويّة مع بيان درجتها ما أمكن.

٥ ـ وضعت عناوين جانبية توضح فحوى فقرات الكتاب.

والله أسأل أن ينفع بها كل من قرأها من المسلمين، وأن يغفر للمؤلف ولمن ساعد في نشرها، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه

محمد الخميس

التعريف بالمؤلف

هو الشيخ محيي الدين محمد البركوي الرومي الحنفي، ولد ونشأ في قصبة بالي كسرىٰ، وطلب العلوم الشرعية على ثلة من علماء بلده ومنهم:

١ ـ محيي الدين المشهور بأخي زادة.

٢ ـ المولوي عبد الرحمن أحد قضاة الدولة العثمانية، وغيرهما.

وعرف عنه ـ رحمه الله ـ الغيرة على الدين، والتصدي للمنكرات والمخالفات الشرعيّة، لا يخشى في الله لومة لائم، وعرف بالوعظ والتأثير على الناس، فكان ـ رحمه الله ـ يدرّس تارة، ويعظ أخرى، فقصده الناس، وأوى إليه الطلبة من كل مكان، وأكبّ هو على الاشتغال بيومه وأمسه، وانتفع الناس بوعظه ودرسه، واشتغل بالتصنيف والتأليف في شتىٰ علوم الشريعة، وعلوم الآلة.

ومن تصانيفه:

١ ـ الطريقة المحمدية وهو أشهر كتبه حيث عكف عليه الحنفية وشرحوه بعدة شروح.

٢ ـ شرحه لمختصر البيضاوي في النحو.

٣ ـ جلاء القلوب.

٤ ـ أحوال أطفال المسلمين.

٥ ـ حاشيته على إنقاذ الهالكين.

٦ ـ زيارة القبور الشرعيّة والشركيّة. وهو كتابنا هذا وغير ذلك.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر جمادى الأولى سنة ٩٨١ هجرية[١].

---

(١) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم ص (٤٣٦، ٤٣٧). وانظر ترجمته في: كشف الظنون (٢/ ١١١١ ـ ١١١٣)، وإيضاح المكنون (١/ ٢) وهدية العارفين (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، والأعلام للزركلي (٦/ ٦١)، ومعجم المؤلفين (٩/ ١٢٣، ١٢٤)، ومعجم المؤلفات لسركس (١/ ٦١٠).

[خطبـــة المؤلـــف]

بسـم الله الرحمـن الرحيـم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفة أمشاج وجعله سميعاً بصيراً، وهداه النجدين، فمنهم من سلك طريق الجنة، ومنهم من اختار سعيراً، والصلاة والسلام على أفضل من أرسل بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا له في إحياء الدين معيناً وظهيراً، وهو في مجاهدتهم لم يتخذوا من دون الله وليًّا ولا نصيراً.

[سبب تاليف الكتاب]:

سبب تأليف الكتاب

وبعد: فهذه أوراق انتخبتها من «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» للشيخ الإمام العلامة ابن قيم الجوزية[(١)]، جعل الله روحه مع الأرواح التي رجعت إلى ربها راضية مرضيّة، كتبتها لبعض إخوان الآخرة، مع ضم ما وجدته في الكتب المعتبرة، لأن كثيراً من الناس في هذا الزمان، جعلوا بعض القبور كالأوثان، يصلون عندها، ويذبحون القربان، ويصدر منهم أفعال وأقوال لا تليق[(٢)] بأهل الإيمان، فأردت أن أبيّن لهم ما ورد به الشرع في هذا الشأن حتى يتميز الحق

---

(١) في نسخة دار الكتب (الجوزي).

(٢) في نسخة دار الكتب (يليق).

من الباطل عند من يريد تصحيح الإيمان، والخلاص من كيد الشيطان، والنجاة من عذاب النيران، والدخول في دار الجنان، والله الهادي وعليه التكلان.

[سبيل السعادة في الدنيا والآخرة]

اعلم: أن السعادة العظمى، والكرامة الكبرى في الدنيا والعقبى لا تحصل إلا بمتابعة خاتم النبيّين، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين، لكن الشيطان للإنسان عدو مبين، يصدهم بأنواع مكائده عن الصراط المستقيم، ويدعوهم إلى الإثم العظيم، ليكونوا من أصحاب الجحيم، وغاية بغيته سلب الإيمان، حتى يكونوا من أهل الخلود في النيران.

فتنة القبور من أعظم مكائد الشيطان

ومن أعظم مكائده التي كاد بها أكثر الناس وما نجا منها إلا من لم يرد الله ـ تعالى ـ فتنته، ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله ـ تعالى ـ، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله ـ تعالى ـ، وكان ابتداء هذا الداء العظيم في قوم نوح، عليه السلام، كما أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عنهم، حيث قال: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

(١) سورة نوح الآيات: (٢١ ـ ٢٣).

قال ابن عباس وغيره من السلف: (كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح، عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم)(١).

التحذير من بناء المساجد على القبور

وكان هذا مبدأ عبادة الأصنام، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله، ﷺ، في الحديث المتفق على صحته عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، يقال لها: «مارية» فذكرت ما رأته فيها، وقال رسول الله ﷺ: **«أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شر الخلق عند الله تعالى»**(٢).

ففي هذا الحديث ما ذكر من الجمع بين التماثيل والقبور فلما كان مبدأ عبادة الأصنام ومنشؤها من فتنة القبور، نهى رسول الله، ﷺ، أمته عن الافتتان بها بوجوه كثيرة:

منها: أنه عليه الصلاة والسلام، نهى عن اتخاذها مساجد، كما ثبت في صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمعت رسول الله، ﷺ، قبل أن يموت بخمس يقول: **«ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**(٣).

---

(١) البخاري (٩/ ٥٣٥) ح (٤٩٢٠) في التفسير باب (وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) البخاري (٣/ ٢٤٧) ح (١٣٤١) في الجنائز باب بناء المسجد على القبر مسلم (١/ ٣٧٥) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد. من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٣) مسلم (١/ ٣٧٧) ح (٥٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور، من حديث عبد الله بن الحارث النجراني عن=

وفي الصحيحين عن «عائشة» ـ رضي الله عنها ـ أنه عليه السلام، قال في مرضه الذي لم يقم منه: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. يحذر ما صنعوا[١].

قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره عليه السلام، لكن خشي أن يتخذ مسجداً[٢].

حرص الصحابة على حماية جناب التوحيد

وقوله «خُشي» بضم الخاء تعليل لمنع إبراز قبره عليه السلام، فإنهم اختلفوا بعد موته عليه السلام، في موضع دفنه حتى سمعوا ما روي عنه عليه السلام، أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون. فلما كان هذا من خصائصهم دفنوه في حجرتها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء لئلا يصلي أحد على قبره ويتخذوه مسجداً، فإنه عليه السلام، نهى أمته عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته؛ ثم لعن من فعل ذلك من أهل الكتاب تحذيراً لهم أن يفعلوا ذلك.

منع العلماء من بناء المساجد على القبور

وقد صرَّح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد[٣] عليها، والصلاة إليها[٤]، متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة؛ ونص أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك.

= جندب رضي الله عنه مرفوعاً بتمامه وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٤٠) من أول قوله «إن من كان قبلكم».

(١) البخاري (٧/ ٧٤٧) ح (٤٤٤٣) في المغازي باب رحمة النبي ﷺ ووفاته. مسلم (١/ ٣٧٧) ح (٥٣١) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور. من حديث عبيد الله بن عبد الله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً.

(٢) هذه الزيادة في بعض طرق الحديث السابق وهي عند البخاري (١/ ٢٣٨) ح (١٣٣٠) في الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، مسلم (١/ ٣٧٦) (٥٢٩) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور ـ من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها ـ.

(٣) في نسخة دار الكتب (المسجد).

(٤) في نسخة دار الكتب (فيها).

وطائفة وإن أطلقت الكراهة لكن ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم إحساناً للظن بالعلماء وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله، ﷺ، لعن فاعله والنهي عنه.

النهي عن زيارة النساء للقبور واتخاذ السرج عليها

ومنها: أنه عليه الصلاة والسلام، نهى عن إيقاد السرج عليها لما روى الإمام أحمد وأهل السنن عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه عليه السلام، لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[1].

فكل ما لعن عليه رسول الله، ﷺ، فهو من الكبائر، وقد صرَّح الفقهاء بتحريمه، وقال أبو محمد المقدسي: لو كان اتخاذ السرج عليها مباحاً لم يلعن من فعله؛ وقد لعن لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور تشبيهاً بتعظيم الأصنام؛ ولهذا قال العلماء: لا يجوز أن ينذر للقبور، لا شمع، ولا زيت ولا غير ذلك؛ فإنه نذر معصية لا يجوز الوفاء به[2] بالاتفاق، ولا أن يوقف عليها شيء لأجل ذلك، فإن هذا الوقف لا يصح ولا يحل إثباته وتنفيذه.

---

(١) النسائي (٤/ ٩٤، ٩٥) في الجنائز باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، أبو داود (٣/ ٥٥٨) ح (٣٢٣٦) في الجنائز باب في زيارة النساء للقبور، الترمذي (٢/ ١٣٦) ح (٣٢٠) في الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً، وقال حديث حسن، وابن ماجه (١/ ٥٠٢) ح (١٥٧٥) في الجنائز باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور، جميعهم من طريق أبي صالح عن ابن عباس به، غير أن ابن ماجه اقتصر على قوله لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور.
وأخرجه كذلك ابن حبان (٥/ ٧٢) ج (٢١٦٩) باب ذكر لعن المصطفى، ﷺ، المتخذات المساجد والسرج على القبور والحاكم (١/ ٣٧٤) وقال أبو صالح هذا ليس بالسمان المحتج به إنما هو بأذان ولم يحتج به الشيخان لكنه حديث متداول فيما بين الأئمة ووجدت له متابعاً من حديث سفيان الثوري في متن الحديث فخرجته ووافقه الذهبي على هذا الكلام. لكن قال ابن حبان (٥/ ٧٢) إحسان، قال: أبو صالح ميزان ثقة وليس بصاحب الكلبي ذاك اسمه باذام.

(٢) في نسخة دار الكتب «لا يجوز الوفاء بالاتفاق».

النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه.

ومنها: أنه عليه السلام، نهى عن تجصيصها والبناء عليها، كما روى مسلم في صحيحه عن جابر ـ رضي الله عنه ـ: «**أنه عليه السلام، نهى عن تجصيص القبر وأن يُبنى عليه**»(١)، قيل هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: البناء عليه بالحجارة وما يجري مجراها، والآخر أن يضرب عليه خباء ونحوه، وكلا الوجهين منهي عنه لعدم الفائدة فيهما مع إضاعة المال، وبكونه(٢) من صنيع أهل الجاهلية.

ومنها: أنه عليه السلام، نهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود في سننه عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه السلام، نهى عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها(٣).

ومنها: أنه عليه السلام، نهى عن الزيادة عليها من غير ترابها كما روى أبو داود عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أيضاً أنه عليه السلام، نهى عن تجصيص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٦٧) ج (٩٧٠) في الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، والنسائي (٤/٨٨) في الجنائز باب تجصيص القبور، وأبو داود (٣/٥٥٢) ج (٣٢٢٥) في الجنائز باب في البناء على القبر، والترمذي (٣/ ٣٦٨) ج (١٠٥٢) في الجنائز باب كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها، وابن ماجه (١/٤٩٨) ح (١٥٦٢) في الجنائز باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها، جميعهم من طريق أبي الزبير عن جابر مرفوعاً.

(٢) في نسخة دار الكتب (لكونه).

(٣) أبو داود (٣/ ٥٥٢) ح (٣٢٢٦) في الجنائز باب في البناء على القبر، الترمذي (٣/٣٦٨) ج (١٠٥٢) في الجنائز باب كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها من طريق أبي الزبير عن جابر، وأوردها النسائي (٤/ ٨٦، ٨٧) من حديث سليمان بن موسى وأبي الزبير عن جابر قال وزاد سليمان بن موسى أو يكتب عليه، ومن طريق سليمان أيضاً أخرجها ابن ماجه (١/ ٤٩٨) ج (١٥٦٣) في الجنائز باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٥٥) رقم (٦٨٤١، ٦٨٤٣).

(٤) نفس الحديث السابق.

النهي عن الصلاة إلى القبور

ومنها: أنه عليه السلام، نهى عن الصلاة عندها[(١)]؛ كما روى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد[(٢)] الغنوي أنه عليه السلام قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[(٣)]. وقال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**»[(٤)]، رواه الإمام أحمد وأهل السنن. والأحاديث في النهي عن ذلك والتغليظ فيه كثيرة؛ وذلك لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها. وقد تقدَّم أن ابتداء عبادة الأصنام إنما كان من فتنة القبور، ولهذا لعن النبي عليه السلام، أهل الكتاب لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وأن هؤلاء المردة كانوا يصلون في المواضع التي دفن فيها أنبياؤهم، إما ظنًّا منهم بأن السجود لقبورهم تعظيم لها؛ وهذا شرك جلي؛ ولهذا قال النبي عليه

---

(١) في نسخة دار الكتب (عنده).

(٢) في نسخة دار الكتب (مرتد).

(٣) مسلم (٢/٦٦٨) ح (٩٧٢) في الجنائز باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، وأبو داود (١/ ٥٥٤) ح (٣٢٢٩) في الجنائز باب في كراهية القعود على القبر، والترمذي (٣/ ٣٦٧) ح (١٠٥٠) في الجنائز باب ما جاء في كراهية المشي على القبور والجلوس عليها والصلاة إليها، من طريق واثلة بن الأسقع عن أبي مرثد والغنوي به.

(٤) أحمد (٣/ ٨٣، ٩٦)، أبو داود (١/ ٣٣٠) ح (٤٩٢) في الصلاة باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة الترمذي (٢/ ١٣١) ح (٣١٧) في الصلاة باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام وقال، وهذا حديث فيه اضطراب، وأخرجه ابن ماجه (١/ ٢٤٦) ح (٧٤٥) في المساجد والجماعات باب المواضع التي تكره فيها الصلاة وابن حبان (٣/ ١٠٣) ح (١٦٩٧) و (٤/ ٣٢) ح (٢٣١٢) و (٤/ ٣٣) ح (٢٣١٦) (الإحسان) الحاكم (١/ ٢٥١) وقال بعد إيراده هذه الأسانيد كلها صحيحة على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وافقه الذهبي جميعهم من طريق عمرو بن يحيى الأنصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٣٦) ح (٢٧٦٧).

السلام: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**»[١]. وإما ظنًّا منهم بأن التوجه إلى قبورهم حالة الصلاة أعظم موقعاً عند الله ـ تعالى ـ لاشتماله على أمرين: عبادة الله ـ تعالى ـ وتعظيم الأنبياء، وهذا شرك خفي.

قال ابن القيم في إغاثته نقلاً عن شيخه «ابن تيمية»:

وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم، إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو حجر، ولهذا نجد[٢] كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون، ويخشعون، ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في مساجد الله ـ تعالى ـ ولا في وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وكثير[٣] منهم يرجون من بركة الصلاة عندها ولديها ما لا يرجون في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي عليه الصلاة والسلام، مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً وإن لم يقصد الصلاة عندها، ووقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت استوائها: لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة للشمس فيها، فنهى أمته عن الصلاة وإن لم يقصدوا ما قصده المشركون، وإذا قصد الرجل الصلاة عند المقبرة متبرّكاً بالصلاة في تلك البقعة؛ فهذا عين المحادة لله ـ تعالى ـ ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله ـ تعالى ـ فإن العبادات مبناها على الاستنان[٤] والاتباع؛ لا على الهوى

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٤٦) بدون قوله (يُعْبَد) من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً أخرجه مالك (١/١٧٢) ح (٨٥) في الصلاة باب جامع الصلاة مرسلاً من رواية عطاء ابن يسار عن النبي ﷺ، أخرجه عبد الرزاق مرسلاً (٨/٤٦٤) ح (١٥٩١٦) من طريق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد مولى المعمري مرفوعاً.

(٢) في نسخة دار الكتب (تجد).

(٣) في نسخة دار الكتب (وكثيرهم).

(٤) في نسخة دار الكتب (الاستناد).

والابتداع، فإن المسلمين أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين نبيهم أن الصلاة عند المقبرة منهي عنها.

وفي هذا دليل على ضلال[1] من زعم أن النهي عن الصلاة فيها مختص بالمقابر المنبوشة لما فيها من النجاسة الحاصلة بالنبش: وهذا أبعد شيء من مقاصد الرسول، ﷺ، بل هو باطل من عدة أوجه:

الرد على من قصر النهي على الصلاة عند القبور المنبوشة

أما أولاً: فلأن الأحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة المنبوشة وغير المنبوشة.

وأما ثانياً: فلأن النبي عليه الصلاة والسلام، لعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد؛ ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة الحاصلة بالنبش، لأن قبور أنبيائهم لا تنبش، ولو نبشت فهي من أطهر البقاع، ليس للنجاسة عليها طريق البتة، فإن الله ـ تعالى ـ حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادهم، فهم في قبورهم طريون[2].

وأما ثالثاً: فإنه عليه الصلاة والسلام، أخبر أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، ولو كان ذلك للنجاسة لكان ذكر الحشوش والمجازر[3] أولى من ذكر القبور.

وأما رابعها: فلأنه عليه الصلاة والسلام، قرن في اللعنة بين متخذي المساجد عليها، وموقدي السرج لديها، فهما في اللعنة قرينان، وفي ارتكاب الكبيرة سيّان.

ومعلوم أن إيقاد السراج إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعلها أوثاناً يرقص إليها، وكذا اتخاذ المساجد عليها تعظيم لها وتعريض للفتنة بها، ولهذا قرن بينهما.

---

(١) في نسخة دار الكتب (قول).

(٢) في نسخة دار الكتب (طريون بل هم فيها إحياء يصلون).

(٣) في نسخة دار الكتب (والمجاذر).

وأما خامساً: فلأنه عليه الصلاة والسلام، قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله ـ تعالى ـ على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)]، فذكره عليه الصلاة والسلام، اشتداد غضب الله ـ تعالى ـ على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد عقيب قوله: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**» تنبيه منه على سبب لحوق اللعن بهم وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير قبورهم أوثاناً تُعبد.

وأما سادساً: فلأن فتنة الشرك بالصلاة فيها، ومشابهة عبادة الأوائل[(٢)] أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر، فإنه عليه الصلاة والسلام، قد نهى[(٣)] عن تلك المفسدة سدّاً لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلي. فكيف بهذه الذريعة التي كثيراً ما[(٤)] تدعو صاحبها إلى الشرك بدعاء الموتى وطلب الحوائج منهم واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل من الصلاة في المساجد وغير ذلك مما هو محادة ظاهرة لله ـ تعالى ـ ولرسوله، فأين التعليل بنجاسة البقعة من هذه المفسدة؟!

حقيقة المقصود بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد

وبالجملة إن من له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم من الرسول عليه الصلاة والسلام، مقاصده جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه عليه الصلاة والسلام، واللعن والنهي بالصيغة التي هي: «**لا تفعلوا**» وصيغة «**إني أنهاكم**» ليس لأجل النجاسة الحاصلة بالنبش، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما نهاه عنه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه؛ وقلّ نصيبه أو عدم من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هذا وأمثاله حذّر من فعلهم النبي عليه الصلاة والسلام، صيانة لحمى التوحيد من أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريداً له أن يعدل به

---

(١) تقدّم تخريجه ص ١٩٧.
(٢) في نسخة دار الكتب (الأوثان).
(٣) في نسخة دار الكتب (لما نهى).
(٤) في نسخة دار الكتب (أما).

سواه، فأبى أكثر الناس إلا عصياناً لأمره؛ وارتكاباً لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين.

النهي عن اتخاذ قبور الصالحين مساجد إكراماً وتعظيماً لهم

ولعمر الله من هذا الباب بعينه دخل عبّاد يغوث ويعوق ونسر وسائر عبّاد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فإن هؤلاء جمعوا بين الغلو فيهم والطعن في طريقهم، فهدى الله ـ تعالى ـ أهل التوحيد حيث سلكوا طريقتهم، وأنزلوهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية، وسلبوا عنهم خصائص الربوبية، وهذا غاية تعظيمهم وإكرامهم، ونهاية طاعتهم ومتابعتهم.

ولا تحسبنَّ أيها المنعم عليه باتباع الصراط المستقيم، أن النهي عن اتخاذ القبور أوثاناً، والصلاة إليها، وبناء المساجد عليها، وإيقاد السرج لديها، أن هذا غض من أصحابها وتنقيص لهم، كلا ليس هذا من تنقيصهم كما يحسبه أهل البدع والضلال، بل هذا من تعظيمهم وإكرامهم واحترامهم وسلوك فيما يحبون، واجتناب عما يكرهون، وأنت ـ وايم الله ـ وليُّهم ومحبهم وناصر طريقتهم وسنتهم، وأنت على هداهم.

وأما هؤلاء المبتدعون الضالون فقد نقصوهم في صورة التعظيم، فهم أبعد الناس من هداهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى، والروافض مع علي، فأهل الحق أحق بأهل الحق من أهل الباطل، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، فإن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت[1] عن السنن.

ولذا تجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من كان يتبع السنن ويحييها مشتغلين بغيره عما أمر به، ودعا إليه.

---

(١) في نسخة دار الكتب (عرضت).

تعظيم الأنبياء والصالحين باتباعهم

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما يكون باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم دون عبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها أوثاناً، فإن من اقتفى آثارهم كان سبباً لتكثير أجورهم باتباعه لهم ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه، واشتغل بضده حرم نفسه وإيَّاهم من ذلك الأجر، فأيُّ تعظيم واحترام لهم في هذا؟!

الأمر بتسوية القبور

ومنها: أنه عليه السلام، أمر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه، عن أبي الهياج الأسدي أنه قال: قال لي علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، ﷺ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته[(١)].

النهي عن اتخاذ القبور عيداً

ومنها: أنه عليه الصلاة والسلام، نهى عن اتخاذها عيداً، كما ثبت في سنن أبي داود بإسناد حسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه الصلاة والسلام، قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، ولا تجعلوا قبري عيداً، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[(٢)].

وفي مسند أبي يعلى الموصلي عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فيدخل فيها يدعو فنهاه؛ فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله، ﷺ، قال: **«لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم**

---

(١) مسلم (٢/٦٦٦) ح (٩٦٩) في الجنائز باب الأمر بتسوية القبر، النسائي (٤/٨٨) في الجنائز باب تسوية القبور إذا رفعت، أبو داود (٣/٥٤٨) (٣٢١٨٤) في الجنائز باب في تسوية القبر، الترمذي (٣/٣٦٦) ح (١٠٤٩) في الجنائز باب ما جاء في تسوية القبور. جميعهم من طريق أبي الهياج الأسدي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أبو داود (٢/٥٣٤) ح (٢٠٤٢) في المناسك باب زيارة القبور من حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٢١١) ح (٧٢٢٦).

قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم»[(١)].

وقال سعيد بن منصور أخبرنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن[(٢)] بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عند القبر، فناداني وهو ببيت فاطمة يتعشى، فقال: هلمّ إلى العشاء، فقلت: لا أريد؛ فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي، ﷺ، فقال: لذا دخلت المسجد، ثم قال: إن رسول الله، ﷺ، قال: «**لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم مقابر، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»[(٣)]، فما أنت ومن بالأندلس إلا سواء منه عليه الصلاة والسلام.

فإن قبره عليه الصلاة والسلام، لما كان سيد القبور وأفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عليه الصلاة والسلام، عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان؛ ثم[(٤)] إنه عليه الصلاة والسلام قرن ذلك النهي بقوله: «**ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً**»، وهو أمر بتحري النافلة في البيوت حتى لا تكون بمنزلة القبور، ونهى عن تحري العبادة عند القبور، ثم عقبه بقوله: «**وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»

---

(١) أبو يعلى (١/ ٢٤٥) ح (٤٦٥)، ابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠) ح (٧٥٤٢) في الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيانه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢/ ١٨٦) والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» ص (١٠) وقال ابن تيمية في الرد على الأخنائي ص (١٤٤، ١٤٥) وهذا الحديث مما خرج الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي فما اختاره من الأحاديث الجياد المختارة الزائدة على ما في الصحيحين وهو أعلى مرتبة من تصحيح الحاكم وقريب من تصحيح الترمذي وأبي حاتم البستي ونحوهما انتهى، كلهم من طريق علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعاً وقال السخاوي في (القول البديع) ص (١٥٥) هو حديث حسن.

(٢) في نسخة دار الكتب (الحسن بن علي بن أبي طالب).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في نسخة دار الكتب (ثم عليه الصلاة والسلام).

وأشار بذلك إلى أن ما يناله منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبره وبعدكم عنه؛ فلا حاجة بكم إلى الاتخاذ عيداً كما اتخذ المشركون من أهل الكتاب قبور أنبيائهم وصالحيهم عيداً؛ فإن اتخاذ القبور عيداً هو من أعيادهم التي كانوا عليها قبل مجيء الإسلام، وقد كان لهم أعياد زمانية وأعياد مكانية، فلما جاء الإسلام أبدلها[١] الله - تعالى - وعوض عن أعيادهم الزمانية: عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منى، كما عوض عن أعيادهم المكانية: الكعبة البيت الحرام، وعرفات، ومنى، والمشاعر.

من تحريف وشرك غلاة القبورية

قال ابن القيم في إغاثته: قد حرَّف هذه الأحاديث بعض من أخذ شبهاً من النصارى بالشرك، وشبهاً من اليهود بالتحريف، فقال: هذا أمر بملازمة قبره، عليه الصلاة والسلام، والعكوف عنده، واعتياد قصده وانتيابه[٢] ونهى أن يجعل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين، فكأنه قال: لا تجعلوا قبري بمنزلة العيد الذي يكون من الحول إلى الحول واقصدوه كل وقت وكل ساعة.

وهذا محادة ومناقضة لما قصده الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وقلب للحقائق؛ ونسبة الرسول عليه السلام، إلى التقديس[٣] والتلبيس، إذ لا ريب أن من أمر الناس بملازمة أمر واعتياده وكثرة انتيابه[٤] بقوله لا تجعلوا قبري عيداً، فهو إلى التلبيس وضد البيان أقرب منه إلى الدلالة والبيان؛ فإن لم يكن هذا تنقيصاً فليس للتنقيص حقيقة فينا؛ ولا شك أن ارتكاب كل كبيرة بعد الشرك أسهل إثماً، وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه، عليه السلام، وسنته، وهكذا غيرت ديانات الرسل.

(١) في نسخة دار الكتب (أبطل).

(٢) في نسخة دار الكتب (وإتيانه).

(٣) في نسخة دار الكتب (التدليس والتلبيس).

(٤) في نسخة دار الكتب (وإتيانه).

ولولا أنه ـ تعالى ـ أقام لدينه الأنصار والأعوان الذابين عنه لجرى عليه ما جرى على الأديان قبله، قال عليه السلام: «**يحمل هذا العمل من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»(١). فإنه عليه السلام، بيّن في هذا الحديث أن الغالين يحرفون ما جاء به؛ وأن المبطلين ينتحلون أن باطلهم هو ما كان عليه النبي عليه السلام، وأن الجاهلين يتأولونه على غير تأويله.

وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاث؛ فلو أراد رسول الله ﷺ ما قال هؤلاء الضالون لم ينه عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ولم يلعن من فعل ذلك فإنه عليه السلام إذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله فيها؛ فكيف يأمر بملازمتها والعكوف عندها، وأن يعتاد قصدها وإتيانها، ولا تجعل كالعيد الذي يجيء من الحول إلى الحول، وكيف يقول: «**وصلوا عليّ حيثما كنتم**» بعد قوله لا تجعلوا قبري عيداً؟ وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء الضالون الذين جمعوا بين الشرك والتحريف؟

---

(١) أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/١٥٧، ١٥٨) ح (٧٣٠).
ـ الخطيب في شرف أصحاب الحديث صفحة (٢٩) رقم (٥٥).
ـ ابن عدي في الكامل في المقدمة (١/١/٩١) وفي ترجمة بقية (١/٣٦٧).
ـ أبو نصر السجزي في الإبانة من طريق معاند بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرفوعاً وفي صحبته خلاف ابن عساكر.
ـ الديلمي.
ـ قال الخطيب (أشرف أصحاب الحديث ص ٢٩): سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث وقيل له كأنه كلام موضوع قال لا هو صحيح سمعته من غير واحد.
ـ وانظر مفتاح دار السعادة ص (١٧٨) نقل فيه هذا الكلام عن أحمد. ونقله السيوطي في تدريب الراوي ص (٢٠٠) ونقل رد يحيى بن سعيد القطان على أحمد فيه وأورد تضعيف العراقي له.

وقد سمعت فيما سبق أن أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين[١] نهى ذلك الرجل أن يتحرَّى الدعاء عند قبره عليه السلام، واستدلَّ بالحديث الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي، وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الطاغين، وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر إذا لم يكن يريد المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيداً.

قال ابن القيم في إغاثته نقلاً عن شيخه: فانظر إلى هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، وكانوا له أضبط[٢].

من مفاسد اتخاذ القبور عيداً

ثم في اتخاذ القبور عيداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ ما يغضب لأجله كل من كان في قلبه وقار لله ـ تعالى ـ؛ وغيرة على التوحيد، وتقبيح للشرك، وتهجين للكفر والبدع، ولكن (ما لجرح بميت إيلام).

فمن مفاسد اتخاذها عيداً أن غلاة متخذيها عيداً إذا رأوها من موضع بعيد ينزلون من الدواب، ويضعون[٣] الجباه على الأرض، ويقبلون، ويكشفون الرؤوس، وينادون من مكان بعيد، ويستغيثون بمن لا يبدىء ولا يعيد، ويرفعون الأصوات بالضجيج[٤]، ويرون أنهم قد ازدادوا في الربح على الحجيج، حتى إذا وصلوا إليها يصلون عندها ركعتين، ويرون أنهم قد أحرزوا من الأجر أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبور سجّداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد

---

(١) في نسخة دار الكتب (الحسن).

(٢) في نسخة دار الكتب (إليه).

(٣) في نسخة دار الكتب (ويضعون لها).

(٤) في نسخة دار الكتب (بالصيح).

ملؤوا أكفهم خيبة وخسراناً؛ لغير الله ـ تعالى ـ بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات؛ ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولي العاهات والبليات.

ثم إنهم ينتشرون حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله ـ تعالى ـ مباركاً وهدىً للعالمين، ثم يأخذون في التقبيل والاستلام كما يفعل بالحجر الأسود في المسجد الحرام؛ ثم يخرون على الجباه والخدود؛ والله ـ تعالى ـ يعلم أنها لم تُعَفَّر كذلك بين يديه في السجود؛ يكملون[١] مناسك حج القبر بالتقصير والحلاق، ويستمتعون من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم نصيب عند من هو الخلاق؛ ثم يقربون لذلك الوثن القرابين، وتكون صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، ثم نراهم يهنىء بعضهم بعضاً، ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجراً وافراً.

ثم إذا رجعوا يسألهم بعض غلاة المتخلفين[٢] أن يبيع أحدهم[٣] ثواب حجة القبر بحجة البيت الحرام، فيقول: لا ولو بحجك كل عام هذا ولم نتجاوز (فيما حكينا عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم)[٤] إذ هي فوق ما يخطر بالبال، ويدور في الخيال، وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سدَّ ما هو ذريعة إلى هذا المحظور؛ وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما يؤول إليه ما نهى عنه، والخير والهدى في اتباعه وطاعته؛ والشر والضلال في معصيته ومخالفته.

---

(١) في نسخة دار الكتب (ثم يكملون).

(٢) في نسخة دار الكتب (المتخلفين الذين حج البيت الحرام).

(٣) في نسخة دار الكتب (أحدهم حجة القبر بحجة البيت الحرام).

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة دار الكتب وكتب الآتي (ومن المفاسد التي ليس ما ذكره ههنا من بدعهم وضلالهم فوق ما يخطر بالبال).

فعل القبوريين مناقضة للسنة

ومن جمع بين سنة رسول الله، ﷺ، في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ وبين ما عليه أكثر الناس اليوم؛ رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً؛ فإنه عليه السلام، نهى عن الصلاة إلى القبور، وهم يخالفونه ويصلون عندها؛ ونهى عن اتخاذ المساجد عليها وهم يخالفونه ويبنون عليها مساجد، ويسمونها مشاهد، ونهى عن إيقاد السرج عليها وهم يخالفونه ويوقدون عليها القناديل والشموع، بل يوقفون لذلك أوقافاً، وأمر بتسويتها وهم يخالفونه ويرفعونها من الأرض كالبيت، ونهى عن تجصيصها والبناء عليها، وهم يخالفونه ويجصصونها ويعقدون عليها القباب، ونهى عن الكتابة عليها وهم يخالفونه، ويتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره؛ ونهى عن الزيادة عليها غير ترابها وهم يخالفونه ويزيدون عليها سوى التراب الآجر والأحجار والجص؛ ونهى عن اتخاذها عيداً وهم يخالفونه ويتخذونها عيداً، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد وأكثر، والحاصل أنهم مناقضون لما أمر به الرسول عليه السلام، ونهى عنه؛ ومحادون لما جاء به.

من مفاسد افتتان القبورية بالقبور

وقد آل الأمر بهؤلاء الضالين المضلين إلى أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا لها مناسك، حتى صنّف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه «مناسك حج المشاهد» مضاهاة[١] منه للقبور بالبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عبادة الأصنام، فانظر ما بين ما شرعه النبي عليه السلام، من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وما قصدوه من التباين، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره:

فمنها: تعظيم المواقع في الافتتان بها.

(١) في نسخة دار الكتب (تشبيهاً منه للقبور).

ومنها: تفضيلها على أحب البقاع إلى الله ـ تعالى ـ فإنهم يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب، وغير ذلك مما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه، وذلك يقتضي عمارة المشاهد وخراب المساجد، ودين الله الذي بعث فيه رسوله بضد ذلك، ولهذا كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين، إذ عمروا المشاهد وخربوا المساجد.

ومنها: اعتقاد أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل الغيث من السماء، إلى غير ذلك من الرجاء.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها، فإن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكر، كان أبغض الأشياء إلى الله ـ تعالى ـ وأكرهها له، ولذلك رتّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتّبه على ذنب آخر سواه، وأخبر أنه لا يغفره وأن أهله نجس، ومنعهم قربان حرمه، وحرّم ذبائحهم ومناكحتهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم، وأن يتخذوهم عبيداً، وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا الظن لوحدوه حق توحيده، ولم يرجوا شيئاً من غيره، ولهذا أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عنهم في ثلاثة مواضع من كتابهم: أنهم ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾(١) أي ما عرفوه حق معرفته، وكيف يعرفه حق معرفته من يجعل له عدلاً وندًا يحبه، ويخافه ويرجوه، ويذل له، ويسويه به.

ومعلوم أنهم ما ساووا أوثانهم به ـ تعالى ـ في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال؛ ولا قالوا: إنها خلقت السموات والأرض، وأنها تحيي وتميت، وإنما ساووها به ـ تعالى ـ في محبتهم لها،

---

(١) سورة الحج، الآية: (٧٤).

وتعظيمهم لها، وعبادتهم إياها، كما ترى على ذلك أهل الشرك ممن ينسب إلى الإسلام.

ومنها: الدخول في لعنة الله ـ تعالى ـ ورسوله باتخاذ المساجد عليها.

ومنها: المشابهة بعبَّاد الأصنام بما يفعلونه عندها من العكوف عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، واتخاذ السدنة لها، حتى أن عبَّادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد.

ومنها: النذر لها ولسدنتها.

ومنها: المخالفة لله ولرسوله والمناقضة لما شرعه في دينه.

ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

السفر لزيارة الأضرحة مخالفة للنهي النبوي

ومنها: السفر إليها مع التعب الأليم والإثم العظيم؛ فإن جمهور العلماء قالوا: السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر بها رسول رب العالمين؛ ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين؛ فمن اعتقد ذلك قربة وطاعة، فقد خالف السنة والإجماع، ولو سافر إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين؛ فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك، وقد ثبت في الصحيحين أنه عليه السلام، قال: **«لا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»**[1].

عبادة القبور إيذاء للصالحين من المقبورين

ومنها: إيذاء أصحابها، فإنهم يتأذون بما يفعل عند قبورهم مما

---

(١) البخاري (٣/ ٧٦) ح (١١٨٩)، في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، مسلم (٢/ ١٠١٤) ح (١٣٩٧) في الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد من حديث سعيد عن أبي هريرة مرفوعاً.

ذكر، ويكرهونه غاية الكراهة كما أن المسيح يكره ما يفعله النصارى في حقه، وكذلك غيره من الأنبياء[١] والعلماء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى في حقهم، وهم يتبرءون منهم يوم القيامة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾[٢]. وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾[٣].

الحكم النبوية في تشريع زيارة القبور

ومنها: أن الذي شرعه النبي عليه السلام، عند زيارة القبور إنما هو تذكر[٤] الآخرة والاتعاظ والاعتبار بحال المزور، والإحسان إليه بالدعاء له، والترحم عليه، حتى يكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه، وسؤاله الحوائج، واستنزال البركات منه، ونحو ذلك فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت. فإنه عليه السلام، لسدّ ذريعة الشرك نهى أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور لكونهم حديثي عهد بالكفر، ثم لما تمكّن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها، وبيَّن فائدتها، وعلّمهم كيفيتها تارة بقوله وتارة بفعله، وذلك في الأحاديث الكثيرة، لكن نذكر منها عدة منها في الإذن وبعضها في التعليم وفي ضمنها بيان الفائدة.

أما التي في الإذن:

فمنها حديث أبي سعيد أنه، عليه السلام، قال: «**إني كنت**

(١) في نسخة دار الكتب (الأنبياء والأولياء).
(٢) سورة الفرقان، الآيتان: (١٧، ١٨).
(٣) سورة المائدة، الآية: (١١٦).
(٤) المثبت من نسخة دار الكتب وفي الأصل (تذكرة).

نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً»[١] رواه الإمام أحمد والنسائي، ومنها حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: «**زوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[٢]. رواه مسلم.

وأما التي في التعليم:

فمنها حديث سليمان بن بريدة ـ رضي الله عنه ـ عن أبيه قال كان رسول الله، ﷺ، يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام على أهل الديار**»[٣]، وفي لفظ مسلم: «**السلام عليكم يا أهل الديار المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[٤].

ومنها: حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت كان رسول الله، ﷺ، إذا كانت ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون،**

---

(١) أحمد (٣/٣٨) من حديث محمد بن يحيى بن حبان عن عمه عن أبي سعيد مرفوعاً ولفظه: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة» قال الهيثمي في المجمع (٣/٥٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه بتمامه النسائي (٤/٨٩) في الجنائز باب زيارة القبور من حديث أبي بريدة عن أبيه مرفوعاً.

(٢) مسلم (٢/٦٧١) ح (٩٧٦) في الجنائز باب استئذان النبي، ﷺ، ربه عز وجل في زيارة قبر أمه. من حديث أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعا وأوله: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها...».

(٣) مسلم (٢/٦٧١) ح (٩٧٥) في الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. النسائي (٤/٩٤) في الجنائز باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، ابن ماجه (١/٤٩٤) ح (١٥٤٧) في الجنائز باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر، وأحمد (٥/٣٥٣ ـ ٣٥٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٩٧) ح (٥٩٤) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

(٤) الحديث السابق.

وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[١] رواهما مسلم.

ومنها حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال مر رسول الله، ﷺ، بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: **«السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر»**[٢] رواه الإمام أحمد والترمذي وحسنه.

فإنه، ﷺ، بيَّن في هذه الأحاديث أن فائدة زيارة القبور إحسان الزائر إلى نفسه وإلى الميت، أما إحسانه إلى نفسه فبذكر الموت والآخرة والزهد في الدنيا والاتعاظ والاعتبار بحال الميت؛ وأما إحسانه إلى الميت فبالسلام عليه والدعاء له بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية.

من آداب زيارة القبور

فينبغي لمن يزور قبر ميت، أي ميت كان، سواء كان من أولياء الله ـ تعالى ـ أو من غيرهم من المؤمنين أن يسلّم عليه، ويسأل له العافية، ويستغفر له، ويترحم عليه كما تقدم في الأحاديث، ثم يعتبر في حال من زاره وما صار إليه حاله، وماذا سئل عنه؟ وبماذا أجاب؟ وهل كان قبره روضة من رياض الجنة[٣] أو حفرة من النيران؟ ثم يجعل نفسه كأنه مات، ودخل في القبر، وذهب عنه ماله وأهله وولده ومعارفه، وبقي وحيداً فريداً، وهو الآن يسئل، فماذا يجيب؟! وما يكون حاله؟ ويكون مشغولاً بهذا الاعتبار ما دام هناك، ويتعلق بمولاه في الخلاص من هذه الأمور الخطيرة العظيمة، ويلجأ إليه.

---

(١) مسلم برقم ٢/٦٦٩ ح (٩٧٤) في الجنائز باب ما يقال عن دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي (٤/٩٣، ٩٤) في الجنائز باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين من حديث عطاء عن عائشة مرفوعاً.

(٢) الترمذي (٣/٣٦٩) ح (١٠٥٣) في الجنائز باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر وقال حسن غريب الطبراني في الكبير (١٢/١٠٧) رقم (١٢٦١٣) من حديث قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس.

(٣) في نسخة دار الكتب (الجنان).

۞ وأما قراءة القرآن:

فجوّزها بعض العلماء، ومنعها البعض الآخر، وقالوا: الزائر لا بد أن يكون مشغولاً بالاعتبار، وقراءة القرآن يحتاج صاحبها إلى التدبر، وإحضار الفكرة فيما يتلوه، وفكرتان لا تجتمعان في قلب واحد في زمان واحد.

فإن قال قائل: أنا أعتبر في وقت، وأقرأ في وقت آخر، والقرآن إذا قرىء تنزل الرحمة، فلعل أن يلحق بالميت من تلك الرحمة شيء ينفعه، فالجواب من وجوه:

الأول: إن قراءة القرآن وإن كانت عبادة لكن لكون الزائر مشغولاً بما تقدم من الفكرة؛ والاعتبار في حال الموت وسؤال الملكين وغير ذلك عبادة أيضاً، والوقت ليس محلاً إلا لهذه العبادة فقط، فلا يخرج من عبادة إلى أخرى سيما لأجل الغير.

والثاني: أنه لو قرأ في بيته، وأهدى ثوابها إليه بأن قال بعد فراغه من قراءته: اللهم اجعل ثواب ما قرأته لفلان الميت لوصل إليه لأن هذا دعاء له بوصول الثواب إليه، والدعاء يصل بلا خلاف. فلا يحتاج أن يقرأ على قبره.

والثالث: إن قراءته على قبره قد تكون سبباً لعذابه أو لزيادة عذابه، إذ كلما قرئت آية لم يعمل بها، يقال له: أما سمعتها؟ فكيف خالفتها؟ فيعذب لأجل مخالفته لها: كما نقل عن بعض من ابتلي بما ذكر أنه رؤي في عذاب عظيم، فقيل له: أما تنفعك القراءة عنك ليلاً ونهاراً؟ فقال: إنها سبب لزيادة عذاب، وذكر ما تقدم سواء.

فإذا كان كذلك، فاللائق بالزائر أن يتبع السنة، ويقف عند ما شرع له، ولا يتعداه ليكون محسناً إلى نفسه، وإلى الميت، فإن زيارة القبور نوعان: زيارة شرعية وزيارة بدعيّة.

مقاصد الزيارة الشرعية

أما الزيارة الشرعيّة التي أذن فيها رسول الله، ﷺ، فالمقصود منها شيئان:

أحدهما: راجع إلى الزائر، وهو الاعتبار والاتعاظ.

والثاني: راجع إلى الميت، وهو أن يسلم عليه الزائر، ويدعو له، ولا يطول عهده به، فيهجره، ويتناساه كما أنه إذا ترك زيارة أحد من الأحياء يتناساه، وإذا زاره فرح بزيارته وسرَّ بذلك: فالميت أولى به لأنه قد صار في دار هجر أهلها[١] إخوانهم ومعارفهم، فإذا زاره أحد وأهدى إليه هدية من سلام ودعاء ازداد بذلك سروره وفرحه.

(١) في نسخة دار الكتب (أصلها إخوانهم).

[مقاصد الزيارة البدعية]

وأما الزيارة البدعية: فزيارة القبور لأجل الصلاة عندها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، ودعاء أصحابها، والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، والولد، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات؛ وغير ذلك من الحاجات، التي كان عبّاد الأوثان يسألونها من أوثانهم، فليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين إذ لم يفعله رسول الله، ﷺ، ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين، بل أصل هذه الزيارة البدعيّة الشركيّة مأخوذة عن عبّاد الأصنام.

فإنهم قالوا: الميت المعظّم الذي لروحه قرب ومزية عند الله ـ تعالى ـ لا يزال تأتيه الألطاف من الله ـ تعالى ـ وتفيض على روحه الخيرات؛ فإذا علّق الزائر روحه به، وأدناه منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوهما على الجسم المقابل له.

ثم قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده وإقباله إليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سيناء والفارابي وغيرهما وصرّح به عبّاد الكواكب، وقالوا: إذا تعلقت النفس

الناطقة بالأرواح العلويّة فاض عليها منها نور، ولهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل، وصنفت لها الدعوات، واتخذت لها الأصنام، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعبَّاد القبور اتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج عليها، وإقامة السدنة لها، ودعاء أصحابها، والنذر لهم، وغير ذلك من المنكرات.

والله هو الذي بعث رسله وأنزل كتبه لإبطاله، وتكفير أصحابه، ولعنهم، وأباح دماءهم وأموالهم، وسبى ذراريهم، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية، وسدّ الذرائع المفضية إليه؛ فوقف هؤلاء الضالون المضلون في طريقه، وناقضوه في قصده، وقالوا: إن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله - تعالى - وتوجه إليه بمهمته، وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه نصيب مما يحصل له من الله - تعالى - وشبّهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به، فما يحصل من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به من حصّته بحسب تعلّقه به.

ضلال القبورية في شأن الشفاعة

وبهذا السبب عبدوا القبور وأصحابها، واتخذوهم شفعاء على ظن أن شفاعتهم تنفعهم عند الله - تعالى - في الدنيا والآخرة.

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد عليهم وإبطال رأيهم.

قال الله - تعالى - حكاية عن صاحب يس: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾[1]. وقال الله - تعالى -: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾[2]، وقال الله - تعالى -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[3] وقال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ

(١) سورة يس، الآية: (٢٣).
(٢) سورة الزمر، الآية: (٤٣).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).

عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[(١)] فإن الله ـ تعالى ـ علّق الشفاعة في كتابه بأمرين: أحدهما رضاه عن المشفوع له. والآخر إذنه للشافع، فعلم من هذا أن الشفاعة لا يمكن حصولها ما لم يوجد مجموع هذين الأمرين، وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[(٢)]، فبيّن ـ سبحانه وتعالى ـ أن المتخذين شفعاء مشركون، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذ الشفعاء، وإنما تحصل بإذن الله ـ تعالى ـ للشافع ورضاه عن المشفوع له. فمن اتخذ شفيعاً من دون الله فهو مشرك، لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه، ومن اتخذ الرب ـ تعالى ـ وحده إلٰهه ومعبوده ومحبوبه الذي يتقرّب إليه ويطلب رضاه ويجتنب سخطه فهو الذي يأذن الرب ـ تعالى ـ للشافع أن يشفع فيه.

الموحدون أولى الناس بشفاعة النبي ﷺ

ولهذا كان أولىٰ الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جرّدوا توحيدهم، وخلّصوه من متعلقات الشرك وشوائبه، وأما أهل الشرك الذين اتخذوا من دون الله ـ تعالى ـ شفعاء فإنه ـ تعالى ـ لا يرضى عنهم، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيهم، وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده ليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده الرسل والملائكة المقربون، وهم مملوكون[(٣)] مربوبون، أفعالهم وأقوالهم مقيدة بأمره وإذنه لا يسبقونه بالقول، ولا يفعلون شيئاً إلا بإذنه وأمره، فإذا أشركهم أحد به ـ تعالى ـ واتخذهم شفعاء من دونه ظناً منه أنه إذا فعل ذلك يتقدمون بين يديه، ويشفعون له، فهو أجهل الناس بحقه ـ تعالى ـ؛ وما يجب له، وما يمتنع عليه، حيث قاسوا الرب ـ تعالى ـ على الملوك والكبراء

(١) سورة سبأ، الآية: (٢٣). وفي الأصل: «ولا تقع الشهادة» وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.
(٢) سورة يونس، الآية: (١٨).
(٣) في الأصل مملكون. وما أثبتناه هو الأنسب.

الذين يتخذون بعضاً من خواصهم وأوليائهم من يشفع لهم عندهم في الحوائج والمهمات.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام؛ واتّخذت من دون الله شفعاء؛ وهذا أصل شرك الخلق ومع هذا فهو تنقيص لجانب الربوبيّة وهضم لحقها لأن من اتخذ شفيعاً عند الله ـ تعالى ـ، إما أن يظن أنه ـ تعالى ـ لا يعلم مراد عباده حتى يعلمه الواسطة أو لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم، فيحتاج أن يرفعه الواسطة إليه؛ أو لا يفعل ما يريده العباد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع المخلوق عند المخلوق في أمر لا يريد أن يفعله، فيقبل له شفاعته لحاجته إليه وانتفاعه به، وتكثره به من القلة؛ وتعززه به من الذلة، أو لا يقضي حاجتهم حتى يسألوا الواسطة أن ترفع تلك الحاجات إليه كما هو حال ملوك الدنيا. أو يظن أن للمخلوق حقاً، فهو يتوسل إليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم، ولا يمكنهم مخالفته إذ هو في الحقيقة شريكهم، وإن كان عبدهم ومملوكهم، فإن الشفعاء عند المخلوقين من الملوك والسلاطين شركاؤهم لأن انتظام أمرهم، وقيام مصالحهم بهم، وهم أعوانهم وأنصارهم، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم وأن يأذنوا فيها وإن لم[١] يرضوا لها لأنهم إن ردوها ولم يقبلوا يخافون أن ينقضوا طاعتهم، ويذهبوا إلى غيرهم، فلا يجدون بدًّا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا، فإن الشفيع في المخلوق مستغن عن المشفوع إليه في أكثر أموره وإن كان محتاجاً إليه في بعض ما يناله من رزق وغيره، كما أن المشفوع إليه فيما يناله من النفع بالنصرة والمعاونة وغير ذلك. فكل منهما محتاج إلى الآخر.

وأما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه مفتقر إليه بذاته، فإن جميع من في السموات والأرض عبيد له مقهورون بقهره

---

(١) في الأصل: ولم. وسياق الكلام يقتضي ما أثبتناه.

مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة، فلا يملك منهم أحد أن يشفع بنفسه عنده إلا بإذنه، فالشفاعة كلها له كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[١] وهو الذي يشفع بنفسه على نفسه يرحم عبده، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما شفع بإذنه وأمره إيَّاه بعد شفاعته إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[٢] وفي آية أخرى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾[٣].

فأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أن ليس للعباد شفيع من دونه، فإنه إذا أراد رحمة عبده يأذن له لمن يشفع فيه، أن يشفع فيه كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[٤] فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيعاً من دونه، بل هو شفيع بإذنه، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض، فإنها ليست بالإذن، بل هي سعي في سبب منفصل عن المشفوع إليه يحركه به إلى قبولها ولو على كره منه إما بقوة وسلطان، وإما برغبة في إحسان، فلا بد أن يحصل للمشفوع إليه من شافع إما رغبة ينتفع بها وإما رهبة يندفع عنها، بخلاف الشفاعة عند الرب ـ تعالى ـ فإنه ما لم يخلق شفاعة الشافع ولم يأذن له فيها لا يمكن وجودها، والشافع لا يشفع عند الرب ـ تعالى ـ لحاجة الرب إليه ولا لرهبته منه ولا لرغبته فيما لديه، وإنما يشفع عنده مجرد امتثال لأمره وطاعة له فهو مأمور بالشفاعة،

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٤٤).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٥١). وفي الأصل: «من ولي ولا شفيع» وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

(٣) سورة السجدة، الآية: (٤).

(٤) سورة يونس، الآية: (٣).

مطيع بامتثال الأمر، فإن أحداً من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلا بمشيئته - تعالى - هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل.

ومن وفق لفهم هذا المعنى يتحقق عنده التوحيد ويتخلص، فإن الشرك ملزوم للتنقيص، والتنقيص لازم له ضرورة شاء المشرك أو أبى، ولكون الشرك منقصاً للربوبية اقتضت(١) حكمته - تعالى - وكمال ربوبيته أن لا يغفره ويخلد صاحبه في النار، ولا تجد مشركاً قط إلا وهو منتقص لله - تعالى - وإن زعم أنه يعظمه، كما أنك لا تجد مبتدعاً إلا وهو منتقص للرسول عليه السلام، وإن زعم أنه معظم بالبدعة، بل يزعم بأنها خير من السنة وأولى بالصواب فهو مشاق لله ولرسوله إن كان متبصراً في بدعته، وإن كان جاهلاً مقلداً يزعم أنها هي السنة.

قال ابن القيم في إغاثته: ما أحسن ما قال مالك بن أنس: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من الشرك والبدع، ولقد جرَّد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان الصحابة والتابعون حين كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد إلى زمن الوليد بن عبد الملك لا يدخل فيها أحدٌ لصلاة، ولا لدعاء، ولا لشيء آخر مما هو من جنس العبادة، بل كانوا يفعلون جميع ذلك في المسجد، وكان أحدهم إذا سلم على النبي عليه السلام، وأراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا.

قال سلمة بن وردان: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي، ﷺ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر، ثم يدعو، وهذا مما لا نزاع فيه

(١) في الأصل: اقتضى وما أثبت هو الصواب.

بين العلماء، وإنما نزاعهم في وقت السلام عليه. قال أبو حنيفة رحمه الله: يستقبل القبلة عند السلام أيضاً ولا يستقبل القبر، وقال غيره: يستقبل القبر عند السلام خاصة. ولم يقل أحد من الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبر عند الدعاء إلا حكاية مكذوبة عن مالك ومذهبه بخلافها، وكذلك الحكاية المنقولة عن الشافعي رحمه الله كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة رحمه الله فإنها من الكذب الظاهر؛ بل قالوا إنه يستقبل القبلة وقت الدعاء ولا يستقبل القبر حتى يكون الدعاء عند القبر، فإن الدعاء عبادة كما ثبت في الترمذي مرفوعاً **«الدعاء هو العبادة»**(١) فالسلف من الصحابة والتابعين جردوا العبادة لله - تعالى - ولم يفعلوا عند القبر منها شيئاً إلا ما أذن فيه النبي عليه السلام، من السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم.

من الدعاء الوارد في الصلاة على الميت

والحاصل أن الميت قد انقطع عمله وهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع لأجله، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوباً واستحباباً ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي، قال عوف بن مالك: صلى رسول الله، ﷺ، على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: **«اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله(٢)**، ووسع

---

(١) أحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧)، وأبو داود (٥/١٦١) ح (١٤٧٩) في الصلاة باب الدعاء والترمذي (٥/٢١١) ح (٢٩٦٩) في التفسير باب ومن سورة البقرة (٥/٣٧٤) ح (٣٢٤٧) وباب ومن سورة المؤمنون و (٥/٤٥٦) ح (٣٣٧٢) في الدعاء باب ما جاء في فضل الدعاء وقال حديث حسن صحيح ابن ماجه (٢/١٢٥٨) ح (٣٨٢٨) في الدعاء باب فضل الدعاء، ابن أبي شيبة في المصنف (٦/٢١) ح (٢٩١٦٧) باب فضل الدعاء، البخاري في الأدب المفرد ص (١٠٥)، ابن حبان في صحيحه (٢/١٢٤) (٨٨٧)، ابن جرير في التفسير (٢٤/٧٨، ٧٩)، البيهقي في «الشعب» ((٢/٣٧) ح (١١٠٥) الحاكم في المستدرك (١/٤٩١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. جميعهم من طريق يسبع الكندي الحضرمي عن النعمان بن بشير مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٦٤١) ح (٣٤٠٧).

(٢) في الأصل: منزله. وما أثبتناه هو الصواب.

مدخله، واغسله بالماء، والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار». حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت لدعاء رسول الله، ﷺ، على ذلك الميت[١] رواه مسلم.

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول في صلاته على الجنازة: **«اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها»**[٢]. الحديث رواه الإمام أحمد رحمه الله، وفي سنن أبي داود رحمه الله عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه السلام، قال: **«إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»**[٣]، وعن عائشة وأنس أنه عليه السلام قال: **«ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»**[٤] رواه مسلم، وعن ابن عباس ـ

---

(١) مسلم (٢/ ٦٦٢) ح (٩٦٣) في الجنائز باب الدعاء للميت في الصلاة، النسائي (٤/ ٧٣) في الجنائز باب الدعاء، الترمذي (٣/ ٣٤٥) ح (١٠٢٥) في الجنائز باب ما يقول في الصلاة على الميت، ابن ماجه (١/ ٤٨١) ح (١٥٠٠) في الجنائز باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، أحمد (٦/ ٢٨) ابن حبان (٥/ ٣١) ح (٣٠٦٤)، جميعهم من طريق جبير بن نفير عن عوف بن مالك الأشجعي به.

(٢) أبو داود (٣/ ٥٣٨) ح (٣٢٠٠) في الجنائز باب الدعاء للميت، النسائي في الكبرى في (عمل اليوم والليلة) (٦/ ٢٦٥) ح (١/١٠٩١٥) باب ما يقول في الصلاة على الميت، أحمد (٢/ ٣٤٥) من حديث أبي الجلاس عن علي بن شماخ أو سماح شهد مروان سأل أبا هريرة... فذكره.

(٣) أبو داود (٣/ ٥٣٨) ح (٣١٩٩) في الجنائز باب الدعاء للميت، ابن ماجه (١/ ٤٨٠) ح (١٣٩٧) في الجنائز باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، ابن حبان (٥/ ٣١) ح (٣٠٦٥) في الجنائز باب ذكر الأمر لمن صلّى على ميت أن يخلص له الدعاء.

(٤) مسلم (٢/ ٦٥٤) ح (٩٤٧) في الجنائز باب من صلّى عليه مائة شفعوا فيه، =

رضي الله عنهما ـ أنه قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: **«ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله إلا شفعهم الله فيه»**(١). رواه مسلم.

فعلم من هذا أن المقصود من الصلاة على الميت هو الدعاء له والاستغفار لأجله والشفاعة فيه، فإنا لما كنّا إذا وقفنا على جنازته ندعو له، ولا ندعو به، ونشفع له، ولا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى لأنه في قبره بعد الدفن أشد احتياجاً إلى الدعاء منه على نفسه، فإنه حينئذ معرض للسؤال وغيره، وقد روى أبو داود عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه السلام، كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: **«استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت(٢)، فإنه الآن يسأل»**(٣).

= النسائي (٤/ ٧٥) في الجنائز باب فضل من صلى عليه مائة، الترمذي (٣/ ٣٤٨) ح (١٠٢٩) في الجنائز باب ما جاء في الصلاة على الميت والشفاعة للميت، ابن حبان (٥/ ٣٣) ح (٣٠٧٠) (الإحسان) من طريق عبد الله بن يزيد عن عائشة مرفوعاً خرّجه ابن ماجه (١/ ٤٧٧) ح (٤٨٨) في الجنائز باب ما جاء فيمن صلى عليه جماعة من المسلمين من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

(١) مسلم (٢/ ٦٥٥) ح (٩٤٨) في الجنائز باب من صلّى عليه أربعون شفعوا فيه، أبو داود (٣/ ٥١٧) ح (٣١٧) في الجنائز باب فضل الصلاة على الجنائز وتشييعها، ابن ماجه (١/ ٤٧٧) ح (١٤٨٩) في الجنائز باب ما جاء فيمن صلّى عليه جماعة من المسلمين، ابن حبان (٥/ ٣٣) ح (٣٠٧١) في الجنائز باب ذكر مغفرة الله جل وعلا للميت إذا صلى عليه أربعون يشفعون فيه من حديث كريب عن ابن عباس مرفوعاً.
وأخرجه النسائي (٤/ ٧٦) في الجنائز باب فضل من صلّى عليه مائة من حديث عبد الله بن سليط عن ميمونة رضي الله عنها بلفظ أمة وفسرها أبو المليح بأنها (أربعون).

(٢) في الأصل: التثبت. وما أثبتناه هو الصواب.

(٣) أبو داود (٣/ ٥٥٠) ح (٣٢٢١) في الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف والحاكم (١/ ٣٧٠) وصححه ووافقه الذهبي من طريقه هاني مولى عثمان بن عفان عن عثمان به مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٢٢٤) ح (٩٤٥).

وروي عن سفيان الثوري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إذا سئل الميت: من ربك؟ يتراءى له الشيطان في صور فيشير إلى نفسه: إني أنا ربك، قال الترمذي: فهذه فتنة عظيمة، ولذلك كان رسول الله، ﷺ، يدعو بالثبات فيقول: «**اللهم ثبت عند المسألة منطقه، وافتح أبواب السماء لروحه**»(١).

وكانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقال: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم.

فهذه سنة رسول الله، ﷺ، في أهل القبور بضعاً وعشرين سنة، وهذه سنة الخلفاء الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين، فبدّل أهل البدع والضلال قولاً غير الذي قيل لهم، فإنهم بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه أو بالدعاء به، وبدلوا الشفاعة له بالاستشفاع به؛ وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله، ﷺ، إحساناً إلى الميت وإلى الزائر سؤال الميت، والإقسام به على الله ـ تعالى ـ، وخصصوا تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة، وجعلوا حضور القلب وخشوعه عندها أعظم منه في المساجد وأوقات الأسحار؛ ومن المحال أن يكون دعاء الموتى والدعاء بهم والدعاء عند قبورهم مشروعاً عملاً صالحاً ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله، ﷺ، ثم يظفر به الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.. فإن كنت في شك من هذا فانظر هل يمكن بشراً على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها. فضلاً أن يصلوا عندها، ويسألوا الله ـ تعالى ـ بأصحابها، ويسألوهم حوائجهم، فليقفوا لنا على أثر واحد منها في ذلك.

كلا لا يمكنهم ذلك، بل يمكنهم أن يأتوا بكثير من ذلك عن

---

(١) لم أقف عليه.

الخلوف التي خلفت من بعدهم، ثم كلما تأخّر الزمان، وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين ولا عن الصحابة والتابعين حرف واحد من ذلك.

بل فيها من خلاف ذلك كثير كما سبق من الأحاديث المرفوعة التي من جملتها قوله عليه الصلاة والسلام: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً**»[١]. أي فحشاً، وأيّ فحش أعظم من الشرك عندها قولاً وفعلاً.

---

(١) تقدم تخريجه ص٢١٥.

[احتياط الصحابة من الوقوع في الشرك القبوري]

وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها، ومن ذلك ما في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رأى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يصلي عند القبر فقال: القبر القبر[١].

قال ابن القيم في إغاثته: وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور، وفعل أنس لا يدل على اعتقاده جوازه، فإنه لعله لم يره، أو لم يعلمه قبراً، وذهل عنه، فلما نبهه عمر ـ رضي الله عنه ـ تنبه.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار، قال: حدَّثنا أبو العالية: قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر بن الخطَّاب، فدعا كعباً فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأته، فقرأته مثل ما أقرأ القرآن. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم، وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، فقلت: من كنتم تظنون

(١) البخاري (١/ ٦٢٤) في الصلاة باب ٤٨ هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد. تعليقاً.

الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال، عليه السلام. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. فقلت: ما كان تغيَّر منه شيء؟ قال: لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع؛ فقلت: ما كان يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون؛ فقلت: فما صنعتم به؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشوه.

فانظر القصة وما فعله المهاجرون والأنصار كيف سعوا في تعمية قبره لئلا يفتن الناس به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به هؤلاء الخلوف لحاربوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله ـ تعالى ـ، فإنهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يدانيه ولا يقاربه، وبنوا عليها الهياكل، وأقاموا لها سدنة، وجعلوها معابد أعظم من المساجد.

فلو كان الدعاء والصلاة عند القبور فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكنهم كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من هؤلاء الخلوف الذين ضلوا عن الطريق المستقيم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله، ﷺ، في الأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر أحد ولا دعاه ولا دعا به ولا استنصر به، فلو كان وقع شيء منها لنقل، إذ من المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، فحينئذ يتبين أن الدعاء عند القبور والدعاء بأربابها لا يخلو إما أن يكون أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا.. فإن كان أفضل كيف خفي علماً وعملاً على الصحابة والتابعين وتابعيهم، فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم؛ وتظفر به الخلوف علماً وعملاً، ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما إذا ظهر لهم حاجة فاضطروا إلى الدعاء، فإن المضطر

يتشبث بكل سبب وإن كان فيه كراهة ما، وهم كيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء، ويعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لم يقصدوه؛ هذا محال طبعاً وشرعاً؛ فتعين القسم الآخر الذي هو أنه لا فضل للدعاء عند القبور؛ ولا هو مشروع؛ ولا مأذون فيه بل هو مما شرعه عبّاد القبور، ولم يشرعه الله ولم ينزل به سلطاناً.

وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير كما روى غير واحد عن المعرور بن سويد أنه قال: صليت مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في طريق مكة صلاة الصبح، فقرأ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ ثم رأى الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين مسجد فيه صلّى رسول الله، ﷺ، فهم يصلون فيه فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعاً، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمدها[1].

وكذلك لما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه أرسل فقطعها، رواه ابن وضّاح في كتابه فقال: سمعت ابن يونس يقول: أمر عمر بن الخطّاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي عليه الصلاة والسلام، فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون إلى الشجرة، فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة.

روى أبو بكر الخلال بإسناده عن حذيفة بن اليمان أنه قال لرجل جعل في عضده خيطاً من الحمى: لو مت وهذا عليك لم أصل عليك، بل قد أنكر رسول الله، ﷺ، على الصحابة لما سألوه أن يجعل لهم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم وأمتعتهم بخصوصها، كما

(١) عبد الرزاق في المصنف (٢/١١٨، ١١٩) ح (٢٧٣٤) من حديث الأعمش عن المعرور عن عمر به وانظر: كلام الحافظ ابن حجر عليه في الفتح (١/٦٧٨).

روى البخاري في صحيحه عن أبي واقد الليثي أنه قال: خرجنا مع رسول الله، ﷺ، قبل حنين، ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها، وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي عليه الصلاة والسلام، **«الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم»**[١].

فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق[٢] الأسلحة والعكوف اتخاذ إله مع الله ـ تعالى ـ مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها شيئاً. فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء عنده ودعاء صاحبه والدعاء به؟.

حال القبوريين أبعد ما يكون عن السنة وحال السلف

فمن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل البدع والضلال اليوم في هذا الباب علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد ما بين المشرق والمغرب.

وقد ذكر البخاري في صحيحه عن أم الدرداء أنها قالت: دخل

---

(١) هذا وهم من المؤلف فالحديث لم يخرجه البخاري في صحيحه، إنما أخرجه الترمذي (٤/٤٧٥) ح (٢١٨٠) في الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم وقال الترمذي حسن صحيح، وأحمد (٥/٢١٨) عبد الرزاق (١١/٣٦٩) ح (٢٠٧٦٣) باب سنن من كان قبلكم، والطبراني في الكبير (٣/ ٣٢٩٠، ٣٢٩١، ٣٢٩٥، ٣٢٩٣، ٣٢٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٨/٢٤٨) ح (٦٦٦٧) باب ذكر الأخبار من اتباع هذه الأمة سنن من قبلهم والإثم (إحسان)، والطيالسي (١٣٤٦) وأبو يعلى في مسنده (٢/١٥٩) ح (١٤٣٧)، والحميدي في مسنده (٢/ ٣٧٥) ح (٨٤٨)، وابن جرير في التفسير (٩/ ٤٥) والنسائي في التيسير ص (٧٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧) ح (٧٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٢٤) ح (٢٠٤، ٢٠٥)، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر (٣/ ١١٤) كلهم من طريق سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي مرفوعاً وهو حديث صحيح.

(٢) في الأصل: لتعلق. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

أبو الدرداء مغضباً، فقلت: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد، ﷺ، إلا أنهم يصلون جميعاً[١].

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟.. فقال: ما أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت.. ذكره البخاري.

وقال المبارك بن فضالة: صلى الحسن الجمعة، وجلس فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ فقال: تلومونني على البكاء، ولو أن رجلاً من المهاجرين اطّلع على باب مسجدكم ما عرف شيئاً مما كان عليه على عهد رسول الله ﷺ مما أنتم اليوم عليه إلا قبلتكم هذه، وهذه إشارة إلى الفتنة العظمىٰ التي قال فيها عبد الله بن مسعود: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة، وإذا غيرت قيل غيرت السنة أو هذا منكر.

قال ابن القيم في إغاثته: وهذا مما يدل على أن العمل إذا جرى على خلاف السنة فلا عبرة ولا التفات إليه. وقد جرى العمل على خلاف السنة منذ زمن أبي الدرداء وأنس كما سمعت آنفاً.

وإنّما اشتغل كثير من الناس بأنواع العبادات المبتدعة التي يكرهها الله ـ تعالى ـ ورسوله لإعراضهم عن المشروع فإنهم وإن أقاموه بصورته الظاهرة لكنهم هجروا حقيقته المقصودة منه، وقد ثبت أن الشرائع أغذية القلوب، فلما غذيت بالبدع لم يبق فيها فضل، وإلا فمن أقبل على الصلوات الخمس بوجهه وقلبه مراعياً لما شرع فيها من السنن والواجبات عارفاً بما اشتملت عليه من الكلم الطيب والعمل الصالح، واهتم بها كل الاهتمام؛ وجد في ذلك من الأحوال الزكيّة والمقامات العليّة ما يغنيه عن الشرك والتبدع.

---

(١) البخاري (٢/ ١٦١) ح (٦٥٠) في الأذان باب فضل صلاة الفجر في جماعة من حديث سالم عن أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً.
وأخرجه بنحوه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٨٥) من رواية القاسم عن أم الدرداء عنه.

ومن قصر فيها يوجد فيه الشرك والبدع بحسب ذلك، ومن أصغى إلى كلام الله ـ تعالى ـ بقلبه، وإلى حديث رسول الله، ﷺ، بكليته، وهيأ نفسه لاقتباس العلم والهدى منهما لا من غيرهما وجد في كل منهما من أنواع العلوم النافعة ما يميز به بين الحق والباطل والحسن والقبيح، ويغيب عن البدع والخيالات التي هي وساوس النفوس والشياطين.

ومن بعد عن ذلك فلا بد أن يتعوض عنه بما ينفعه، كما أن من عمّر قلبه بمحبة الله ـ تعالى ـ وذكره، وخشيته، والتوكل عليه، والإنابة إليه وجد في ذلك من الحالات السنية ما يغنيه عن محبة غيره، وخشيته والتوكل عليه، وإذا خلا عن ذلك صار عبد هواه، وأي شيء استحسنه يملكه ذلك الشيء ويعبده.

فالمعرض عن التوحيد مشرك وكافر شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال شاء أم أبى.

السبب في افتتان القبور بها

فإن قيل: فما الذي أوقع عبّاد القبور في الافتتان بها مع العلم بأن ساكنيها لا يملكون لهم ضرًّا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟

قيل: أوقعهم في ذلك أمور:

منها: **الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله** بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك، فالذين قل نصيبهم من ذلك إذا دعاهم الشيطان إلى الفتنة بها ولم يكن لهم من العلم ما يبطل دعوته استجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل وعصموا بقدر ما معهم من العلم.

ومنها: أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عبّاد الأصنام من المقابرية على رسول الله، ﷺ، وهي تناقض دينه وما جاء به، كحديث: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**»[1] وحديث: «**لو**

---

(١) قال شيخ الإسلام إنه مكذوب بإجماع العارفين بالحديث واتفاق أهل العلم=

حسن أحدكم ظنه بحجر نفعه»[1] وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها عبَّاد القبور، وراجت على أشباههم من الجهَّال، والضلال، والله ـ تعالى ـ بعث رسوله عليه الصلاة والسلام، لقتل من حسن ظنه بالأحجار، والأشجار. وجنب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق، كما تقدَّم.

ومنها: حكايات حكيت لهم عن أهل تلك القبور أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلان دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت حاجته، وفلان نزل به فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره.

وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله ـ تعالى ـ على الأحياء والأموات.

والنفوس مولعة بقضاء حوائجها، وإزالة ضروراتها، فإذا سمع أحد أن قبر فلان ترياق يميل إليه، والشيطان له تلطف في الدعوة، فيدعوه أولاً إلى الدعاء عنده فيدعو عنده بحرقة وانكسار وذلة، فيجيب الله ـ تعالى ـ دعوته لما قام بقلبه من الذلة والانكسار لا لأجل القبر، فإنه لو دعا كذلك في الحانة والخمَّارة والحمام والسوق أجابه، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة، والله ـ تعالى ـ يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً فليس كل من أجاب الله ـ تعالى ـ دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محبًا له ولا راضياً بفعله، فإنه ـ تعالى ـ يجيب دعاء البر والفاجر والمؤمن والكافر.

وكثير من الناس يدعو دعاءً يعتدي فيه، أو يشرك، أو يكون فيه ما لا يجوز أن يسأل، فيحصل له ذلك كله أو بعضه، فيظن أن عمله

= ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة، انظر التوسل والوسيلة ٢٩٧ ط. تحقيق د. ربيع والرد على البكري مختصر كتاب الاستغاثة ٣٠٢، ٣٠٣.

(١) قال في تمييز الطيب من الخبيث ص (١٣٣) بعد إيراده: قال ابن تيمية: إنه موضوع وقال ابن حجر لا أصل له.

ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على خالقه، أو يقول في دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك؛ وعن أبي يوسف جوازه لما روي أنه عليه

(١) سورة الأنعام، الآية: (٤٤).

السلام دعا بذلك، ولأن معقد العز من العرش إنما يراد به القدرة التي خلق الله ـ تعالى ـ بها العرش مع عظمته فكأنه سئل بأوصافه.

وما قال فيه أبو حنيفة وأصحابه: أكره كذا، فهو عند محمد حرام، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب.

فإذا قرّر الشيطان عنده أن الإقسام على الله ـ تعالى ـ به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجح في قضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله ـ تعالى ـ والنذر له، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل والشمع، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف به، وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيداً ومنسكاً، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم.

[مراتب البدع القبورية]

قال ابن القيم في إغاثته نقلاً عن شيخه:

وهذه الأمور المبتدعة عند القبور على مراتب أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس، وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام، ولهذا يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب في بعض الأزمان كما يتمثل لعبّاد الأصنام، فإنه يدعو من يعظمه فيتمثل له الشيطان ويخاطبه ببعض الأمور الغائبة، فإن الشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر وسائر الكواكب ودعاها، فإن الشيطان ينزل عليه ويخاطبه ويحدِّثه ببعض الأمور، ويسمون ذلك روحانية الكواكب وهو الشيطان، فإنه وإن أعان الإنسان ببعض مقاصده لكنه يضره أضعاف ما ينفعه، وكذلك يوجد بعبّاد القبور عند القبور أحوال يظنون أنها كرامات وهي من الشيطان، مثل أن يوضع عند قبر من يظن كرامته مصروع، فيرون أن الشيطان قد فارقه، فإنه يفعل ليضل.

ومن عظيم كيده ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام التي هي رجس من عمل الشيطان، وقد أمر الله المؤمنين باجتنابه، وعلّق فلاحهم بذلك الاجتناب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1]،

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٩٠).

الآية. فالأنصاب جمع نصب بضمتين أو بالفتح والسكون، وهو كل ما نصب وعبد من دون الله من شجر أو حجر أو وثن أو قبر.

قال مجاهد وقتادة وابن جريج: كان حول البيت أحجار، وكان أهل الجاهلية يعظمون تلك الأحجار، ويعبدونها، ويذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها، وهي ليست بأصنام؛ وإنما الصنم ما يصور وينقش.

وأصل اللفظ الشيء المنصوب الذي يقصده من رآه، فمن الأصنام ما نصبه الشيطان للناس من شجرة أو عمود أو قبر، وغير ذلك، والواجب هدم ذلك كله ومحو أثره، كما أن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ لما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع تحتها النبي، ﷺ، أرسل فقطعها، فإذا كان عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فعل ذلك بالشجرة التي بايع تحتها صحابة رسول الله ﷺ وذكرها الله ـ تعالى ـ في القرآن حيث قال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(١) فما حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بسببها.

وأبلغ من ذلك أنه عليه السلام، هدم مسجد الضرار، ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها حتى تسوى بالأرض.

---

(١) سورة الفتح، الآية: (١٨).

[حكم هدم القباب المبنية على القبور]

وكذلك القباب التي بنيت على القبور يجب هدمها لأنها أسست على معصية الرسول، ﷺ، وكل بناء أسس على معصيته ومخالفته فهو أولى بالهدم من مسجد الضرار، لأنه عليه السلام نهىٰ عن البناء على القبور ولعن المتخذين عليها مساجد، وأمر بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض.

فيجب المبادرة والمسارعة إلى هدم ما نهى عنه رسول الله، ﷺ، ولعن فاعله، وكذلك يجب إزالة كل قنديل وسراج وشمع أوقدت على القبور، فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله، ﷺ، والله ـ تعالى ـ يقيم لدينه ولسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: (انظروا ـ رحمكم الله تعالى ـ أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها[١] ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون[٢] بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها)[٣].

---

(١) في كتاب الحوادث والبدع (ويعظمون من شأنها).
(٢) في كتاب الحوادث والبدع (وينطون).
(٣) الحوادث والبدع ص (١٠٥) ط. دار الغرب.

وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب الحوادث والبدع: (ومن هذا القسم أيضاً ما قد عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق بعض الحيطان والعمد، وشرح[١] مواضع مخصوصة[٢] من كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً مما شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله - تعالى - وسنة[٣] رسوله، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي[٤] بين شجر، وحجر، وحائط، وعين)[٥] يقولون إن هذا الشجر، وهذا الحجر، وهذه العين يقبل النذر أي العبادة من دون الله - تعالى -، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله - تعالى - أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقي في كتاب مكة عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٦] قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا أن يمسحوه، بل اتفق العلماء على أنه لا يستلم ولا يقبل إلا الحجر الأسود، وأما الركن اليماني فالصحيح أنه يستلم ولا يقبل.

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب، فتنة أصحاب القبور وهي أصل فتنة عبَّاد الأصنام، كما قال السلف من الصحابة والتابعين، فإن الشيطان ينصب لهم قبر رجل معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من

---

(١) في كتاب الباعث (وسرج).
(٢) في كتاب الباعث (في).
(٣) في كتاب الباعث (وسننه).
(٤) في كتاب الباعث (وهي من بين عيون وشجر وحائط).
(٥) كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث ص (١٠١) ط. دار الراية.
(٦) سورة البقرة، الآية: (١٢٥).

دون الله، ثم يوحي إلى أوليائه أن من نهى عن عبادته واتخاذه عيداً وجعله وثناً، فقد تنقصه وهضم حقه، فيسعى الجاهلون في قتله وعقوبته، ويكفرونه وما ذنبه إلا أنه أمر بما أمر به الله ـ تعالى ـ ورسوله، ونهى عما نهى الله ورسوله.

وأما الأزلام: فقال سعيد بن جبير: كانت لأهل الجاهلية حصيات إذا أراد أحدهم أن يغزو أو يجلس استقسم بها أي طلب بها ما قسم له.

وقال أيضاً: هي القدحان اللذان كان يقتسم بهما أهل الجاهلية في أمورهم، مكتوب على أحدهما (أمرني ربي) وعلى الآخر (نهاني ربي) فإذا أراد أمراً ضربوا بها، فإن خرج الذي عليه أمرني ربي فعلوا ما هموا به، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي تركوه.

وقال الأزهري: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾[١] أي وأن تطلبوا من جهة الأزلام ما قسم لكم من أحد الأمرين.

وقال أبو إسحاق الزجاج وغيره: الاستقسام بالأزلام حرام ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجم لا تخرج من أجل طلوع نجم كذا، أو اخرج لأجل طلوع نجم كذا، لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[٢] وذلك دخول في علمه ـ تعالى ـ الذي هو غيب عنا، فهو حرام.

ويدخل فيه «الفأل» الذي يفعل في زماننا ويسمونه «فأل القرآن» وقال دانيال عليه السلام، أو نحوهما فإنهما من قبيل الاستقسام بالأزلام، فلا يجوز استعمالها ولا اعتقادها لأن فيها الخبر عن الغيب والتطير بالقرآن العظيم، وإنما الفأل التيمن والتبرك بالكلمة المرافقة للمراد كالراشد، والنجيح.. لما روى البخاري ومسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه السلام، قال: «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني**

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٢) سورة لقمان، الآية: (٣٤).

الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**كلمة طيبة**»[١]. وروى الترمذي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه عليه السلام، كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: يا راشد... يا نجيح[٢].

الفرق بين الصالحين وعباد القبور

والحاصل أن عباد الله الصالحين إذا عرض لهم أمر من أمور الدين والدنيا يستخيرون الله ـ تعالى ـ فيه بالاستخارة التي رواها البخاري في صحيحه عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كان رسول الله، ﷺ، يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، فيقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب. اللَّهمَّ إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي. ثم بارك لي فيه؛ وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه؛ واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به**»[٣].

---

(١) البخاري (١٠/ ٢٢٥)، ح (٥٧٥٦) في الطب باب الفأل وباب لا عدوى، مسلم (٤/ ١٧٤٦) ح (٢٢٢٤) في السلام باب الطيرة والفأل، كلاهما من حديث قتادة عن أنس.

(٢) الترمذي (٤/ ١٦١) ح (١٦١٦) في السير باب ما جاء في الطيرة وقال حسن غريب صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٩٠) ح (٤٩٧٨) ونسبه للترمذي والحاكم والطيالسي وأبي نعيم.

(٣) البخاري (١٣/ ٣٨٧) ح (٧٣٩٠) في التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾. أحمد (٣/ ٣٤٤) أبو داود (٢/ ١٨٧) ح (١٥٣٨) في الصلاة باب في الاستخارة والنسائي (٦/ ٨٠) في النكاح باب الاستخارة، والترمذي (٢/ ٣٤٥) (٤٨٠) في الصلاة باب ما جاء في الصلاة الاستخارة، وابن ماجه (١/ ٤٤٠) (١٣٨٣) في الصلاة باب ما جاء في صلاة الاستخارة من حديث محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً.

وأما أهل الفسق والجهلة الذين ضلوا عن طريق الهدى فإن أحدهم إذا عزم على أمر ذهب إلى المنجم والكاهن وصاحب الرمل والحصى، فيلعبون بعقله، ويزداد بسؤالهم جهلاً وخساراً، ويصدقهم بما قالوا له، ويعطيهم على ذلك أجرة، ولا يعلم ذلك المسكين أن ذلك يهدم دينه ودنياه.

لما روي أنه عليه السلام، قال: **«من أتى كاهناً، فسأله عن أمر ثم صدَّقه بما أخبر به لم تقبل صلاته أربعين صباحاً»**(١) وفي رواية: **«من صدَّق كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد عليه السلام»**(٢).

والكاهن هو المنجم سواء كان برمل أو حصى أو شعير أو غير ذلك.

والمقصود أن كثيراً من الناس ابتلوا بالأنصاب والأزلام؛ فالأنصاب للشرك والعبادة؛ والأزلام للتكهين وطلب علم استأثر الله ـ تعالى ـ به واستبد؛ فهذه للعلم، وتلك للعمل؛ ودين الله ـ تعالى ـ مضاد لهذا وهذا؛ وإنما الرسول عليه السلام، بعث لإبطالهما.

والله المستعان وعليه التكلان....

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

---

(١) مسلم (٤/ ١٧٥١) ح (٢٢٣٠) في السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان وأحمد (٥/ ٣٨٠) من حديث نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ.

(٢) أحمد (٢/ ٤٢٩). الحاكم (١/ ٨) من حديث طلاس ومحمد عن أبي هريرة وقال الحاكم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣١) ح (٥٩٣٩).

المشاهدات المعصومية

عند

قبر خير البرية

تأليف

محمد سلطان المعصومي الحنفي

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[٣].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد:

فهذه مشاهدات للشيخ العلامة (محمد بن سلطان المعصومي

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٠، ٧١).

الخجندي الحنفي)، سجل فيها ما رآه من انحرافات ومخالفات تقع من بعض البسطاء والجهلاء من المسلمين عند قبر النبي، ﷺ، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلوّ في الأشخاص والأمكنة، وغير ذلك.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ»**[١].

وقال: **«ألا إن من كان قبلكم كانوا يتّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتّخذوا القبورَ مساجد فإنّي أنهاكم عن ذلك»**[٢].

وقال: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبدُ، اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[٣].

وقال: **«لا تتّخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم مقابر، وصلُّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[٤].

وهذه المخالفات التي تقع من كثير من الناس لا يُقرّها النّقل الصّحيح ولا العقل الصّريح، بل هي مصادمة لأصول الملّة الحنيفية من إخلاص الدين لله، وصرف جميع أنواع العبادة إليه دون ما سواه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[٥].

وقد طبعت هذه الرسالة طبعتين في حياة المؤلف ـ يرحمه الله تعالى ـ:

الأولى: في مصر.

---

(١) يأتي تخريجها في ثنايا الكتاب ص٢٥٧.
(٢) يأتي تخريجها في ثنايا الكتاب ص٢٦١.
(٣) يأتي تخريجها في ثنايا الكتاب ص٢٥٧.
(٤) يأتي تخريجها في ثنايا الكتاب ص٢٥٧.
(٥) سورة البينة، الآية: (٥).

والثانية: في الباكستان طبعة حجرية.

ومنهجي في إخراج هذه الرسالة ما يأتي:

١ ـ اتخذت الطبعة المصرية أصلاً، وتركت الباكستانية لكثرة ما ورد فيها من أخطاء، فلم أُعرّج عليها.

٢ ـ عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجتها ما أمكن.

هذا والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذه الرسالة المسلمين، والله من وراء القصد. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه

محمد بن عبد الرحمن الخميس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وجعلنا من أهل التّوحيد والإحسان، ووفّقنا للاتباع لسنة سيد ولد عدنان، سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام، وحفظنا من البدع والحدثان، ووقانا مِنَ الغلوّ والخرافات والهذيان، فالحمدُ له ـ تعالى ـ أولاً وآخراً ما تكرّر الجديدان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بيّن لنا ما أوجب الله علينا حق البيان، وأمرنا بالتّمسّك والعمل بكتاب الله وسنّته الثابتة بالأسانيد الصحيحة في دواوين أهل العرفان، وعلى آله وأصحابه، وتابعيهم بإحسان، جعلنا الله ـ تعالى ـ منهم، وحشرنا في زمرتهم بفضله ومنّه. آمين.

أما بعد: فيقول العبد الضعيف المهاجر، وفي بلد الله الأمين المجاور أبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن محمد سلطان المعصومي الخجندي: إنه لما منّ الله ـ تعالى ـ عليّ بشَرَف زيارة المدينة الطيبة، والصلاة في المسجد النبوي الشريف والروضة المباركة، ثم الزيارة بالسلام على رسول الله، ﷺ، مواجهة قبره الشريف، ثم صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ مرّات بعد مرّات، وذلك أولاً في عام ١٣٢٤هـ في عهد سلطنة عبد الحميد خان العثماني التركي، وقد أقمت فيها عدّة أشهر، وأخذتُ عن علمائها الموجودين في ذلك الوقت كالسيد البرزنجي، والشيخ عبد الله القدومي، والشيخ محمد خليل الخربوطي وغيرهم. وثانياً في عام ١٣٥٤هـ في عهد

الملك المعظم عبد العزيز السعودي وأقمتُ فيها ستة أشهر مدرساً في مدرسة دار الحديث المدنية، وثالثاً في عام ١٣٥٧هـ في عهد الملك المذكور أيضاً مع زوجتي وكان عمر بنتي عائشة عامين، فأقمنا في أيام الصيف أربعة أشهر. ثم رابعاً عام ١٣٦٦هـ في عهد الملك المذكور أيضاً، وكانت معي زوجتي المذكورة وبناتي الثلاث: عائشة، وفاطمة، وزينب، وولدي عبد الرحمن، وعمره إذ ذاك عامان ونصف، ولازمنا أداء الصلوات الخمس في الروضة المطهرة، بتوفيق من الله ـ تعالى ـ وفضل ومنة، فالحمد لله رب العالمين.

سرّ مشروعية زيارة القبور

اعلم أن الله ـ تعالى ـ ورسوله محمداً، ﷺ، إنما أذنا في زيارة القبور بعد أن منعا منها للاعتبار والاتعاظ، وتذكُّر الموت والآخرة، وللتنبيه على أنه لا بقاء لأحد من المخلوقين ولو كان نبيًّا أو وليًّا، حتى ولو كان سيد المرسلين، وحبيب ربّ العالمين: سيدنا محمداً رسول الله، ﷺ، فإنه لا بدّ حتماً، طوعاً أو كرهاً، يجيب هادم اللّذات، ففيه عبرة لمن له أدنى عقل، أو ذرّة من فهم مستقيم سليم، فالميّت أيًّا كان قد انقطع عملُه في هذه الحياة الدنيا، وهو لا يعلم ما يقع ويجري في الدنيا من الأعمال والأقوال ولو عند قبره، لأنّ روح الميت: إما في عِلِّيين إن كان من السّعداء، كالأنبياء والمؤمنين المفلحين، أو في سجِّين وأسفل السّافلين إن كان من المشركين والكفرة والملحدين، وقد تحولوا عن هذه الدّار الدنيا، ودخلوا في عالم البرزخ، وحال وحكم عالم البرزخ غير حال عالم الدنيا البتّة.

ولو فرضنا أنه يعلم بالواقع ولكنه لا يقدر على الجواب والردّ كما تفيده الآيات الصريحة. فتنبه.

ولا شكّ أن الميت أيًّا كان، محتاج إلى رحمة الله ـ تعالى ـ ودعاء الأحياء لهم بالرحمة والمغفرة ينفعهم، وكذا صدقة الأحياء لهم.

فالنّتيجة من زيارة القبر حصول العبرة والاعتبار. وتذكّر الموت والآخرة للزائر، وحصول ثواب الدعاء والصدقة للميّت، وهذا سرّ التّرغيب في زيارة القبور لا غير، فمن فعل غير ذلك، أو اعتقد غير

ما قلنا؛ فقد خالف الله ورسوله، وعكس الأمر، كما لا يخفى.

اعلم أن النبي ﷺ أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، وأفضل بني البشر على الإطلاق، فكذلك قبره أشرف القبور بلا ارتياب؛ فكما أنه، ﷺ، بشر من البشر من حيث إنه بشر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[1]، فكذا قبره الشريف: قبر من القبور، يُزار كما تُزار؛ للتذكّر والاعتبار، فكما علّمنا رسول الله، ﷺ، إذا زُرنا القبور: أي قبور المسلمين؛ أن نقول: «**السَّلام عليكم دار قَوْم مُؤمنين يغفر الله لنا ولكم أنتم لَنَا سَلفٌ، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحِقون، ويَرحَمُ عز وجل المُستقدِمين مِنّا وَالمستأخرين**»[2]. فحيث علّمنا هكذا عند زيارة القبور علِمنا منه أن نقول عند زيارة قبره الشريف: «**الصَّلاةُ والسلامُ عليك يا رسُول الله، الصلاةُ والسلامُ عليكَ يا نبيَّ الله، الصلاة والسلامُ عليك يا سيدَ المُرسلين؛ قد بلّغت الرِّسالةَ، وأديت الأمانَةَ، ونصحت الأمةَ، فجزاك الله ـ تعالى ـ عنَّا وعن سائر المسلمين خيراً**»[3]. وهكذا ثبت عن صاحب رسول الله ﷺ: عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

ولا شكّ أن كل مسلم يحبّ رسول الله، ﷺ، أشدّ من حبّه نفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين. وعلامة صدق هذا الحبّ إنّما تثبت وتظهر بشيئين: أحدهما: العمل بسنته، قولية أو فعلية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[4]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

(٢) مسلم (١/٢١٨) ح (٢٤٩)، في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، أبو داود (٣/٥٢٨) ح (٣٢٣٧)، في الجنائز، باب ما يقول إذا زار القبور أو مرّ بها، من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، وابن ماجه (١/٤٩٣) ح (١٥٤٦) في الجنائز، باب ما جاء فيما يقال: إذا دخل المقابر من حديث عامر بن ربيعة عن عائشة مرفوعاً، ولفظ المصنف عبارة عن تلفيق لعدة روايات في الباب.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[١]. وثانيهما: الصلاة والسلام عليه، كلّما تيسّر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[٢]. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وأما التوجه إلى قبره، ﷺ، من كل نواحي المسجد كلّما دخل المسجد، أو كلّما فرغ من الصلاة، فليس من دين الإسلام أصلاً؛ بل من شعار عُبَّاد الأوثان والمشركين قطعاً. وقد ثبت عن النبي، ﷺ، أنه قال: **«اللهم لا تَجعل قَبرِي وثَناً يُعبد بَعدي»**[٣]. **«ولا تَتخِذوا قَبرِي عِيداً»**[٤]. **«لَعن الله اليَهودَ والنَّصارى اتَّخذوا قُبُور أنبيَائهم مَساجِد»**[٥].

ولا شكّ أن التوجّه إلى شيء أو إلى جهة بقصد التقرّب

---

(١) سورة الحشر، الآية: (٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٥٦).

(٣) أحمد (٢/٢٤٦) بدون قوله (يعبد) من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً، ومالك مرسلاً (١/ ١٧٢) ح (٨٥)، في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة من حديث عطاء بن يسار عن النبي ﷺ، وكذا عبد الرزاق مرسلاً (٨/ ٤٦٤) ح (١٥٩١٦) من طريق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد مولى المهدي مرفوعاً.

(٤) أبو يعلى (١/ ٢٤٥) ح (٤٦٥)، ابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠) ح (٧٥٤٢)، في الصلاة عند قبر النبي ﷺ، وإتيانه والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢/ ١٨٦)، والقاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ، (ص ١٠)، كلهم من طريق علي بن الحسين عن أبيه عن جده مرفوعاً.
قال السخاوي في القول البديع ص (١٥٥)): هو حديث حسن.

(٥) البخاري (٧/ ٧٤٧) ح (٤٤٤٣) في المغازي. باب مرض النبي ﷺ، ووفاته، مسلم (١/ ٣٧٧) ح (٥٣١) في المساجد ومواضع الصلاة. باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عبيد الله بن عبد الله عن عائشة عن ابن عباس مرفوعاً.

وحصول الثّواب عبادة، والعبادة حق الله خاصة دون غيره، وهذا لا يكون إلا للكعبة فقط، فمن توجه إلى غير الكعبة بقصد القربة فقد أشرك بعبادة الله غيره. وهذا مناف للإسلام، وما جاء به محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقبلة العبادة، وقبلة التوجّه، وقبلة الفيض والبركة، وقبلة الدّعاء: إنّما هي الكعبة لا غير في دين الإسلام ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[1]. فالذي يتوجّه إلى القبر ولو قبر رسول الله، ﷺ، فقد اتخذه قبلة وكعبة، وذلك عين الشّرك الأكبر، وعين عبادة الأوثان. كما لا يخفى على كل من يعلم ما جاء به سيدُنا محمد رسول الله ﷺ.

والعبد الضّعيف في زياراتي الأربع للمدينة الطّيبة، قد أمعنتُ النّظر، فشاهدتُ في المسجد النبوي، وعند قبره الشّريف، ما يُضادّ الإيمان، ويهدم الإسلام، ويُبطل العبادات من الشّركيّات والوثنيات الصّادرة من الغلو وتراكم الجهالات، والتقليد الجامد الأعمى، أو التعصّب الباطل؛ وغالب من يرتكب هذه المنكرات بعضُ الغرباء من أهل الآفاق ممن لا خبر له عن حقيقة الدّين، فإنهم قد اتخذوا قبر النبي، ﷺ، وثناً غلوًّا في المحبة وهم لا يشعرون، لأن الحبّ والغلو يعمي ويُصمّ؛ والمشركون لم يقصدوا إلا تعظيم الله بتعظيم الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[2] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[3].

وقد شاهدنا أنهم يصلّون كثيراً، ويقرأون القرآن كثيراً، ولكن لا يفهمون معنى ما يتلون، ولا يتدبّرون ذلك، وإن ادعوا أو زعموا أنّهم علماء وعرفاء، لأنهّم لو عرفوا معنى الحمد لله ربّ العالمين؛ لعلموا أن العالمين كلّهم مخلوقون، ومربُوبُون، ومحتاجون وفقراء إلى الله

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٤).
(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).
(٣) سورة يونس، الآية: (١٠٨).

ربّ العالمين. والعالمين جمع عالم، والعالم كل ما سوى الله ـ تعالى ـ من الموجودات؛ فالملائكة والأنبياء ومن دونهم كلهم مخلوقون ومربوبون ومحتاجون إلى تربية الربّ الرحمٰن الرحيم، مالك يوم الدين. فمن عرف معنى ربّ العالمين، ومالك يوم الدين، وإيّاك نعبد وإيّاك نستعين، هل يرجو غير الله، أو يخاف من غير الله، أو يعبد غير الله، أو ينذر لغير الله؟

ومن عرف معنى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾[1]. وكذا قوله ﷺ: **«إنا نحن نتولّى الظوَاهِر والله يتولّى السّرائِرَ»**[2]. وما وقع له ﷺ من أن جرو الكلب الميت كان تحت سريره وهو لا يدري فلما تأخر جبريل عليه السلام، وبيّن أن سبب تأخيره أن تحت سريره جثّة كلب ميت علم بذلك فأخرجه، وكذا واقعة خلع نعله في الصلاة، وكذا واقعة فقد عائشة في السّفر عن هودجها، فهو ﷺ لم يعلم ما غاب عن بصره في حياته إلا إذا أعلمه الله ـ تعالى ـ بالوحي، فكيف يعلم ما غاب عنه بعد موته وهو في عالم البرزخ؟!. أما يعلم هؤلاء الغلاة: أنه حينما تُرَدُّ طائفة من أمته عن حوضه الكوثر وتُطرد فيقول ﷺ: **«يا رب إن هؤلاء من أمّتي، فيقُول الله ـ تعالى ـ إنكَ لا تدري ما أحدثوا بَعدك»**![3] فقد صرح الله ـ تعالى ـ بأنه، ﷺ، لا يعلم ما يقع في عالم الدنيا، فمن يزعم أنه ﷺ يعلم الغيب بعد موته أو يُعين من استعان به، أو يُغيث من استغاث به، فقد خالف كتاب الله وسنة رسول الله، ﷺ، وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ رضي الله عنهم ـ فلا شكّ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٨).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البخاري (٦/١٣) ح (٧٠٥٠) في الفتن. باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ...﴾ من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعاً مسلم (١٧٩٤/٤) ح (٢٢٩٤) في الفضائل. باب إثبات حوض نبينا ﷺ، وصفاته من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة مرفوعاً وورد من حديث أسماء وابن مسعود وغيرهم.

أن هذا وأمثاله صار محروماً من هداية الله وتوفيقه، ورحمته، وجنّته ولكن من كمال جهله ونهاية غلوّه لا يشعر بذلك، فقد أعماه التّقليد، فلعنة الله على من أحدث هذه البدع الشّركيات والخرافات والضّلالات، أعاذنا الله تعالى منها بفضله ومنّه وإحسانه.

فيا أيها المدّعون محبة رسول الله، ﷺ، وغالب الظنّ أنكم صادقون في دعواكم المحبّة، ولكنكم بسبب الغلوّ والجهل جهلتم حقيقة المحبّة الصحيحة التي يُحبّها الله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، ألا وهي امتثال أمره، والانتهاء عما نهى عنه، قولاً وفعلاً، ولا شكّ أن توجّهكم كلّما دخلتم المسجد وخرجتم إلى قبره، ﷺ، متواضعين، ومتخشعين، ومتذلّلين مخالف لما قاله النبي، ﷺ، كما رواه مالك ـ يرحمه الله ـ في موطّئه مرسلاً عن عطاء ـ يرحمه الله تعالى ـ في موضعين منه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللّهم لا تجعل قَبرِي وَثناً يُعبدُ**[1]. **واشتد غَضبُ الله على قَوم اتّخذوا قُبور أنبيائِهم مَساجِد**»[2]. والعمل الذي ـ أنتم أيّها المدّعون ـ تعملونه من التّوجه إلى القبر النبوي بالتّواضع والتذلّل هو بعينه ما يفعله عُبّاد الأوثان لأوثانهم، رجاء البركة والفيض، فإذن لا فرق بين ما تعملون أنتم أيها المدّعون وما تعمله عبدة الأوثان!! اللات والعُزَّى، وودّ، وسِوَاع، ويعوق، ويغوث ونسراً، فأنتم أيها المدّعون راجعوا تفسير آية اللات والعزَّى، وآية يَغُوثَ ويَعُوقَ، ونسراً، لتحذروا مما ذمّه الله ـ تعالى ـ وذمّه رسوله، ﷺ، واحذروا مما أنتم عليه من التوجه إلى القبر، لأنه وثنية وشرك وضلالة، وصلّوا وسلّموا على النبي، ﷺ، حيثما كنتم، فإن صلاتكم تصل إليه، وأنتم ومَن بالأندلُس والشرق الأقصى سواء، كما تصلّون فيما بعد التشهد في صلواتكم فرضها ونفلها، والعمدة على صدق النية.

---

(١) سبق تخريجه صفحة (٢٥٧).

(٢) الحديث السابق نفسه. مالك في الموطأ (١/ ١٧٢) ح (٨٥) في قصر الصلاة. باب جامع الصلاة. من حديث عطاء بن يسار مرفوعاً مرسلاً.

والتوجّه بقصد القربة مخصوص شرعاً بالكعبة خاصّة، فمن توجه إلى غيرها بقصد القربة فقد أشرك في عبادة الله - تعالى - غيره، وهذا هو الشّرك الأكبر الذي لا يغفره الله - تعالى - أبداً إلا إذا تاب العبد توبةً صحيحة، وقد خشي النبي ﷺ من أن أمّته ستتّبع سنن من قبلها من اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان، فحذّر أمته قائلاً كما في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها -: أن رسول الله، ﷺ، قال في مرضه الذي لم يقم منه: **«لعن الله اليَهود والنَّصارى اتخذُوا قُبور أنبيائِهم مَساجِد»**. يُحذّر ما صنعوا[١].

وفي مسلم عن جُندب - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي، ﷺ، يقول: **«ألا وإن من كان قبلكُم كانوا يتّخِذون قبور أنبيائهم وصَالحيهم مساجد، ألا فلا تتّخِذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عَن ذَلك»**[٢]. وروى أبو داود والترمذي، والنسائي، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: **«لَعن رسول الله، ﷺ، زائرات القبور والمُتّخذين عليها المساجد والسُّرج، وخير البقاع مساجدها»**[٣].

---

(١) سبق تخريجه صفحة (٢٥٧).

(٢) مسلم (١/٣٧٧) ح (٥٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة. باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عبد الله بن الحارث النجراني عن جندب - رضي الله عنه - مرفوعاً بتمامه وابن سعد في الطبقات (٢/٢٤٠).

(٣) النسائي (٤/٩٤، ٩٥) في الجنائز. باب التغليظ في اتخاذ السّرج على القبور، أبو داود (٣/٥٥٨) ح (٣٢٣٦)، في الجنائز باب في زيارة النساء للقبور، الترمذي (٢/١٣٦) ح (٣٢٠) في الصلاة. باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً وقال: حديث حسن، وابن ماجه (١/٥٠٢) ح (١٥٧٥) في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور، ولفظه (زوارات القبور) مقتصراً عليه، وابن حبان (٥/٧٢) ح (٢١٦٩) (إحسان) والحاكم (١/٣٧٤) وقال: أبو صالح هذا ليس بالسمان المحتج به إنما هو بأذان ولم يحتج به الشيخان لكنه حديث متداول بين الأئمة ووجدت له متابعاً من حديث سفيان الثوري في متن الحديث فخرجته، ووافقه الذهبي على هذا الكلام.
لكن قال ابن حبان (٥/٧٢) [إحسان]: أبو صالح ميزان ثقة، وليس بصاحب الكلبي ذاك اسمه باذام.

وذكر النووي في الأذكار ما رواه أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا عليّ، فإن صلاتَكم تبلغني حيثُ كنتم»**[(١)]. قال شارحه محمد بن علان في الفتوحات الربانية ج ٣ ص ٣١٤، قال السخاوي، والقسطلاني: إنه، ﷺ، أشار بهذا إلى ما في الحديث الآخر من نهيه عن اتخاذ قبره مسجداً، أي لا تجتمعوا عنده كما تجتمعون للعيد، وفي شرح المصابيح: في الكلام حذف تقديره: لا تجعلوا زيارة قبري عيداً، ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارة قبره، ﷺ، اجتماعهم للعيد، وكانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم، فنهى النبي، ﷺ، أمته عن ذلك، وقيل: إنّما منع، ﷺ، كراهية أن يتجاوزوا في تعظيم قبره غاية التجاوز.

قلت: كما هو المشاهد اليوم، فإنهم قد غلوا غلوًّا زائداً، وصاروا كأنهم يعبدونه ويسجدون إليه؛ وذكر ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة في معنى الحديث: العيد اسم من الأعياد، يقال: عاده واعتاده، وتعوّده: صار له عادة، أي لا تجعلوا قبري محلاً لاعتياد المجيء إليه متكرّراً تكراراً كثيراً؛ فلهذا قال ﷺ: **«وَصلوا عليّ فإن صَلاتكم تبلُغني حيث كُنتم»**[(٢)]. فإن فيها كفاية عن ذلك.

قال العيني في عمدة القاري في شرح حديث عائشة - رضي الله عنها - ج ٨ ص ١٣٦: يُستفاد من قوله ﷺ: **«لعن الله اليهُود والنّصارى اتّخذوا قبور أنبيائِهم مساجِد»**[(٣)]. قطعَ الذّريعة؛ لئلاّ يَعبد قبره الجهّال، كما فعلت اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم.. إلخ.

---

(١) أبو داود (٢/ ٥٣٤) ح (٢٠٤٢) في المناسك. باب زيارة القبور من حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٢١١) ح (٧٢٢٦).

(٢) الحديث السابق نفسه.

(٣) سبق تخريجه صفحة (٢٥٧).

وقال الجلال السيوطي في حاشية النسائي في شرح الحديث المذكور ج ٢ ص ٤٢، قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنّصارى يسجدون لقبور أنبيائهم، ويتوجّهون إليها تعظيماً لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة والدّعاء نحوها، واتخذوها أوثاناً لعنهم الله، ومنع المسلمين من مثل ذلك، وأصل الشّرك إنّما حدث من تعظيم القبر والتوجّه إليه إلخ.

فصـــل فيما ورد من الأحاديث في كيفية زيارة القبور

روى مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كُنت نهيتُكم عن زيارة القُبور فزوروهَا؛ فإنَّها تذكِّر الموتَ»**[(١)].

وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: **«كان رسول الله، ﷺ، يُعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر، يقُول: السَّلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكمُ العافِية»**[(٢)]. رواه مسلم.

---

(١) أخرج مسلم (٢/ ٦٧١) ح (٩٧٦) في الجنائز. باب ما يقال عند دخول القبور من حديث أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً «استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» وعنده في (٢/ ٦٧٢) ح (٩٧٧) في الجنائز. باب ما يقال عند دخول القبور من حديث ابن بريدة عن أبيه مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن لحوم الأضاحي...».

(٢) مسلم (٢/ ٦٧١) ح (٩٧٥) في الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، والنسائي (٤/ ٩٤) في الجنائز باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، ابن ماجه (١/ ٤٩٤) ح (١٥٤٧) في الجنائز باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر، وأحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٩٧) ح (٥٩٤)، من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «مرّ النبي، ﷺ، بقبور بالمدينة فأقبل عليهم بوجهه، فقال: **السلامُ عليكُم يا أهل القُبور، يغفر الله لنا ولكُم، أنتم سلفُنا، ونحن بالأثَر**»[1]. رواه الترمذي وحسنه. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت نَهيتكم عن زيارة القُبور فزوروها، فإنّها تُزهّد في الدّنيا وتذكّر الآخِرَة**»[2]. رواه ابن ماجه. «**وقد لعنَ رسول الله، ﷺ، زوّاراتِ القبور**»[3]. قال الترمذي: قد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخّص النبي، ﷺ، في زيارة القبور، فلما رخّص دخل في رخصته الرجال والنساء. وقال بعضهم: إنّما كره زيارة القبور للنساء؛ لقلّة صبرهنّ، وكثرة جزعهن، فزيارة القبور تُورث رقّة القلب، وتذكّر الموت والبلى، والعمدة في ذلك: الدّعاء للميت، والاستغفار له، وبذلك وردت السنة.

وكيفية الزيارة المروية عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ رضي الله تعالى عنهم ـ هكذا: روى الواقدي في فتوح الشّام: لما رجع عمر ـ رضي الله عنه ـ من الشّام وقدم المدينة، كان أول ما بدأ بالمسجد وصلى ركعتين فسلّم على رسول الله، ﷺ، وروى عبد

(١) الترمذي (٣/ ٣٦٩) ح (١٠٥٣) في الجنائز باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر وقال حسن غريب والطبراني في الكبير (١٢/ ١٠٧) ح (١٢٦١٣). من حديث قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً.

(٢) ابن ماجه (١/ ٥٠١) ح (١٥٧١) في الجنائز باب ما جاء في زيارة القبور من حديث مسروق عن ابن مسعود مرفوعاً وفي الزوائد: إسناده حسن.

(٣) الترمذي (٣/ ٣٧١) ح (١٠٥٦) في الجنائز باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، وقال حسن صحيح، وابن ماجه (١/ ٥٠٢) ح (١٥٧٦) في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور من حديث عمر ابن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٢) ح (١٥٧٤)، من حديث عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه مرفوعاً، و (١/ ٥٠٢) ح (١٥٧٥) من حديث أبي صالح عن ابن عباس مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٠٩) ح (٥١٠٩).

الرزاق أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي، ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[١]. وروى مالك في الموطأ أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان يقف على قبر النبي، ﷺ، فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ. وفي مسند الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه كان يأتي قبر النبي، ﷺ، من قِبل القبلة ويقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وقد روى عبد الرزاق أن الحسن بن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم ـ رأى قوماً عند القبر الشريف فنهاهم، وقال: إن النبي، ﷺ، قال: **«لا تتخِذوا قبري عيداً، وصلّوا عليّ حيثُما كنتم فإن صَلاتكم تَبلُغني»**[٢]. عن سهل بن سهيل ـ يرحمه الله تعالى ـ قال: جئت أسلّم على النبي، ﷺ، فرآني الحسن بن الحسن ـ رضي الله عنهما ـ، فقال: ما لي رأيتك عند القبر واقفاً؟ قلت: وقفت أُسلم على النبي، ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلّم عليه، وقل: السلام على رسول الله، ﷺ، ثم قال: إن رسول الله، ﷺ، قال: **«لا تَتَّخِذوا قبري عِيداً»**[٣] ثم قال: أنتم ومن بالأندلس سواء، وهذا يُبيّن أن ذلك الرجل زاد عن الحدّ، والسلام يبلغه، ﷺ، ولو من بعيد، فلا يتكلف الإكثار من الحضور، وقد روي عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: ما رأيت أبي قطّ

---

(١) عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٧٦) ح (٦٧٢٤)، باب السلام على قبر النبي ﷺ من حديث نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) عبد الرزاق (٣/ ٥٧٧) ح (٦٧٢٦)، باب السلام على قبر النبي ﷺ، من طريق رجل يقال سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي أنه رأى قوماً عند القبر فنهاهم، وقال إن النبي ﷺ، قال: .... فذكره.

(٣) ابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠) ح (٧٥٤٢)، في الصلاة باب الصلاة عند قبر النبي ﷺ، عن سهيل بن حسين عن الحسن بن الحسن به.

يأتي قبر النبي، ﷺ، وكان يكره إتيانه والوقوف عنده لمن لم يقدم من السّفر، لقوله ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عِيداً**»[(١)]. أي فلا تجتمعوا ولا تعتكفوا عنده، ولا تتزيّنوا لأجله كما يُعمل في الأعياد. ونقل عيّاض عن المبسوط أنه قال: لا أرى أن يقف الزائر عند القبر ويدعو، ولكن يُسلّم ويمضي.

ويجب على الزّائر أن يجتنب لمس الجدار وتقبيله والطّواف به والصّلاة إليه. قال النووي: لا يجوز أن يُطاف بقبره، ﷺ، ويكره إلصاق البطن والظّهر بجدار القبر. قاله الحليمي وغيره. ويكره مسحه باليد وتقبيله، ومن ظنّ أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة، فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنّما هي فيما وافق الشّرع. اهـ.

وفي الإحياء: مسّ المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود. ويجب اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم. قال ابن جماعة: (إنه من البدع المنكرة، ويظنّ من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل أرض القبر، فإنه لم يفعله السّلف الصّالح، والخير كله في اتباعهم، وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه، بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السّلف). اهـ.

وفي كتاب الجامع للبيان لابن رشد: سئل مالك ـ يرحمه الله تعالى ـ عن الغريب يأتي قبر النبي، ﷺ، كل يوم؟ فقال: ما هذا من الأمر، ولكن إذا أراد الخروج، فذكر حديث: «**اللهم لا تجعل قَبري وثناً يُعبد**»[(٢)].

قال ابن رشد: فيكره أن يكثر المرور به، والسلام عليه: الإتيان كل يوم إليه، لئلاّ يجعل القبر بفعل ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم

---

(١) أبو داود (٢/٥٣٤) ح (٢٠٤٢) في المناسك باب زيارة القبور من حديث سعيد ابن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٢١١) ح (٧٢٢٦).

(٢) سبق تخريجه ص٢٥٧.

للصلاة فيه: وقد نهى رسول الله، ﷺ، عن ذلك بقوله: «**اللهم لا تَجعل قَبري وَثناً**»(١). الحديث.

قال القاضي عيّاض في الشفَاء: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنّما ذلك للغرباء، ولا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي، ﷺ، فيصلّي عليه ويدعو له، ولأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، فقيل: إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يُريدونه ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر عند القبر فيسلّمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه، وتركُه واسع، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، فيكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

وروى سعيد بن منصور في سننه عن المعرور بن سويد ـ يرحمه الله تعالى ـ: أنه خرج مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في حجّة حجّها، فلما رجع من حجّته رأى الناس ابتدروا مسجداً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله، ﷺ، فقال: هكذا أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الأنبياء بيعاً، من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصلّ، ومن لم تعرض له فليمض(٢)، فلهذا كره مالك ـ يرحمهُ الله ـ تتبع آثار النبي، ﷺ، والمواضع التي صلّى فيها. . إلخ.

قال المعصومي ـ عصمه الله تعالى في الدّارين ـ: إنّما نقلنا ما رأيناه حقًّا وصواباً مما في [وفاء الوفاء] لنور الدّين علي السّمهودي؛ لأن الحكمة وكلمة الحق ضالّة المؤمن يأخذها أين وجدها، لأنا قد رأينا السمهودي حاطب ليل رطباً ويابساً وفيه الأفعى والعقرب؛ وهو لا يدري.

---

(١) الحديث السابق نفسه.

(٢) عبد الرزاق في مصنفه (٢/١١٨، ١١٩) ح (٢٧٣٤)، من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر به. وانظر فتح الباري (١/٦٧٨).

قال الأستاذ السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[١]: لأن وظيفة الرسالة إنما هي التبليغ لا التكوين، ولكن إلى الله المشتكى من جهل المسلمين الخرافيين، إنّهم يدعون ويعتقدون قدرة الأنبياء والصّالحين حتى الميّتين منهم على كل شيء من التصرّف في نفعهم وضرّهم. قال في فتح البيان: وفي هذا أعظم وازع، وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه وَهجّيراه المناداة لرسول الله، ﷺ، أو الاستغاثة به عند نزول النّوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله ـ سبحانه ـ. وكذلك من يطلب من رسول الله ﷺ ما لا يقدر على تحصيله إلا الله ـ سبحانه ـ فيا عجباً لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى، وكيف لا يتيقّنون لما وقعوا فيه من الشّرك الأكبر، ولا ينتبهون لما حلّ بهم من المخالفة لمعنى؛ لا إله إلا الله.

وأعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا يُنكرون عليهم، ولقد توسّل الشيطان ـ أخزاه الله ـ بهذه الذريعة إلى ما تَقرّ به عينُه وينثلج به صدرُه من شرك كثير من هذه الأمة المباركة، وهم يظنون أنهم يُحسنون صنعاً.. إلخ.

قال أحمد بن حجر الهيتمي في الزواجر الكبيرة ص ٩٣: اتّخاذ القبور مساجد، وإيقاد السّرج عليها، واتّخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها والصلاة إليها، فذكر أحاديث كثيرة، ثم قال: قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركاً وإعظاماً، وكذا إيقاد السّرج عليها تعظيماً لها وتبرّكاً، والطّواف بها، وقد ورد النّهي عن اتخاذ القبور أوثاناً كما قال ﷺ: **«لا تَتخِذوا قبرِي وثناً يُعبد بعدي»**![٢]. أي لا تعظّموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسُّجود له أو نحوه. ولا شكّ أن هذا كفر، قال بعضُ الحنابلة: قصد الرجل الصلاة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٨٨).

(٢) سبق تخريجه صفحة (٢٥٧).

عند القبر مُتبركاً به عين المحادّة لله ورسوله، وإبداع دين لم يأذن به الله للنّهي عنها بالإجماع. لا شكّ أن أعظم المحرّمات وأسباب الشّرك الصلاة عند القبور وعليها وإليها؛ وبناء المساجد عليها، ويجب على أهل الإيمان المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضرّ من مسجد الضّرار، لأنها أُسست على معصية رسول الله، ﷺ، لأنه نهى عن ذلك. وأمر ﷺ بهدم القبور المُشرفة؛ وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصحّ وقفه ونذرُه.. إلخ.

فصل
في فضل مسجد رسول الله ﷺ

لا خلاف بين أهل الإسلام أن أفضل المساجد بعد المسجد الحرام إنّما هو مسجد رسول الله، ﷺ، الكائن في المدينة الطيبة، وهو المسجد الذي ذكره الله ـ تعالى ـ في القرآن بقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[(١)]. وقد روى الشيخان في الصّحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاةٌ في مَسجدي هَذا خَيرٌ من ألفِ صَلاةٍ فيما سِواه إلا المسجِد الحرامَ»**[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُشد الرِّحالُ إلا إلى ثَلاثة مساجدَ: المسجد الحَرام، والمسجدِ الأقصى، ومسجِدي هذا»**[(٣)]. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١٠٨).

(٢) البخاري (٣/ ٧٦) ح (١١٩٠)، في فضل الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكة، والمدينة من حديث الأغر عن أبي هريرة مرفوعاً، ومسلم (٢/ ١٠١٢) ح (١٣٩٤)، في الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، من حديث سعيد بن المسيب وأبي سلمة والأغر عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) البخاري (٤/ ٨٧) ح (١٨٦٤) في الصيد باب حج النساء من حديث قزعة مولى زياد عن أبي سعيد مرفوعاً، وأخرجه البخاري (٣/ ٧٦) ح (١١٨٩)، في فضل الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكة، والمدينة، ومسلم (٢/ ١٠١٤)=

قال رسول الله ﷺ: «ما بين بَيتي ومنبري رَوضة من رِياض الجنةِ، ومنبرِي على حَوضي»[(١)].

وروى الترمذي وأحمد وابن ماجه عن فاطمة بنت الحسين عن جدّتها فاطمة الكبرى ـ رضي الله عنهما ـ قالت: «كَان النبيُّ، ﷺ، إذا دخل المسجد صلى عَلى محمد وسَلم. وقال: رَبي اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلّى على محمد وسلّم، وقال: رَبي اغفر لي ذُنوبي، وافتح لي أبواب فضلك». وفي رواية قال: «بسم الله، والسلام على رسول الله»[(٢)] بدل: صلى على محمد وسلم. وقال الترمذي: ليس إسناده بمتّصل. الخ.

وروى ابن ماجه والبيهقي في شُعب الإيمان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «مَن جاء مسجِدي هذا لم يأت إلا لخير يتعَلّمه أو يُعلّمه، فهو بمنزلة المجاهِد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظُر إلى متاع غيره»[(٣)].

= ح (١٣٩٧)، في الحج باب لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، من حديث سعيد عن أبي هريرة مرفوعاً.

(١) البخاري (٣/ ٨٤) ح (١١٩٦)، في فضل الصلاة في مسجد مكة، والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر، مسلم (٢/ ١٠١١) ح (١٣٩١)، في الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة. من حديث حفص بن عاصم عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) الترمذي (٢/ ١٢٧) ح (٣١٤) في الصلاة باب ما يقول إذا دخل المسجد، وقال: حديث حسن وليس إسناده بمتصل وابن ماجه (١/ ٢٥٣) ح (٧٧١)، في المساجد باب الدعاء عند دخول المسجد وأحمد (٦/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٣) ابن ماجه (١/ ٨٢) ح (٢٢٧)، في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، البيهقي في الشعب (٢/ ٢٦٣) ح (١٦٩٨) من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٠٦٤) ح (٦١٨٤).

وروى ابن ماجه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صَلاة الرَّجل في المسجِد الأقصَى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مَسجدي بخمسين ألف صلاةٍ، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة**»[١].

روى أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٥٥، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**مَن صَلّى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة، كُتبت له براءة من النَّار، ونجاة من العذاب، وبَرِيء من النِّفَاق**»[٢].

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كانَ النبي، ﷺ، يأتي مسجِد قُباء كل سبت ماشِياً وراكباً، ويصلي فيه ركعتين»[٣].

وروى مسلم عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**إن الله ـ تعالى ـ سمّى المدينة طابة**»[٤]. قال المعصومي: فعلى هذا ينبغي أن توصف المدينة بالطيبة، ولكن الناس غفلوا عن هذا الحديث فأهملوه، ويقولون: المدينة المنوَّرة، صلى الله تعالى وسلم على هذا الرسول، الذي جعل الله ـ تعالى ـ المدينة بسببه طابة وطيبة.

وروى البخاري عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال

---

(١) ابن ماجه (١/٤٥٣) ح (١٤١٣) في الصلاة باب ما جاء في الصلاة في المسجد الجامع من حديث زريق عن أنس مرفوعاً.

(٢) أحمد (٣/١٥٥) من حديث نبيط بن عمرو عن أنس مرفوعاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٨) رواه أحمد، والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٣) البخاري (٣/٨٣) ح (١١٩٣، ١١٩٤) في فضل الصلاة بمسجد مكة، والمدينة باب من أتى مسجد قباء كل سبت. ومسلم (٢/١٠١٦) ح (١٣٩٩)، في الحج باب فضل مسجد قباء، من حديث نافع عن ابن عمر به.

(٤) مسلم (٢/١٠٠٧) ح (١٣٨٥) في الحج باب المدينة تنفي شرارها من حديث سماك عن جابر بن سمرة مرفوعاً.

رسول الله ﷺ **«أُحُدٌ جبل يُحبّنا ونُحبّه»**[(١)]. وروى الترمذي وأحمد عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن استطاع أن يَموتَ بالمدينةِ فليمت بها فإنّي أشفع لِمن يَموت بِها»**[(٢)]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب إسناداً.

وروى ابن ماجه في سننه بسنده عن أسيد بن ظهير الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب النبي، ﷺ، يُحدّث عن النبي، ﷺ، أنه قال: **«صَلاةٌ في مَسجد قُباء كعمرةٍ»**[(٣)]. وعن سهل بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تطهّر في بيتِه ثم أتى مسجد قُباء فصلّى فِيه صلاة كان له كأجر عُمرةٍ»**[(٤)] وكذا رواه النسائي في سننه.. إلخ.

(١) البخاري (٣/٤٠٣) ح (١٤٨٢). في الزكاة باب خرص التمر من حديث عباس بن سهل الساعدي عن أبيه مرفوعاً.
مسلم (٢/١٠١١) ح (١٣٩٣) في الحج باب أحد جبل يحبّنا ونحبّه، من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً.

(٢) الترمذي (٥/٧١٩) ح (٣٩١٧)، في المناقب باب فضل المدينة، وقال حسن غريب، ابن ماجه (٢/١٠٣٩) ج (٣١١٢) في المناسك، عن باب فضل المدينة، وأحمد (٢/٧٤، ١٠٤)، وابن حبان (٦/٢١) ح (٣٧٣٣)، إحسان كلهم من طريق أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً.
وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/٢٩٤) ح (٧٤٧) من حديث عكرمة عن ابن عمر عن سبيعة الأسلمية مرفوعاً.
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٠٤٠) (٦٠١٥).

(٣) الترمذي (٢/١٤٥) ح (٣٢٤)، في الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، وقال حسن غريب، وابن ماجه (١/٤٥٢) ح (١٤١١)، في الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، والحاكم (١/٤٨٧) كلهم من طريق أبي الأبرد عن أسيد بن ظهير مرفوعاً. وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه إلا أن أبا الأبرد مجهول ووافقه الذهبي.

(٤) ابن ماجه (١/٤٥٣) ح (١٤١٢)، في الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٠٥٩) ح (٦١٥٤).

فصل

اعلم أن المسلمين منذ وُسّد أمرهم إلى غير أهله من أهل الجهل والهوى والأغراض الفاسدة، غيّروا شرع الله، وخالفوا سنّة رسول الله، ﷺ، وسنّة الخلفاء الرّاشدين؛ فاتباعاً للهوى، أو هوساً وتخيلاً للسياسة النفسانيّة، قد قلّدوا النّصارى في كل الشّؤون عقيدة وعملاً، فمن جملتها أنهم زخرفوا مسجد رسول الله، ﷺ، إلى أن جعلوه ككنائس النّصارى مزخرفاً مطلياً مُحلّى؛ والحال أن رسول الله، ﷺ، قد نهى عن ذلك.

وروى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أمرتُ بتشييد المساجِد**». قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لتزخرفنّها كما زخرفت اليهود والنصارى[١].

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ مِن أشراط السّاعةِ أن يتبَاهى النّاسُ في المسَاجِد**»[٢].

---

(١) أبو داود (١/ ٣١٠) ح (٤٤٨) في الصلاة باب في بناء المسجد من حديث يزيد بن الأصم عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٧٣) ح (٥٥٥٠).

(٢) النسائي (٢/ ٣٢) في المساجد باب المباهاة في المساجد بلفظ «من أشراط=

والحاصل أن أكثر المسلمين قد أخطأوا خطأً ظاهراً بل فاحشاً، وغيّرُوا معالم الدّين تقليداً لليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان. فمنها تغييرهم مسجد رسول الله ﷺ عما كان عليه من البناء السادة غير المزخرف، فهؤلاء غيّروا وزخرفوا فجعلوه ككنائس النصارى والرّوم؛ والظنّ الغالب على ما تشهد عليه الأحاديث الصّحيحة النّبوية، أن النبي، ﷺ، لو كان حيًّا، وشاهد هذا المسجد على هذا الحال لأنكره، ولم يدخل فيه حتى يُغيّر وتُزال النّقوش، ويُعاد إلى ما كان عليه. والثاني: أنهم غيّروا حجرات أزواج النبي، ﷺ، وبنوا بدلها هذه العمارات المزخرفة، والقبب الشّامخة، ونسوا نهي رسول الله، ﷺ، عن تجصيص القبور والبناء عليها.

ولو أنهم أبقوا حجراته، ﷺ، على ما هي عليه، ورمّوا وأصلحوا ما خرب وتهدّم منها على الشكل الأول بلا تغيير لكان عبرة للناس، فيزيدهم تقوى وزهداً في الدنيا، ولكان شاهداً على حقارة الدّنيا، وأن الاعتناء بالدنيا وزخارفها من شؤون من لا عقل له من الحمقاء.

واعلم أن أول من غيّر هذه المعالم من أمراء المسلمين إنّما هو الوليد بن عبد الملك الأموي، فإنه أمر بهدم حجرات أزواج رسول الله، ﷺ، عام ٩١هـ فهدمت، فقال عطاء: سمعت سعيد بن المسيّب ـ يرحمه الله تعالى ـ يقول: والله لَوددت أنهم لو تركوها على حالها ينشأ ناشىء من المدينة، ويقدم قادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله، ﷺ، في حياته، ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر

= الساعة أن يتباهى...». وابن ماجه (١/ ٢٤٤) ح (٧٣٩) في المساجد باب تشييد المساجد، وأبو داود (١/ ٣١١) ح (٤٤٩) في الصلاة باب في بناء المساجد، والدارمي (١/ ٣٢٧) في الصلاة باب في تزويق المساجد بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى...». كلهم من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً، وكذا أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٣٧) ح (٧٤٢١).

والتفاخر فيها، وقد كره الناس صنع الوليد وبكوا، منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو أمامة بن سهل، وخارجة بن زيد ـ رضي الله عنهم ـ. وقال أبو أمامة ـ رضي الله عنه ـ: ليتها تركت حتى ينقص النّاس من البنيان، ويروا ما رضي الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه محمد، ﷺ، في هذه الحياة الدنيا الفانية ومفاتيح خزائن الدنيا بيده. والذي باشر هدمها بأمر الوليد: عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ أمير المدينة (كذا في وفاء الوفاء للسمهودي ج ١ ص ٣٢٧).

قال المعصومي: رضي الله تعالى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ما أعقله وما أذكاه: إنه حينما أراد توسيع المسجد بعدما ضاق على المسلمين اشترى ما حول المسجد من الدّور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحجرات أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ فقال عمر للعباس ـ رضي الله عنهما ـ: يا أبا الفضل إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعتُ ما حوله من المنازل لنوسع المسجد إلا دارك وحجرات أمهات المؤمنين، فأما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين.. إلخ. (سمهودي ج ١ ص ٣٤٣). فانظر إلى قوله ـ رضي الله عنه ـ: فأما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، فكان أدقّ نظراً، وأبعد ملاحظة، وأغور فكرة، فرضي الله عنه، وعن سائر الصحابة أجمعين.

وروى البخاري عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: (أمر عمر ـ رضي الله عنه ـ ببناء المسجد، وقال: كنَّ الناس من المطر، وإيّاك أن تحمّر أو تصفّر فتفتن الناس)[1].

فانظر إلى أمر عمر ـ رضي الله عنه ـ كيف نهى وحذر عن التّحمير والتّصفير والنّقش والزّخرفة. فيا ليت المسلمين ثبتوا على

(١) البخاري (١/ ٦٤٢) في الصلاة باب بنيان المسجد تعليقاً.

العمل بأمر رسول الله، ﷺ، وإرشاد أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ؛ ولكن قد غيّروا فغير الله عليهم.

وروى البخاري وأبو داود عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: (أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ جدّد المسجد وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالسّاج، فكره الناس ذلك، وأحبوا أن يدعه على هيئته)[1]، قال البغوي في شرح السنة: لعلّ الذي كرهه الصحابة من عثمان ـ رضي الله عنه ـ بناؤه بالحجارة المنقوشة لا مجرّد توسيعه أو بنائه بالحجارة المطلقة. ونقل مالك ـ يرحمه الله تعالى ـ عن الثقة عنده أن الناس كانوا يدخلون حجر أزواج النبي ﷺ يصلّون فيها يوم الجمعة بعد وفاة النبي، ﷺ، وكان المسجد يضيق عن أهله، وحجر أزواج النبي، ﷺ، ليست من المسجد، ولكن أبوابها شارعة إلى المسجد. . إلخ.

قال سعيد بن المسيب ـ يرحمه الله تعالى ـ: والله لَوددت أنهم تركوها على حالها. والذي هدمها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد، وبنى المسجد بالحجارة المنقوشة والفسيفساء والمرمر، وعمل سقفه بالسّاج وزخرفه بماء الذّهب، وكان العمال من الروم «النصارى» وعملوا على الرأس في جدور القبلة صورة خنزير فأزاله عمر بن عبد العزيز. . إلخ. سمهودي ج ١ ص ٣٦٦.

قال المعصومي: فانظر إلى خطأ عمر بن عبد العزيز من وجوه كثيرة: أولاً: هدمه حجرات أزواج النبي ﷺ. وثانياً: نقشه المسجد وزخرفته بماء الذهب. وثالثاً: استعماله الروم والنصارى؛ فهم زخرفوا المسجد وشبهوه بالكنائس، وقد ثبت عن رسول الله، ﷺ، أنه قال:

---

(١) البخاري (١/٦٤٣) ح (٤٤٦)، في الصلاة باب بنيان المسجد، أبو داود (١/٣١١) ح (٤٥١)، في الصلاة باب في بناء المسجد من حديث نافع عن ابن عمر به.

«مَا ساءَ عَمل قوم قطّ إلا زخرفوا مساجدهم»(١). كما في سنن ابن ماجه.

وحينما تمم عمر بن عبد العزيز بناء المسجد أرسل إلى أبان بن عثمان ـ رضي الله عنهما ـ فقال: أين هذا البناء من بنيانكم؟! فقال: بنيناه بناء المساجد، وأنتم بنيتموه بناء الكنائس.. إلخ.

قلت: الحق أن الذي قاله لأبان إنّما هو الوليد حينما حجّ، وجعل يطوف ويدور في المسجد وينظر إليه، ومعه أبان بن عثمان ـ رضي الله عنهما ـ فقال: أين بناؤنا من بنائكم؟ فقال أبان ـ رضي الله عنه ـ: إنا بنيناه بناء المساجد، وبنيتموه أنتم بناء الكنائس.. إلخ، إن عمر بن عبد العزيز أحدث في المسجد المحراب والشّرافات وزينه؛ والحال أنه قد ورد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: «ابنوا المَساجِد واتخِذوها جُما»(٢). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (نُهينا أن نُصلي في مسجد مشرف)(٣) رواه البيهقي في السّنن، والجم: الذي لا شرف له؛ وعمر بن عبد العزيز هو الذي بنى أربع منارات في كل زاوية منه منارة.. إلخ؛ وفي الجامع الصغير عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: (ابْنوا مساجِدكم جَما، وابنُوا مدائنكم مُشرفة). قال المناوي في شرحه: قال المقريزي في تذكرته: مات عثمان ـ رضي الله عنه ـ والمسجد بلا شرافات، وأول من أحدثها عمر بن عبد العزيز.

---

(١) ابن ماجه (١/ ٢٤٤) ح (٧٤١)، في المساجد باب تشييد المساجد من حديث عمرو بن ميمون عن عمر مرفوعاً وفي الزوائد: في إسناده أبو إسحاق كان يدلس وجبارة كذاب.

(٢) ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢٧٤) ح (٣١٥٣) في الصلاة باب في زينة المساجد، وأخرجه البيهقي كذلك في سننه (٢/ ٤٣٩) في الصلاة باب كيفية بناء المساجد من حديث أيوب عن أنس. قال المناوي في فيض القدير (١/ ٨٤) قال الذهبي وغيره بأن فيه ضعفاً وانقطاعاً.

(٣) البيهقي في الكبرى (٢/ ٤٣٩) من حديث مجاهد عن ابن عمر.

ابتداء بناء القبة الخضراء على القبر الشريف

اعلم أنه إلى عام ٦٧٨هـ لم تكن هناك قُبة على الحجرة النبوية التي فيها قبره، ﷺ، وإنّما عملها وبناها الملك الظّاهر المنصور قلاوون الصّالحي في تلك السنة ٦٧٨هـ فعُملت تلك القبة.

قلت: إنّما فعل ذلك لأنه رأى في مصر والشّام كنائس النّصارى المزخرفة، فقلّدهم جهلاً منه بأمر النبي، ﷺ، وسننه، كما قلّدهم الوليد في زخرفة المسجد. فتنبه. [كذا في وفاء الوفاء].

وقال أيوب صبري التركي في المجلد الثاني من كتابه: [مرآة الحرمين] ما معرَّبه: إن السلطانَ صالح بن قلاوون المصري في عام ٦٧٨ هجري بنى على الحجرة النبوية قُبّة، وكان وكيله أحمد كمال بن هارون عبد القوي الربعي، وبعده جدّدها وصفّحها بألواح النحاس الملك ناصر حسن بن محمد بن قلاوون عام ٧٠٥هـ.. إلخ.

اعلم أنه لا شك أن عمل قلاوون هذا مخالف قطعاً للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله، ﷺ، ولكن الجهل بلاء عظيم، والغلو في المحبّة والتّعظيم، وباء جسيم، والتقليد للأجانب داء مُهلك؛ فنعوذ بالله من الجهل، ومن الغلوّ ومن التّقليد للأجانب.

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج حيان بن حصين الأسدي عن علي ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال له: (أبعثُكَ على ما

بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتهُ)[١]، فالسنة أن القبر لا يُرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين قبر صالح وغير صالح، ونبيّ أو وليّ؛ لأن البناء على القبور محرّم، وما قيل بإباحته فباطل مخالف للنصّ: ويدخل في المنع أولاً دخولاً أوّليًا القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً يكون هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وكم نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام. منها اعتقاد الجهلة لها، كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظّموها فظنّوا أنها قادرة على جلب النفع، ودفع الضرّ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد المؤمنون الموحّدون من ربهم وشدّوا إليها الرّحال، وتمسّحوا بها واستغاثوا، وهكذا في جميع أنحاء العالم الإسلامي عموماً، وفي المدينة عند قبر رسول الله، ﷺ، خصوصاً. وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون!!.

ومع هذا المنكر الشّنيع، والكفر الفظيع، لا نجد من يغضب لله، ويغار حميّة للدّين الحنيف، لا عالماً ولا متعلّماً ولا أميراً ولا وزيراً، والعلماء إنّما مقصدهم تسديد معيشتهم لا غير؛ فيا علماء الإسلام، ويا ملوك المسلمين، أيّ رزء للإسلام أشدّ من الكفر والشّرك والوثنية؟ وأيّ بلاء لهذا الدّين الحنيف أضرّ عليه من عبادة غير الله؟ وأيّ مصيبة يُصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟ وأيّ منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشّرك البيّن واجباً؟ كذا في [نيل الأوطار] للشوكاني ـ يرحمه الله تعالى ـ.

(١) مسلم (٢/٦٦٦) ح (٩٦٩)، في الجنائز باب الأمر بتسوية القبر، النسائي (٤/٨٨) في الجنائز باب تسوية القبور وإذا رفعت، أبو داود (٣/٥٤٨) ح (٣٢١٨) في الجنائز باب في تسوية القبر، الترمذي (٣/٣٦٦) ح (١٠٤٩)، في الجنائز باب ما جاء في تسوية القبور، جميعهم من طريق أبي الهياج الأسدي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

وقال محيي السنة في شرح حديث: «**ما أُمرتُ بتشييد المساجد**[(١)] **إنّ النصارَى زخرفُوا الكنائس عندما بدَّلوا دينهُم، وحرّفوا كتُبهُم، وأنتم تصِيرون إلى مثل حالهِم، وسيصير أمركم إلى المراءاة بالمساجد، والمباهاةِ بتشبيدها وتزيينها**». قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: (إذا حَلَّيتم مصَاحِفكُم، وزوّقتُم مساجِدكُم، فالدَّمار عليكم)، ففي هذا الحديث معجزة ظاهرة لإخباره، ﷺ، عما سيقع بعده، فإن تزويق المساجد والمباهاة في زخرفتها كثر من الملوك والأمراء الجهلة بأخذ أموال الناس ظلماً؛ فتشييد المساجد بدعة، ومن جوز وحسَّن تزيين المساجد بالتفلسف فقد خالف السنة، وحُرِم التوفيق، لأنه من صنع اليهود والنصارى.

ولا ريب أن المؤمن الصحيح الإسلام إنّما يقصد المساجد لعبادة الله ـ تعالى ـ التي لا تكون عبادة حقيقة إلا مع الخشوع، وإلا كانت كجسم بلا روح، كما ثبت عن النبي، ﷺ، في الأنبجانية التي بعث بها إلى أبي جهم، وكما ثبت من هتكه، ﷺ، للستور التي فيها نقوش [نيل الأوطار ج ٢ ص ١٢٦].

وقد روى ابن ماجه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «**مَا ساءَ عمل قَوم قَطّ إلا زخرفوا مَساجِدهُم**»[(٢)].

قال العبد الضعيف المعصومي: فيا ليت المسلمين تمسّكوا بسنة نبيهم، وبنوا المساجد جَما، وأحكموها بالحجارة والحديد والأسمنت، وبيضوها بياضاً خالصاً لكان لها شأن، ولكنهم اتبعوا سنن من كان قبلهم من اليهود، والنصارى، والمجوس وعبدة الأوثان شبراً بشبر حتى وقعوا فيما وقعوا فيه من البدع والضّلال، فلما غيّروا الدّين غيّر الله عليهم، فجعلهم أذلاّء محكومين تحت سيطرة الإفرنج، والمجوس، وصار علماؤهم شرّ من تحت أديم السّماء، منهم خرجت الفتنة وعمّت.

---

(١) تقدم تخريجه، ص (٢٧٥).
(٢) تقدم تخريجه، ص (٢٧٩).

غيّروا توحيد الله بالشّرك، باعتقاد أن أرواح الأنبياء والأولياء - خصوصاً روح رسول الله ﷺ - تعلم الغيب، وتنفع وتضرّ، وهذا هو الشّرك الأكبر الذي لا يغفره الله - تعالى - ما لم يتُب منه، وبالرّكوع والسّجود وكمال الخضوع إلى قبره الشّريف، وجعله قبلة في كل يوم مرات، وغيّروا الإسلام باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فاستحلوا ما حلّلوه لهم، وإن كان محرّماً ممنوعاً من الله ورسوله؛ كالبناء على القبور وتزيين المساجد، وابتداع عبادات وأوراد في أوقات مخصوصة كدلائل الخيرات، وقصيدة البُردة، وحرّموا على أنفسهم ما حلّله الله بل فرضه، كتحريمهم العمل بالكتاب والسنة، وتحريمهم الإشارة بالسّبابة، وإيجابهم تقليد أحد المذاهب المعينة، وإلزامهم أخذ البيعة على يد شيخ من شيوخ الطّرق، ونحو ذلك من الخرافات والضّلالات، فتدبّر.

وروى أحمد وأبو داود عن عثمان بن طلحة - رضي الله عنه -: (أن النبي، ﷺ، دَعاه بعد دُخوله الكَعبةَ، فقال: **«إنّي كُنت رأيتُ قرني الكبْشِ حين دَخلت البيت فَنسيت أن آمرك أن تخمّرهما فخمّرهما، فإنّه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيءٌ يلهِي المُصلّي»**)[1].

وروى البخاري وأحمد عن أنس - رضي الله عنه - قال: (كانَ قرامٌ لعائشة قد سَترت به جانب بيتها، فقال لها النبي ﷺ: **«أمِيطي عَنّي قِرامَكِ هذا، فإنّه لا تَزال تصاويره تعرض لي في صَلاتي»**[2]. فالحديث يدلّ على كراهة تزيين المحاريب وغيرها مما يستقبله المصلّي بنقش أو تصوير أو غيرهما مما يُلهي ويشغل قلب المصلّي، فتدبّر).

---

(١) أحمد (٢/٦٨) من حديث صفية بنت شيبة عن امرأة من بني سليم أن النبي ﷺ، أرسل إلى عثمان، فذكرته.

(٢) البخاري (١/٥٧٧) ح (٣٧٤) في الصلاة باب إذا صلى في ثوب مصلب أو تصاوير هل تفسد صلاته من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس مرفوعاً.

فما في مسجد المدينة من النقوش المتنوعة، وطلي الذّهب الكثير جدًّا، وكتابة الأبيات والأشعار الباطلة محفورة على الأسطوانات، وكتابة أسماء النبي ﷺ على الجدار القبلي، وفيها ما هو من أسماء الله الخاصة له ـ تعالى ـ كالمهيمن والمحيي، وكتابة أبيات قصيدة البُردة تماماً على سقوف الأروقة والقبب القبلية، وكتابة أحاديث موضوعة محفورة على الحديد المذهب؛ كحديث: «**مَن زَار قبري وجبت له شفَاعتي**»[1]. ونحوها من النقوش التي هي منكرة شرعاً، وإنّي لا أشكّ أن رسول الله، ﷺ، لو كان حيًّا لأزالها حالاً، ولا يدخل هذا المسجد حتى تُزال هذه المنكرات. فتنبّه.

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة (٤١٠) برقم (١١٢٥)، بعد ذكره، أبو الشيخ، وابن أبي الدنيا، وغيرهما عن ابن عمر وهو في صحيح ابن خزيمة وأشار إلى تضعيفه وهو عند أبي الشيخ، والطبراني، وابن عدي، والدارقطني، والبيهقي ولفظهم: كان كمن زارني في حياتي، وضعفه البيهقي، وكذا قال الذهبي طرقه كلها لينة... إلخ.

فصــل

فيما حكي عن السلف الصالحين في المنكرات التي حدثت في المدينة الطيبة ثم تزداد يوماً فيوماً، وعاماً فعاماً، إلى أن وصل الأمر إلى يومنا هذا عام ١٣٦٦ هجري، فما بقي من الدين إلا اسم الإسلام، وصورة الصلاة، وقراءة القرآن بألحان، وهاك ما نصور:

قال الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المتوفى عام ٤٦٣ هجري في كتابه: [جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٠٠] عن مالك ـ يرحمه الله تعالى ـ قال: قدم علينا محمد بن شهاب الزهري قدمة، يعني من الشام، فقلت له: طلبت العلم حتى إذا كنت وعاء من أوعيته تركت المدينة ونزلت إداماً، فقال: كنت أسكن المدينة والناس ناس، فلما تغيّر الناس تركتهم. وكانت وفاة ابن شهاب عام ١٢٤، وهو من التابعين.

وقال أنس بن عياض: سمعت هشام بن عروة يقول: لما اتخذ عروة ابن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قصره بالعقيق، قال له الناس: قد جفوت عن مسجد رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت مساجدكم لاهية، وأسواقكم لاغية، والفاحشة في فجاجكم عالية، وكان فيما هنالك عما أنتم فيه عافية، وكان موت عروة ـ رضي الله عنه ـ عام ٩٣ هجري.

ومن أعجب ما رأيت في المسجد الشريف كأنهم راعوا حفظ الآثار، حتى إن أسطوانات الروضة الشريفة غير منتظمة وغير متساوية

الأبعاد، لماذا؟ لأنهم كانوا راعوا مواضعها في العهد النبوي. ولا شكّ أن هذا شيء غير مفيد، ولكن جهلوا الأشياء المهمة المفيدة فغيّروها وهم لا يشعرون سوء عاقبة ما صنعوا، ألا وهو هدم الحجرات الشريفة ومحوها وجعلها كقبور ملوك الروم، وكنائس النصارى كما أسلفناه؛ وإنّما السّبب لهذه الأمور الجهل والغفلة، أو الغُلوّ والتعصّب، أو التقليد وتفويض الأمور إلى غير أهلها من النصارى والروم، واليهود والمجوس اتباعاً للهوى، وحبًّا للدّنيا والشّهوات كما لا يخفى، فإنا لله وإنا إليه راجعون!!.

وقد شاهدت أن الذين يدّعون السّلفية، والتّوحيد، وأنهم أهل الحديث غافلون عما كان عليه السّلف الصّالحون، فإنّي قد رأيتهم في المسجد النبوي يتردّدون كل يوم مراراً إلى المواجهة للسلام على الرسول، ﷺ، مراءاة لما عليه الناس، وكذا رأيتُهم يقرأون كل صباح دلائل الخيرات مع أن حالها وحكمها لا يخفى على المؤمن ذي العلم، والعقل، فتيقنت أن دعوى السّلفية شبكة لاقتناص أموال الناس[١] مشياً على ما عليه الوهابيون[٢] من السّلفية والتّوحيد، ولا يقبل الله ـ تعالى ـ من الطاعات والأعمال إلا ما كان صادقاً وخالصاً وصواباً. فتنبه.

وفي سنن ابن ماجه عن أنس وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: **«أراكم تشرّفون مساجدكم بعدي كما شرّفت**

---

(١) رحم الله المصنف، فما كان ينبغي أن يعمم الحكم ويطلق على أصحاب الدعوة السلفية أنهم يقتنصون أموال الناس، نعم قد يوجد مثل هذا الصنف من الناس، وهم موجودون في كل زمان ومكان، لكن ليس كل الناس كذلك، بل إن منهم الصالحين الصادقين في دعوتهم.

(٢) أطلق المصنف كلمة (الوهابيون) على أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي رحمه الله، وذلك جرياً على ما بدأه عامة الناس في زمانه وما قبله وخصوصاً أهل البدع منهم من إطلاق كلمة الوهابية والوهابيين على أتباع الدعوة السلفية للتنفير منهم وإيهام أنها دعوة إقليمية محدودة.

اليهود كنائسها، وكما شَرفت النصارى بيعَها»[1]. قال العيني في عمدة القاري ج ٤ ص ٢٠٤، في شرح قول عمر ـ رضي الله عنه ـ: (وإيّاك أن تحمر أو تصفّر فتفتن الناس: إيّاك كلمة تحذير: أي احذر من أن تحمر المسجد أو تصفّر، ومراده الزخرفة، وتُفتن: أي تُوقع الناس في الفتنة. قال الخطابي: وإنما زخرفت اليهود والنصارى كنائسها وبيعها حين حرّفت الكتب وبدلتها فضيعوا الدين وعرجوا على الزخارف والتزيين! وقال محيي السنة: إنّهم زخرفوا المساجد عندما بدّلوا دينهم، وأنتم تصيرون مثلهم، وسيصير أمركم إلى المراءاة بالمساجد والمباهاة بتزيينها، وبهذا استدلّ أصحابنا على أن نقش المسجد وتزيينه مكروه).. إلخ.

والسنة في بُنيان المسجد: القصد وترك الغلو في تشييده خشية الفتنة والمباهاة ببنيانها؛ وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ مع الفتوح التي كانت في أيامه وتمكنه من المال لم يغيّر المسجد عن بنيانه الذي كان عليه في عهد النبي، ﷺ، ثم جاء الأمر إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ والمال في زمانه أكثر، ولم يزد على أن وسعه، وجعل مكان اللبن حجارة وقصة، وسقّفه بالسّاج مكان الجريد للإحكام، فلم يكف هو وعمر ـ رضي الله عنهما ـ عن البلوغ في تشييده إلى أبلغ الغايات إلا عن علمهما بكراهة النبي ﷺ ذلك، وليقتدى بهما في الأخذ من الدنيا بالقصد والزّهد.

وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان، وذلك في أواخر عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفاً من الفتنة.. إلخ.

قال العبد الضعيف المعصومي ـ عصمه الله تعالى ـ: اعلم أن

---

(١) ابن ماجه (١/ ٢٤٤) ح (٧٤٠) في المساجد باب تشييد المساجد من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً في الزوائد: إسناده ضعيف، فيه جبارة بن المغلس وهو كذاب.

المساجد إنما تُبنى للعبادة وإقامة الصلوات بالجماعة، وهي إنّما تكون بالخشوع وحضور القلب مع الله ـ عز وجل ـ فالمناسب في المساجد القصدُ وبناؤها بلا نقش ولا زخرفة، ولا تُبنى المساجد للتفرّج، والتنزّه، والتفاخر، كما هو شأن الذين غيّروا دينهم، وبدّلوا شرعهم من اليهود، والنصارى، ومن هذه الأمة من ليس لهم علم بما جاء به محمد رسول الله، ﷺ، من الدين، والأحكام، والأدب، بل اغتروا وافتتنوا بزخارف الدنيا، وبمدح مدائح المدّاحين الذين يستحقّون أن يُحثَى في وجوههم التُّراب، فقلّدوا أهل الأهواء، فلم يبق لهم من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، فابتلوا بما ابتلوا من البدع والضّلالات، فهذه مصيبة عظيمة ابتليَ بها المسلمون، فإنا لله وإنا إليه راجعون!!.

وقد ذكر محمد حسنين هيكل المصري في كتابه: منزل الوحي ج ١ ص ٤٢٣، أن القُبّة الخضراء التي فوق قبر النبي، ﷺ، أمر بإنشائها والي مصر قايتباي في عام ٦٧٨هـ، والحجرة النبوية أدخلت في المسجد عام ٨٨ من الهجرة لاعتبارات سياسية في ضمّها إليه، وزخرفوا هذا المسجد الشّريف بما لا يُقاس عليه شيء من مساجد العالم الإسلامي، زخرفة العمارة، وزخرفة المحاريب، زخرف السجاجيد، وزخرف الثريّات، وقد تبارى الملوك والأمراء والسّلاطين، ففعلوا ما يستهوي اللُّب ويفتن الناظر، وكل هذا اجتمع من هدايا الغلاة في هذا الدّين، ولكن ما بلغوا إلى ما في كنائس أوروبا الكاثوليكية ولا البروتستانتية، وهذا المنبر من الرخّام المنقوش بالليقة الذّهبية الفاخرة، أُرسل هدية من السلطان مراد الثالث العثماني عام ٩٩٨ هجري، والمتعبّدون في الروضة كأنهم اتّخذوا هذه الزخارف آثاراً تعبدية، ولو أن النفس الإسلامية كانت اليوم كما كانت في عهد الرسول، ﷺ، وخلفائه الراشدين صفاء، وطهارة، وقوة، لما تأثرت في خشوعها وتوجهها إلى الله بمكان.

يحسب الأكثرون أن الروضة كانت دائماً كما يشهدونها اليوم منذ

عهد النبي، ﷺ، والحق أنها لم تكن إلا في عصور متأخرة؛ لأن أصل المقصد الدعوة إلى كمال الروح وسموّها، والتقرُّب إلى بارئها، وليس المقصود الزّخرف المادي الظّاهري، والمسلمون كانوا يتوجّهون خالصاً إلى الله بدون التفات إلى الدنيا وزخارفها، ولا فخر ولا كبرياء، وإن كان الفتح الإسلامي قد امتدّ في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ وامتلأت بيوت المال بما يسهل معه بناء مسجد في نهاية الفخامة والزّخرف أفخم مما كان في كنائس الشّام، ولكن عمر ـ رضي الله عنه ـ ما بنى إلا في الصورة البسيطة كما جعله رسول الله، ﷺ، رمزاً إلى اختيار ما عند الله من العرفان والنور.

ثم إن عثمان ـ رضي الله عنه ـ وسّع المسجد وجدّده وبناه أمتن وأبقى، ولم يزد عثمان ولا عمر ـ رضي الله عنهما ـ من ناحية الشّرق، لأن بُيوت النبي، ﷺ، كانت هناك قائمة؛ وكان أقربها بيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ، الذي دفن فيه رسول الله، ﷺ، وخليفتاه: أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ؛ لذلك لم تكن الحجرة النبوية في المسجد.

والوليد في عام ٨٨هـ، قد استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة، وأمره بتوسيع المسجد، وإدخال حجرات أزواج النبي ﷺ في المسجد، وكانت تلك الحجرات من الآثار التاريخية الباقية للنبي الكريم، ولحياته في المدينة، والناس كانوا يصلّون صلاة الجمعة فيها مؤتمّين بإمام المسجد؛ فلما هدمها حزن المسلمون حزناً شديداً، وبكوا.

ويقول نصار الخراساني: سمعنا سعيد بن المسيب يقول: والله لوددت أنهم تركوها على حالها.

وكان الوليد بالشّام، وكان افتتن بفن عمارة الروم في كنائسهم، وكان مفتوناً بحسن المتاع بالحياة، وكان قد تأثّر بالآثار المسيحية، والوثنية في تجمّلها إرضاء لآلهتهم، وتقرباً بها إليهم، فهدم الوليد

المسجد النبوي، وأعاده وبناه على الفكرة الفنية التي ملكت نفسه؛ فكتب إلى ملك الروم: إنا نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم فأعنّا فيه بعمال وفسيفساء، فبعث ملك الروم أربعين نفراً من الروم، وأربعين من القبط؛ فبعد أن أتمّ البناء جاء الوليد يطوف بالمسجد ومعه أبان بن عثمان ـ رضي الله عنهما ـ، فلما نظر إلى المسجد، واطمأنت نفسه إلى عمارته، نظر إلى أبان وقال: أين بناؤنا من بنائكم؟ فأجاب أبان ـ رضي الله عنه ـ: إنا بنيناه بناء المساجد، وأنتم بنيتموه بناء الكنائس!!

قلت: هذه الكلمة عميقة المغزى لمن يفهم، والوثنيون كانوا يزيّنون آلهتهم بهذه الزّخارف إرضاء للحمقى والجهال.

وأما الإسلام فبسبب صفائه بريء من هذه المظاهر الخداعة، فالإسلام دين بسيط بلا تكلّف، كذلك مساجده بسيطة بلا تكلّف ولا زخرف، والمسلمون لما ضعف إيمانهم بالله اغترّوا بهذه الزّخارف، ونسوا سيرة الرسول، ﷺ، وخلفائه الرّاشدين ـ رضي الله عنهم ـ فتكدّرت صدورهم، واتصلوا بجيرانهم من أهل الحضارة الأخرى من اليهود، والنصارى، والمجوس، والوثنيين، وازداد ذلك بالمنازعات السياسية، والثورات العصبية.

ثم بعد أن احترق المسجد كله، ولم تكن للحجرة النبوية قبة قبل القرن السّابع، أقامها المنصور قلاوون في عام ٦٧٨ هجري، ثم لعبت السياسات في شأن المسجد الشّريف على ما لا يتّفق مع روح الإسلام، وأفتى العلماء في شأن القبة بأنها بدعة محرّمة لما ثبت النهي عنها، ثم غلب أهل الأهواء، وعزّروا من أفتى ببدعية القبة وعاقبوه، ثم أخيراً جدد المسجد السلطان عبد المجيد تجديداً كليًا، فتمّت العمارة من عام ١٢٦٥ إلى عام ١٢٧٧، ومن بدع هذه العمارة كتابة القرآن، وقصيدة البردة، وأسماء الله الحسنى، وأسماء النبي، ﷺ، فتطوّرت العمارة على مقتضى السياسة والأهواء، فخرجت عن العربية الإسلامية، إلى الرومية، والفارسية الوثنية.. إلخ. مختصراً ج ١ ص ٤٦٧.

قال المعصومي ـ عصمه الله تعالى ـ: قال ابن كثير في تاريخه ج ٩ ص ٧٤، نقلاً عن ابن جرير: إنه في شهر ربيع الأول عام ٨٨هـ، وصل كتاب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز، وهو إذ ذاك أمير المدينة يأمره بهدم المسجد النبوي، وإضافة حُجر أزواج النبي ﷺ في المسجد، فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة، وأهل المدينة، وقرأ كتاب أمير المؤمنين الوليد فشقّ عليهم ذلك، وقالوا: تركها على حالها أوْلى، لينظر إليها الحجّاج والزّوار والمسافرون، وإلى بيوت النبي، ﷺ، فينتفعوا بذلك ويعتبروا به، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزّهد في الدنيا، فلا يعمّرون فيها إلا بقدر الحاجة. وهو ما يَستر ويُكن، ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنّما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة، وكل طويل الأمل، راغب في الدنيا وفي الخلود فيها.

فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة، فأرسل إليه يأمره بالهدم والتّخريب، وبناء المسجد على ما أشار، فلم يجد عمر بُدًّا من هدمها. ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس، وتباكوا مثل يوم مات رسول الله، ﷺ، فشرع في البناء، وكان أرسل فَعلة كثيرة من الروم، فأدخلوا فيه الحجرة النبوية، حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فأدخل القبر في المسجد، وروي أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بدت لهم قدم، فخشوا أن تكون قدم النبي، ﷺ، حتى تحققوا أنها قدم عمر ـ رضي الله عنه ـ، وأن سعيد بن المسيب ـ يرحمه الله تعالى ـ أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد، كأنه خشي أن يُتّخذَ القبر مسجداً.. إلخ.

قال العبد الضّعيف المعصومي ـ عصمه الله تعالى ـ: رحم الله تعالى الفقهاء العشرة، إن ما أشاروا به هو الحق بلا ريب، وإن ما فعله الوليد وباشره عمر بن عبد العزيز بدعة شنيعة مضرّة في الدين، وهم لا يشعرون، وإنّي كنت منذ بضع وأربعين عاماً أتفكّر في هذا

الأمر يا ليت أنهم لو تركوا حُجرات أزواج النبي، ﷺ، على ما هي عليه، ورمّوها وأصلحوها كما هي بلا تغيير لكانت فيها عبرة كما لا يخفى، فالحمد لله ـ تعالى ـ أن فكرتي وافقت فكرة الفقهاء العشرة، فأسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفّقني لاتباعهم، ويحشرني غداً في زمرتهم، بفضله ومنّه.

والوليد اغتر بالدولة وافتتن بزخارف الرّوم والفرس، وغفل عن أمر رسول الله، ﷺ، وأمر خلفائه الرّاشدين ـ رضي الله عنهم ـ فغيّر وبدّل، وصار سبباً لافتتان ملايين من المسلمين الغافلين عن الأصل حتى صاروا يعبدون القبر وجدرانه وشبابيكه، فيتوجّهون إليه بغاية الخشوع، ونهاية الخضوع، كما يتوجّه عُبّاد الأوثان إلى أوثانهم بلا فرق.

وفي الإبداع في مضارّ الابتداع للشيخ علي محفوظ ج ١ ص ١٧١: ومن البدع المكروهة تزويق المساجد وزخرفة المحاريب، وهي أشدّ كراهة من زخرفة بقية أجزاء المسجد، لأنه يُشغل قلب المصلّي، ولأن شيئاً من ذلك لم يكن في العهد الأول، وأمر عمر ـ رضي الله عنه ـ ببناء المسجد، وقال للبَنّاء: أكنّ الناس من المطر، وإيّاك أن تحمّر أو تصفّر؛ وأول من ابتدع زخرفة المساجد الوليد بن عبد الملك، فقد كان السّلف ـ رضي الله عنهم ـ يكرهون تزويق المساجد والقبلة بالزّخرف، وتحلية المصاحف؛ وفي الخبر: «**إذا زخرفتم مَساجدكم، وحليتم مصَاحفكُم فالدمارُ عليكُم**»، كذا في (القوت لأبي طالب المكي)، فزخرفة المساجد صارت من أشدّ الأدواء، بحيث يصعب إقناع العامة بأن هذه بدعة، وحدث في الدّين، وخصوصاً في المسجد النبوي، فإن الفتنة والافتتان هناك أشدّ وأعظم.

ومن أشدّ البدع اتخاذ القبر مسجداً وموسماً، وعيداً من الأعياد، يشدُّون إليه الرّحال، كما تُشدّ لزيارة بيت الله الحرام، ولكل وليّ عندهم موسم خاصّ، وهذه البدعة قد ورد النهي عنها صريحاً مع ما

ينشأ عنها من الشّرور والمفاسد، كما روى أبو داود وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: «**لا تَجعلوا بُيوتكُم مَقابِر، ولا تجعلوا قبري عِيداً، وصَلُّوا عليّ أينما كُنتم، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[١].

وعن سهل بن أبي سهيل، قال: رآني الحسين بن الحسن بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ عند القبر، فناداني وهو ببيت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ يتمشى، فقال: هلمّ إلى العشاء، فقلت: لا أريد، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلّمت على النبي، ﷺ، فقال: لذلك دخلت المسجد، ثم قال: إن رسول الله، ﷺ، قال: «**لا تَتخذوا قَبري عِيداً، ولا بيوتكم مقابِر، وصَلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلُغني حيث كنتم**»[٢]، ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء منه، ﷺ، ورواه سعيد بن منصور في سننه، وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى قبر النبي، ﷺ، وهو سيد القبور وأفضلها، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان، وهذا النهي قد تضمّن النّهي عن تحرّي العبادة عند القبور، ولا شكّ أن اتخاذ القبور عيداً إنما هو من أعمال المشركين وعباد الأوثان التي كانوا عليها قبل ظهور الإسلام.

---

(١) أبو داود (٢/ ٥٣٤) ح (٢٠٤٢) في المناسك باب زيارة القبور من حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٢١١) ح (٧٢٢٦)

(٢) تقدم تخريجه ص٢٥٧.

مشروعيــة الزيــارة

وإنّما شُرعت الزيارة بقصد الإحسان إلى نفس الزائر وإلى الميت؛ أما إحسانه إلى نفسه، فبتذكر الموت والآخرة، والزّهد في الدنيا، والاتعاظ بحال الميت كما في الحديث: «**زُوروا القُبور فإنها تُذكّر بالموت**»![١] رواه مسلم وغيره؛ وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّي كُنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنّها تذكّركم الآخرة**»[٢]. رواه أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وذلك أن الإنسان إذا شاهد القبور، وتذكّر الموت، وانقطاع هذه الحياة، وانقضاء ما ألفه من اللّذات والشّهوات وتفكّر فيما يصير إليه من ضيق اللّحد، وتسلّط الدّود، وهو لا يدري ما يؤول إليه من شدّة الحساب، وصعوبة الجواب، دخل قلبَه الرّوع، وحضرته الخشية، وكان له ذلك عظة واعتباراً، وهذا الغرض من الزيارة يحصل برؤية القبور من غير معرفة أصحابها، ولو قبور الكفار.

وأما إحسانه إلى الميت فبالسلام عليه، والدّعاء له بالرّحمة

---

(١) مسلم (٢/٦٧١) ح (٩٧٦) في الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور من حديث أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه.

(٢) أحمد (٣/٣٨) عن حديث محمد بن يحيى بن حبان عن عمه عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوه قال الهيثمي في المجمع (٣/٥٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه بتمامه النسائي (٤/٨٩) في الجنائز باب زيارة القبور من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

والمغفرة، وسؤال العافية، فحينئذ تسنّ الزيارة لكل مسلم؛ ففي الحديث الصحيح عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ: «**أنه، ﷺ، كان يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكُم يا أهل الدّيار من المسلمين والمؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا سلفٌ، ونحن تبعٌ، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[(١)]. رواه مسلم، والترمذي بالمعنى.

فالنبي، ﷺ، بين لنا فائدة زيارة القبور للزائر والمزور.

فينبغي لمن يزور قبر ميّت، وليًا كان أو غيره من المؤمنين أن يُسلّم عليهم. ويسأل لهم العافية، ويستغفر ويترحّم، ثم يعتبر بحال من زاره، وما صار إليه حاله، وهل قبره روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، ـ والعياذ بالله عز وجل ـ ويملأ قلبه بهذا الاعتبار، ويتعلّق بمولاه بالخلاص من هذه الأمور الخطيرة التي لا يُخلّص منها إلا الاستقامة مع إحسان الله ورحمته.

وكثير من الناس صاروا يعظّمون القبور تعظيماً مفرطاً، كما يعظّم عبّاد الأصنام أصنامهم: (وقد لعن رسول الله، ﷺ، زائراتِ القبور والمتخذين عليها السّرج والمساجد)[(٢)]. رواه أبو داود والترمذي،

---

(١) مسلم (٢/٦٧١) ح (٩٧٥) في الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، النسائي (٤/٩٤) في الجنائز باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، ابن ماجه (١/٤٩٤) ح (١٥٤٧) في الجنائز باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر، أحمد (٥/٣٥٣، ٣٥٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٩٧) ح (٥٩٤) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

(٢) النسائي (٤/٩٤، ٩٥) في الجنائز باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، أبو داود (٣/٥٥٨) ح (٣٢٣٦) في الجنائز باب في زيارة النساء للقبور، الترمذي (٢/١٣٦) ح (٣٢٠) في الصلاة باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدٌ. وقال حديث حسن، وابن ماجه (١/٥٠٢) ح (١٥٧٥) في الجنائز باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور وابن حبان (٥/٧٢) ح (٢١٦٩) (إحسان) والحاكم (١/٣٧٤).

ولهذا قال العلماء: لا يجوز النّذر للقبور لا شمع، ولا زيت، ولا غير ذلك.

وسرّ النّهي عن زيارة القبور أولاً: أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور في قوم نوح، نهى رسول الله ﷺ أصحابه في صدر الإسلام عن زيارتها سدًّا لذريعة الشّرك، لكونهم حديثي عهد بشرك، ثم لما تمكّن التّوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها، وعلّمهم كيفيتها تارة بفعله، وتارة بقوله كما بيناه سابقاً.

قال ابن الحاج في المدخل: لا يجوز الطواف حول الأضرحة. فإنه لا يُطاف إلا بالبيت العتيق، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحَجر الأسود، فما يفعله من لا علم عنده من الطواف بالقبر النبوي الشّريف، ويتمسّح به ويقبّله، ويُلقون إليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرّك، كل ذلك من البدع، لأن التبرّك إنّما هو بالاتباع له، ﷺ، وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب.

ولهذا كره العلماء ـ يرحمهم الله تعالى ـ التّمسح بجدار الكعبة، أو بجدران المسجد أو بالمصحف، إلى غير ذلك مما يتبرّك به سدًّا لهذا الباب ولمخالفة السنة، لأن صفة التعظيم موقوفة على رسول الله ﷺ فكل ما عظّمه رسول الله، ﷺ، نعظّمه ونتّبعه فيه، فتعظيم المصحف قراءته، وعمل بما فيه، لا تقبيله ولا القيام إليه كما يفعله بعضهم، وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه، لا التمسّح بجدرانه، وكذا النبي والولي تعظيمه اتباعه، لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسّح به؛ فالتعظيم بالاتباع لا بالابتداع. قال سليمان بن حرب ـ يرحمه الله ـ: قُبلةُ اليد هي السجدة الصغرى؛ وعن ابن عبد البر ـ يرحمه الله ـ يُقال تقبيل اليد إحدى السجدتين، وقبض هشام بن عبد الملك يده من رجل أراد أن يقبّلها، وقال: مه فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا ملوع، ومن العجم إلا خضوع، والتبرك هو أصل العبادة، ولذا قطع عمر ـ رضي الله عنه ـ شجرة الرضوان التي بويع تحتها رسول الله، ﷺ، في

الحديبية؛ وقد ذكر أهل السير: أن سبب عبادة الأوثان هذا التبرك. فخاف عمر ـ رضي الله عنه ـ أن يتمادى الحال على تلك الشجرة فتعبد من دون الله.

قال الإمام الشافعي ـ يرحمه الله تعالى ـ في الأُمّ: وأحبُّ أن لا يُزاد تراب من غيره وإنّما أحبّ أن يُشخص على وجه الأرض شبراً أو نحوه، وأحبّ أن لا يُبنى ولا يُجصّص، فإن ذلك يشبه الزينة والخيلاء، وليس الموت موضع واحد منهما، ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصّصة، وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يُبنى فيها على القبور، وإنّما وجب الهدم لما في البناء من الزينة والخيلاء وإضاعة المال والتشبّه بالجاهلية. وقد أفتى جمع من العلماء بهدم كل ما في قرافة مصر من الأبنية، منهم العلامة ابن حجر ـ يرحمه الله تعالى ـ، إذ قال في الزواجر: وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور، إذ هي أضرُّ من مسجد الضّرار، لأنها أُسست على معصية رسول الله، ﷺ، لأنه نهى عن ذلك، وأمر، ﷺ، بهدم القبور المشرفة؛ وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصحّ وقفه ولا نذره، فينبغي لكل أحدهم هدم ذلك ما لم يُخش منه مفسدة.

ومن البدع المنكرة الستور التي توضع على الأضرحة ويُتنافس فيها، والشيلان التي توضع كالعمامة على تابوت الأولياء والعلماء، فإنه إسراف لغير غرض شرعي، وعبث وتضليل البسطاء من العامة، ولكن خَدمةُ الأضرحة زين لهم الشّيطان ذلك ليفتح لهم باباً من الارتزاق الخبيث، فيوهمون العوام أن بها من البركة، ما لا يُحاط به، وأنها نافعة في الشفاء من الأمراض، فتهافت عليها البسطاء وهان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها، وكيف تحصل البركة وهذه السّتور على ما عهدت، وبناء القبور على ما علمت، ورفعها وتزيينها على ما سمعت. ومن البدع الشّنيعة المحرّمة الفاشية، وقوف بعض الزائرين أمامَ القبر بغاية الخشوع واضعاً يَديه على صدره كالمصلّي، فهذا كلّه من البدع التي لم يشهد لها أصل ولا حال ولا أدب يقتضيه،

وإذا لم يشرع ذلك بالنسبة لزيارة أشرف خلق الله، عليه الصلاة والسلام، فكيف بغيره؟! ومنشأ هذه البدع غلو الشيعة الشنيعة في شأن أئمتهم، ولا شكّ أنهم قد أخذوا أكثر عقيدتهم وأعمالهم من المجوس وعبدة الأوثان. فتدبّر.

وفي المادة ١٠٧ من كتاب أثر الدعوة الوهابية ج ١ ص ٤٧ أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي قدم المدينة وصاحب الشيخ محمد حيات السندي وأخذ منه علوماً جمّةً، ومن جملتها أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقف يوماً على الحجرة النبوية ويكاد مرجل غيظه ينفجر مما يرى ويسمع من الاستغاثات برسول الله، ﷺ، ودعائه والضّراعة إليه، فرآه الشيخ محمد حيات على تلك الحال فجاءه يسعى، فلما رآه الشيخ محمد بادر بسؤاله: ما تقول يا شيخ في هؤلاء؟ فقال السنديُّ في الحال فوراً: إن هؤلاء متبّر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون.

وفي الروضة الندية ج ١ ص ١٨١: ويحرم زخرفة المساجد لأن المقصود من بناء المساجد أن يكنّ الناس من الحرّ والبرد، وتزيينه يُشغل القلوب عن الإقبال على الطّاعة، ويذهب الخشوع الذي هو روح العبادة. قال المهدي في البحر: إن تزيين الحرمين لم يكن برأي ذي حلّ ولا عقد، ولا سكوت رضا أي من العلماء، وإنّما فعله أهل الدول الجبابرة من غير مؤاذنة من أهل العلم، وهذا كلام حسن؛ والناس أحدثوا من البدع ما لا يأتي عليه الحصر ولا يُنكره أحد، وسكت العلماء تُقيةً لا رضا، بل قام في وجه باطلهم جماعة من علماء الآخرة، ودعوى أنه بدعة حسنة باطلة للحديث الصحيح: «**مَن عَمل عملاً ليس عليه أمرنا فهُو رَدٌّ**»[1]. ودعوى أنه مرغب إلى المسجد فاسدة، لأن كونه داعياً إلى المسجد ومرغباً إليه لا يكون إلا

(١) مسلم (٣/١٣٤٣) ح (١٧١٨) في الأقضية باب رد الأقضية الباطلة ورد محدثات الأمور من حديث القاسم بن محمد عن عائشة مرفوعاً.

لمن كان غرضه وغاية قصده النظر إلى تلك النقوش والزخرفة. فأما من كان غرضه قصد المساجد لعبادة الله التي لا تكون عبادة على الحقيقة إلا مع خشوع، وإلا كانت كجسم بلا روح، والنبي، ﷺ، كيف فعل في الأنبجانية التي بعث بها إلى أبي جهم، وهتكه السّتور التي فيها النقوش.

اعلم أن تقويم البدع المعوجّة التي يُحدثها الملوك تُوقع أهل العلم في المسالك الضيقة فيتكلّفون في ذلك من الحجج الواهية ما لا يتفق إلا على بهيمة، إلخ. [شوكاني والفتح الرباني].

فصـــل
في قصة الزاهدين الصوفيين المغربيين النصرانيين المجاورين في المدينة الطيبة بقصد محو دين الإسلام

إنّي قد بينت في أوائل كتابي [مفتاح الجنة لا إلٰه إلا الله] سبب دخول الشّركيات، والضّلالات فيما بين أهل الإسلام. وغالب سببها ترائي أعداء الدين للمسلمين بصورة العلماء، والزّهاد والعبّاد. فمن جملتها ما ذكره السمهودي في وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٦٦، أن في عهد الملك العادل نور الدين الشهيد في عام ٥٥٧ هجري، وقع أمر عظيم، وذلك أن الملك المذكور رأى النبي، ﷺ، في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: أنقذوني من هٰذين، فاستيقظ فزعاً، ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وتوضأ، وصلى، ونام فرآه أيضاً مرة ثالثة فاستيقظ، وكان له وزير من الصالحين يُقال له جمال الدين الموصلي فطلبه وحكى له القصة، فقال له: اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت، فتجهز حالاً، وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفراً مع الوزير ومال كثير، فقدم المدينة في ستة عشر يوماً، وحينما وصل صلّى في الروضة وزار وأمر بجمع أهل المدينة لتوزيع الصّدقات عليهم، فحضروا كلهم والسلطان يتأمّلهم ليجد من في الصّفة التي أراها النبي ﷺ له، فإذا لم يجد من فيه تلك الصفة يُعطيه ويأمره بالانصراف إلى أن انفض الناس، فقال السلطان: هل بقي

أحد؟ فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيّين لا يتناولان من أحد شيئاً، وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج فانشرح صدره، وقال: عليَّ بهما. فأُتي بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي، ﷺ، إليهما بقوله: أنقذني منهما. فقال: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب جئنا حاجين، فاخترنا المجاورة عند رسول الله، ﷺ، فقال: اصدقاني، فصمّما على ذلك، فقال: أين منزلهما؟ فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما فرأى فيه مالاً كثيراً، وختمتين وكتباً في الرقائق، ولم ير فيه شيئاً غير ذلك، وأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير. وقالوا: إنهما صائمان الدهر، وملازمان الصلوات في الروضة الشريفة؛ وزيارة النبي، ﷺ، وزيارة البقيع كل يوم بكرة؛ وزيارة قباء كل سبت، ولا يردّان سائلاً قطّ بحيث سدّا خلّة أهل المدينة في هذا العام المجدب، ففتش السلطان البيت ورفع حصيراً فرأى سرداباً محفوراً ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان: ما هذا؟ اصدقاني حالكما، وضربهما ضرباً شديداً، فاعترفا بأنهما نصرانيان جاءا للتحيل في أمر عظيم خيلته لهما أنفسهُما الخبيثة. وتوهما أن يمكّنهما الله منه، وهو الوصول إلى الجناب الشريف، ويفعلا به ما زينه لهما إبليس في النقل وما يترتب عليه، وصارا يحفران ليلاً، ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة والذي يجتمع من التراب يجعلانه في محفظتهما ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيُلقيانه بين القبور، فلما قربا من الحجرة الشريفة قدم السلطان صبيحة تلك الليلة، واتفق إمساكهما واعترافهما، فأمر السلطان بقطع رقابهما فقتلا حالاً هناك.

ثم أمر السلطان بإحضار رصاص كثير، وحفر خندقاً عميقاً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلّها وأذيب ذلك الرصاص وملىء به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سوراً رصاصيًا إلى الماء، وكذا ذكر القصة زينُ الدّين المراغي في كتابه [نصيحة أولي الألباب في منع استخدام النصارى كتاب]. [وكذا ذكرها جمال المطري في تاريخه،

وحاصله أن الملك نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر قد أتى بخدمة عالية فجزاه الله خيراً، ومنزل الرجلين الأشقرين كان في ناحية قبلة حجرة النبي، ﷺ، من خارج المسجد، كذا ذكره في الدّرر السّنية في الأجوبة النّجدية ج ٢ ص ٤٠٩. ونقل ابن عذرة في كتابه: تأسي أهل الإيمان: أن الذي أرسل من ينبش قبر النبي، ﷺ، إنما هو الحاكم بأمر الله العبيدي ـ عليه لعنة الله ـ لينقله إلى مصر حتى يشدّ الناس رحالهم إلى مصر، فيكون له شأن.. إلخ.

قال محمد سلطان المعصومي ـ عصمه الله تعالى ـ: هذا خلاصة ما وقفنا عليه مما يتعلّق بهذه المسألة، وإذا أردت التفصيل فيطول البحث جدًا.

وحيث إن القطرة تدل على البحر، اقتصرت على هذا القدر، والله هو الموفّق، يهدي من يشاء، ويُضلّ من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين.

فنسأله ـ تعالى ـ أن يوفّقنا لفهم كتابه والتمسّك به، وبسنة رسوله محمد، ﷺ، ويثبّتنا عليه بمنّه، وفضله، وإحسانه، ويرزقنا حسن الختام.

وآخر دعوانا سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

وكان ذلك في ١٠/٥/١٣٦٦هـ في المدينة الطيبة، وأما تبييضهن ففي مكة المكرمة، فالحمد لله رب العالمين.

حكم الله الواحد الصمد

في حكم الطالب
من الميت المدد

تأليـــف

محمد بن سلطان المعصومي الخنفي

المقـــدمـــة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[٣].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ مُحدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد.

فهذه رسالة لطيفة للعلاَّمة (محمد سلطان المعصومي الخجندي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٣) سورة النساء، الآية: (١).

الحنفي) المتوفى سنة ١٣٧٩هـ جواباً على استفتاء من طلبة التركستان، وقد سبق أن طُبعت هذه الرسالة في حياة المؤلف ـ يرحمه الله تعالى ـ طبعتين.

الأولى: بمصر.

والثانية: بالباكستان، وهي طبعة حجرية.

ولكونها طُبعت منذ زمان طويل (١٣٥٥هـ)، ولمسيس الحاجة إليها مع نُدرتها، أحببت أن تُنشر. وكان منهجي في إخراجها ما يلي:

١ ـ جعلت الطبعة المصرية أصلاً، وما كان من فروق بينها وبين الطبعة الباكستانية ذكرته في الحاشية، إلا أن يكون خطأً ظاهراً فلا أُعرّج عليه.

٢ ـ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٣ ـ خرّجت الأحاديث النبوية مع بيان درجتها ما أمكن.

٤ ـ عزوت النصوص التي أوردها المؤلف إلى مواضعها، حسب الوسع والطاقة، ولم أستوعبها كلها.

٥ ـ وضعت عناوين جانبية توضح ما في الكتاب.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع بها المسلمين، وأن يغفر لمؤلفها، ولمن ساعد على نشرها، والله من وراء القصد. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه

محمد الخميس

صورة استفتاء من بعض الطلبة المهاجرين

مقدمة الكتاب والباعث على تأليفه

بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، إنا نحن أنفاراً من الطلبة المهاجرين المقيمين في دهلي وديوبند، نرفع إلى خدمة الأستاذ العلاّمة، والحبر البحر الفهّامة، فقيه العصر ومحقّق الدّهر، إمام المجاهدين وصدر المهاجرين، الذي فدى في الله نفسه وأهله ونفيسه، وقال الحق غير خائف من لوم اللائم، أعني مولانا المولوي أبا عبد الكريم محمد سلطان المعصومي الخجندي ـ سلّمه الله تعالى وعافاه، ومن كل سوء ومكر وقاه ـ، ما ألفه وطبعه ونشره محمود خان النمنكاني الطرازي الإمام الآن في مسجد (رنكاري) في بمبيء. وها نحن نقدّم إليكم رسائله الثلاث المطبوعة: إحداها: (آه مهجوران وداد مظلوكمان). وثانيتها: (أنة مهجور ونفثة مصدور). وثالثتها (دليل المهاجرين). فبعد المطالعة بالنظر الدقيق تُبينون الحكم الشرعي الإسلامي المحمّدي، وخصوصاً على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وصاحبيه أبي يوسف ومحمد ـ يرحمهما الله تعالى ـ. لأن ذلك القائل الناشر من أهل التركستان، وما وراء النهر وهو يَدعي أنه حنفي المذهب. وهو مذ زمان إمام للأحناف في مسجد (رنكاري) الكائن في بمبىء. هل ما كتبه وقاله ونشره صحيح أم باطل؟ وإذا كان باطلاً فهل يجز[١] إلى الكفر والشرك والضلال أم لا؟ وإذا كان شركاً

(١) في الطبعة الهندية (يجر).

وضلالاً فكيف تكون إمامة هذا الرجل؟ وهل الصلاة خلفه اقتداء به صحيحة أم لا؟ حرّروا لنا ما هو الصواب. ولكم من الله جزيل الثواب. فإن علماء ديوبند ودهلي قد طعنوا علينا نحن المهاجرين البخاريين والتركستانيين، وقالوا: إن هؤلاء المهاجرين مشركون. فلا بدّ من إخراجهم من مدرسة ديوبند. ونحن اعتذرنا لهم، وقلنا نحن برآء مما قاله وأشاعه. ومع ذلك سقطنا عن نظرهم، فصاروا لا يُبالون بنا، بعد أن كانوا يَصِلُونا بِصِلات. فنحن عدّة نفر من طلبة المهاجرين المخلصين، الطالبين للحق، نرجو من حضرة الأستاذ أن يُبيّن الحق ليكون لنا سنداً، وتنشرح صدورنا، وتبيضّ وجوهنا في هذه الدنيا وفي الآخرة. جزاكم الله ـ تعالى ـ عنا وعن سائر طلاب الحق خيراً.

قاله المخلص لله إبراهيم الفرغاني المهاجر (دهلي) **٢٢** شعبان سنة **١٣٥٣** هجرية.

الجواب أن اللّه ـ تعالى ـ هو الهادي، وعليه اعتمادي، في مبدئي ومعادي

خطبة المؤلف

الحمد لله تعالى وكفَى. والصّلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى. وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الجزاء.

أما بعد.

فيا أيها السائلون الطالبون للحق، وفّقني الله ـ تعالى ـ وإياكم لما فيه رضاه. إنّ ما أرسلتم من الرسائل الثلاث قد وصلت إليَّ حينما كنت في بمبيء. فطالعتها من أولها إلى آخرها حق المطالعة. فها أنا أُحرّر الآن ما لها وما عليها، ذاكراً لكم ما هو الحق المطابق لكتاب الله، وسنة سيدنا رسول الله، ﷺ، ونصوص الأئمة الأعلام من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ.

الشروع في المقصود

اعلموا أن رسالته (آه مهجوران) مملوءة من أولها إلى آخرها بالكفريات والشّركيّات، والضلالات والكبائر والأكاذيب. وكذا رسالته (أنة مهجور)، كما سأبينه مفصلاً ـ إن شاء الله تعالى ـ بحوله وقوته. قال في (آه مهجوران) المطبوعة في بمبيء بعد البسملة. حال كونه منادياً ومناجياً ومستمداً ومستعيناً من الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ يرحمه الله تعالى ـ. الذي توفي سنة ٥٦١هـ.

ألفاظ شركية في رسالة آه مهجوران وتفسيرها.

المدد يا شاه شاهان المدد　　المدد يا بير بيران المدد
المدد يا خفر قطبان المدد　　المدد يا شمس جيلان المدد
المدد يا غوث غوثان المدد　　المدد محبوب رحمان المدد

إن هذه الجملة مكرّرة في الرسالة إحدىٰ وثمانين مرة. ومعناها: أطلب منك الإمداد يا سلطان السلاطين، ويا ملك الملوك، أمددنا وأعنّا وشاه السلطان والملك. وشاهان السلاطين والملوك. يعني يا سلطان السلاطين (يا بير بيران) الشيخ المرشد المربي، (وبيران) جمع بير. ومعناه يا شيخ المشايخ، ويا مرشد المرشدين، ويا مربيّ المربّين. (ويا خفر قطبان)، وهو جمع قطب. وهو في اصطلاح الصوفية الخرافية من اتّصف بأعلىٰ درجات الولاية، وله التصرّف في الكون، ومعناه يا خفر الأقطاب، نطلب منك المدد فأمددنا. ويا شمس بلاد جيلان أمددنا. ويا غوث الأغواث أمددنا ويا محبوب الرحمن أمددنا، يعني أنه خاطب الشيخ عبد القادر الجيلاني وناداه بتلك الأوصاف التي يختص غالبها بالله تعالى، فإن سلطان السلاطين وملك الملوك هو الله وحده. وغوث الأغواث هو الله فقط. ثم قال:

المدد أي سرور مردان حق　　المدد أي ناصر قرآن حق

يعني أمددنا يا سيداً ويا ابن الرسول. وأمددنا يا نور عيني فاطمة ـ تعالى ـ.

المدد أي واقف فرمان حق　　المدد أي واصل عرفان حق

يعني أمددنا يا واقف الأوامر الإلٰهية. وأمددنا يا أيها الواصل إلى حقيقة معرفة الله وعرفانه.

المدد يا سيدا يا ابن الرسول　　المدد أي نور جشمان بتول

يعني أمددنا يا سيداً ويا ابن الرسول. وأمددنا يا نور عيني فاطمة البتول.

المـدد أي مـحـرم قـرب وصـول   المـدد أي مـرشـد دار الـقـبـول

يعني أمددنا يا أيها الذي صار محرماً لأسرار الله، بحيث حصل له القرب إلى الله، ووصل إليه. وأمددنا يا من يرشد إلى دار القبول.

بشنواي شه عرض ابن افتاده را   نـالـه هـوش إذ شـر خـود داده را

اسمع يا ملك عريضة هذا المسكين الطائح. الذي زال عقله عن رأسه بحيث صار مدهوشاً:

بـانـظـلـم بـيـش نـوآمـاده   سرز خجلت در[1] زمين بنهاده

را: يعني الذي قام عندك متظلماً. ومن كمال خجله وضع رأسه تحت رجلك في الأرض.

ميكم بيشت شها فريا دخود   قـصـة آن مـلـك نـا آبـا دخـود

يعني يا أيها الملك أفعل لديك مراضي. وأبيّن قصّة بلادي التي خربها الأعداء.

حسرت أحباب خودا ولا دخود   سـيـدا إظـهـاركـن أرشـا دخـود

يعني أعرض لديك حسرة المفارقة عن أحبابي وأولادي. فيا سيد عبد القادر الجيلاني أظهر لي إرشادك وكرامتك.

أعـظـمـا بـرخـيـز عـالـم دركـرفـت   ملك توران لشكر بيدين كرفت

يعني يا أيها الغوث الأعظم قم من مرقدك، قد احترق العالم. وأخذ ممالك التوران (ما وراء النهر) عساكر اللاديني.

أي حـبـيـب خـالـق فـريـادرس   كوش كن عرض غريبان بكنفس

يعني يا حبيب الله الخالق، الذي يسمع دعاء الدّاعين، اسمع عرض الغرباء لحظة.

---

(١) في الطبعة الهندية (زعين).

أي شه كل در عراق در حجاز مشكلات مؤمنان آسان بساز

يعني يا ملك كل الخلق في مملكة العراق والحجاز. سهّل المشكلات التي عرضت للمؤمنين.

روضه هاء أولياء شد بإيمال بنكراي قطب جهان اينك جه حال

يعني أن روضات الأولياء، ومشاهد القبور، صارت مهانة ومهدومة. هدمتها البلاشفة الشيوعيون. انظر يا قطب العالم، يا عبد القادر الجيلاني، الغوث الأعظم، ما هذه الحال.

ابن جه ظلم لست أي سيادت دستكاه لحظه بر ما أسيران كن نكاه

يعني ما هذا الظلم الذي هو غاية الظلم، يا صاحب السيادة والدرجة العليا. فانظر إلينا بنظر الرحمة لحظة، فإنا نحن قد صرنا أسرىٰ.

دا دصد دا داي شه أهل يقين جاره ساز ماتودر دنياؤ دين

يعني نصرخ مائة صرخة من ظلم هؤلاء الظالمين إليك. يا سلطان أهل اليقين، أنت الذي تُدبّر أمورنا، وتخلصنا من الأهوال في الدنيا والدين.

أي مدد كار شهنشاه جهان غوث ما غوث سلاطين زمان

يعني يا شيخ عبد القادر، أنت الذي تمدنا وتعيننا، وأنت في الحقيقة ملك الملوك في العالم وأنت غوثنا وغوث جميع سلاطين هذا الزمان.

عرض ما رابا محب خودر سان تاشود مراهل هجرت سايه بان

يعني بلغ عرضنا إلى محبتك. لأن يكون لأهل الهجرة حامياً.. ويستظل المهاجرون تحت ظله وحمايته.

غوث ما بين حال جاكرهائي خويش جندها مشتاق مادرهاي خويش

يعني، يا غوثنا الأعظم انظر إلى أحوال خدامك المخلصين. والذين يشتاقون إلى لقاء أمهاتهم.

ليك دارد زينت هريك كلام   نام باك حضرت غوث الأنام

يعني ولكن يكون زينة لكل الكلام. أعني الاسم المقدس لحضرت غوث الأنام. يعني أن اسم الغوث الأعظم مقدس فهو زينة كل كلام في العالم.

هركه دار ددرجنايش اعتقاد   نام اورا ميكندهر لحظه باد

يعني كل شخص يكون مخلصاً ومعتقداً لجناب الغوث الأعظم، ويذكر اسمه في كل لحظة وآن.

غوث باشدتكيه كاه نامراد   نور جشم بضعة خير العباد

يعني أن الغوث الأعظم إنما هو ملجأ كل لاجىء، وقاضي حاجة كل محتاج، وهو نور عيني بنت خير العباد.

المدد ياغوث غوثان المدد   المدد محبوب رحمان المدد

يعني أمددنا وأعنا يا غوث الأغواث، إنا نطلب منك المدد، ونستمدّ منك يا محبوب الرحمن، نستمدك إلى آخر ما طغىٰ وغوىٰ. وجعل فيه الجزاء.

الكلام الفصل في هذه الشركيات.

اعلموا يا أيها المسلمون، وفقني الله وإيَّاكم لما فيه رضاه. ويا أيها الحنفيون، هداني الله ـ تعالى ـ وإيَّاكم إلى الصراط المستقيم. أن هذه الكلمات كلها شرك وكفر وضلال في الدِّين الإسلامي، والشرع المحمدي، والمذهب الحنفي، بل المذاهب الأربعة إجماعاً. وقائلها مشرك لا تصحّ صلاته ولا صيامه، ولا حجّه ولا إمامته. إلاّ إذا تاب وآمن وأعلن توبته، كما أشهر شركه. ولا شكّ أن كون تلك الكلمات شركاً وكفراً وضلالاً ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة من الصحابة والتابعين والسّلف الصّالحين، كما هو مصرّح به في الكتب الفقهية

حقيقة دعاء الميت وحكم ذلك.

الحنفية المعتبرة كافة. وكذا معتبرات مذهب الشافعية والمالكية والحنابلة. لا شك أن نداء الميت سواء كان قريباً أو بعيداً، ولو نبيًّا، يستلزم اعتقاد سماع الميت نداء المنادي، وخصوصاً البعيد النائي. وطلب الإمداد منه يستلزم اعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يقدر على التصرّف، والدّفع والمنع، وخصوصاً إذا كرر وأكّد النداء والطلب، فإنه لا يبقىٰ للتأويل محلٌ. وذلك كفر صريح وشرك قبيح.

والمتصرف والقادر على كل شيء، وعالم الغيب هو الله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له. والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الربّ وحده، وأما سائر المخلوقات إنسيًّا وجنيًّا ووليًّا ونبيًّا فكلهم مخلوق، ومربوب، ومحتاج إلى تربية الربّ، الرحمٰن الرحيم، مالك يوم الدين. فإيَّاه نعبد، وإيَّاه نستعين. فالاستعانة[1] من الأموات، وأهل القبور والأرواح، أيًّا كان المستعان به ولو نبيًّا، من شعائر المشركين من المجوس والبراهمة والبوذيين والصابئة والمنجمين.

عقيدة أهل السنة فيمن ادّعى علم الغيب.

لا شك أن دعوىٰ علم الغيب لنفسه، أو لواحد من بني آدم أيًّا كان كفر. ونحن معاشر المسلمين لا نُصدّق من يدَّعي شيئاً من علم الغيب، كما لا نُصدّق العرَّاف والكاهن. لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2]. الآية. وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة. وهذا هو المجمع عليه من السلف الصالحين. والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[3] الآية. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**»[4]. وفي هذا الباب آيات وأحاديث كثيرة، منها ما رواه ابن مردويه كما نقله

(١) هكذا في الطبعتين الهندية والمصرية والأنسب أن تكتب (بالأموات).
(٢) سورة النمل، الآية: (٦٥).
(٣) سورة الأعراف، الآية: (٨٨).
(٤) وهذه زلة من المؤلف رحمه الله تعالى حيث جعل الآية حديثاً.

الجلال السيوطي في الدر المنثور[١] عن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان رسول الله ﷺ في قبة حمراء إذْ جاء رجلٌ على فرس، فقال: من أنت؟ فقال: أنا رسول الله. قال: متى الساعة؟ قال: غيب وما يعلم الغيب إلا الله. قال: ما في بطن فرسي؟ قال: غيب وما يعلم الغيب إلا الله. قال: فمتى تمطر؟ قال: غيب وما يعلم الغيب إلا الله[٢]. كذا كنت حررته في المادة (١٢٥) من كتابي حبل الشرع المتين الذي كنت ألفته سنة ١٣٣٠هـ.

الرد على الجاهل المستغيث بالميت.

وها نحن نسأل هذا الجاهل. إن العارف بالله تعالى الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ يرحمه الله تعالى ـ وقت ما كان حيًّا وهو في بغداد ـ مثلاً ـ وأنت في بمبيء ـ مثلاً ـ. وناديته من هنا وقلت يا شيخ عبد القادر، هل كان يسمع؟ فلا بد أن يقول لا يسمع. فنقول ومن كان لا يسمع نداء الغائب البعيد وهو حي، فكيف صار يسمع نداء النائي البعيد، وهو ميت منذ مئات من السنين؟!! فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.

يا أيها المسلم العاقل الصحيح الإسلام، تدبَّر وتفكَّر، هل ثبت أن أحداً من الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، نادىٰ النبي ﷺ في حياته أو بعد مماته من بعيد واستغاث به؟! ولم يثبت عن أحد منهم أنه فعل مثل ذلك! بل قد ورد المنع من ذلك، كما سأذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأما إن ادَّعىٰ أنه يسمع كرامة وخرقاً للعادة. فنقول: إن الكرامة لا تكون دائمة. بل قد تصدر أحياناً في حال حياة الولي فقط. وأما بعد الممات فلا، لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، كما ورد في الصحيح، فلا يصلح هذا حجة لما ادّعاه، فتدبّر ولا تكن من الجاهلين!!

---

(١) (١٦٩/٥) ط. دار المعرفة.

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٦٩/٥).

وقد أقرّ وقرّر محققو الصوفية، ومن جملتهم العلاّمة الشيخ أحمد السرهندي الحنفي رئيس الطائفة النقشبندية أن كرامات الأولياء إنما تصدر في حياتهم فقط. وأما بعد مماتهم فتسلب التّصرّفات وظهور الكرامات. حيث قال في المكتوب (٢٥٦) نقلاً عن النفحات: «إن ولاية جميع الأولياء تُسلب بعد الموت»[١] قلت: المراد بالولاية التصرّفات وظهور الكرامات لا أصل الولاية التي هي عبارة عن قرب إلٰهي إلخ.

نصوص الحنفية في تكفير القبوريين.

وها أنا أذكر لك نصوص المذهب الحنفي من الكتب المعتبرة والفتاوى المشهورة. ففي شرح القدوري: «إن من يدعو غائباً أو ميتاً عند غير القبور، وقال يا سيدي فلان ادع الله ـ تعالى ـ في حاجتي فلانة زاعماً أنه يعلم الغيب ويسمع كلامه في كل زمان ومكان، ويشفع له في كل حين وأوان. فهذا شرك صريح. فإن علم الغيب من الصّفات المختصّة بالله ـ تعالى ـ. وكذا إذا قال عند قبر نبي أو صالح يا سيدي فلان اشف مريضي، واكشف عني كربتي، وغير ذلك، فهو شرك جَلِيٌّ، إذ نداء غير الله طالباً بذلك دفع شرّ أو جلب نفع فيما لا يقدر عليه الغير دعاء، والدعاء عبادة، وعبادة غير الله شرك. وهذا أعمّ من أن يعتقد فيهم أنهم مؤثّرون بالذّات، أو أعطاهم الله ـ تعالى ـ التصرفات في تلك الأمور، أو أنهم أبواب الحاجة إلى الله ـ تعالى ـ وشفعاؤه ووسائله، وفيه اعتقاد علم الغيب لذلك المدعو، وهو شرك. نسأل الله الحفظ والعصمة عن[٢] الشرك والكفر والضلال.

قال العلاّمة علاء الدين الحصكفي ـ يرحمه الله تعالى ـ في أواخر كتاب الصوم من الدرّ المختار ما نصّه: «واعلم أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام، وما يؤخذ من الدراهم والشّمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقرباً إليهم فهو باطل بالإجماع،

(١) المكتوبات (١/ ٢٣٦).
(٢) الأنسب أن يقال: من.

وحرام. ما لم يقصدوا صرفها لفقراء الأنام. وقد ابتلي الناس بذلك ولا سيما في هذه الأعصار إلخ»[١]. وقال محشيه خاتمة المحققين السيد محمد أمين بن عابدين الشامي - يرحمه الله تعالى - في ردّ المحتار قوله: «تقرباً إليهم. كأن يقول يا سيدي فلان إن ردّ غائبي أو عوفي مريضي أو قُضيت حاجتي فلك كذا، باطل وحرام. كذا في البحر الرائق. لوجوه منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة. والعبادة لا تكون لمخلوق. ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك. ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله - تعالى - فاعتقاده ذلك كفر إلخ»[٢].

قال العلاّمة السيد أحمد الطحطاوي في حاشية الدرّ المختار: «من ظنَّ أن الميت يعلم الغيب أو يتصرّف في الأمور دون الله تعالى واعتقد ذلك فقد كفر. واعلم أن بيان الأحكام الشرعيّة مما يجب على العلماء. وليس في ذلك تنقيص الولي. كما يظنه بعض من لا خلاق له. بل هذا مما يُرضي الولي. ولو كان حيًّا وسُئل عن ذلك لأجاب بالحق، وأغضبه نسبة التأثير إليه إلخ»[٣].

وقال العلاّمة مفتي الثقلين خير الدين الرملي الحنفي في فتاويه بعد نقل ما مرّ عن العلاّمة قاسم الحنفي: «وأنه إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور كفر. قال في البحر: والحاصل أن من تكلّم بكلمة الكفر عامداً كفر عند الكل، كما في فتاوى قاضيخان» انتهىٰ.

قال ختمة المحققين المولوي عبد الحي اللكنوي[٤] في فتاويه في نظم البيان: قال الشيخ فخر الدين أبو سعيد عثمان بن سليمان الجياني

---

(١) رد المحتار (٢/٤٣٩) وانظر: البحر الرائق (٢/٤٩٨).

(٢) حاشية ابن عابدين على رد المحتار (٢/٤٣٩ - ٤٤٠).

(٣) لم أقف عليه في مظانه من حاشية الطحاوي على الدر المختار. وانظر: مثله البحر الرائق (٢/٤٩٨).

(٤) في الطبعة المصرية (الكهنوي) والصواب ما أثبت.

الحنفي ناقلاً عن الفتاوىٰ البزازية وغيرها من كتب الفتاوى: «من قال: إن أرواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر»[١]. «ودر فتاوى محك الطالبين مسطور ست كه يك طائفة درويشان جاهل وعامي ميكو يندكه بهر وقت بيران حاضراند. ومردكان مرده رفته راحاضر ميكويند كافر ميشوند. ومرد كان إذا حوال زندكان خبر ندارند». كذا في زاد المتقين. «وبعض جهلاء از عقيدة جاهلانه بشيخ عبد القادر جيلاني أوراغوث أعظم اعتقاد نموده واورا حاضر دا نسته نداء مينمايند. شك نيست كه ابن عقيدة خلاف عقائد أهل إسلام ست. بلكه تجر إلى الشرك ست. وغوث أعظم الله رب العالمين الست».

سؤال شخصي بمريدان خود تعليم ميكندكه. يا شيخ عبد القادر شيئاً لله. بطور دُعا وطلب حاجات بس براىء تعليم كننده جه حكم ست، وهرد وكلام كلام شرك ست يا نه. آيا شيخ عبد القادر جنين قدرت دارندكه فريا دهركس شنيده به فريا درسند. جواب أزاينجنين وظيفة احتراز لازم وواجب ست. أولا ازاين جهت كه آن متضمن شيئاً لله ست، وبعض فقهاء ازهمجو لفظ حكم كفر كرده اند جنانجة دردر المختار ست، «كذا قول شيئاً من قبل يكفر» وقد مر أن ما فيه الخلاف يؤمر بالتوبة والاستغفار، وتجديد النكاح». وثانياً: ازاين جهت كه متضمن ست نداء أموات را ازا مكنهء بعيدة. وشرعا ثابت نيست كه أولياء را قدرت حاصل ست كه ازامكنهء بعيدة نداء رابشنود. بلكه اعتقاد اينكه كسى غير حق ـ سبحانه ـ راحاضر وناظر وعالم خفي وجلي در هروقت درهر آن اعتقاد شرك ست. در فتاوى بزازية مينويدكه (تزوّج بلا شهود). وقال: «خدا وزسول خدادا وفرشته كانرا كودة كر دم يكفر». لأنه اعتقد أن الرسول والملك يعلمان الغيب. وقال علماؤنا: من قال إن أرواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر.. «وحضرة شيخ عبد القادر ازر مكنهء بعيدة فرياد شنو وفريادرس اعتقاد

(١) الفتاوى البزازية (٣٢٦٦، ٣٢٥، ٣٢٣).

ونمودن از عقائد شرك ست. وكرامات ولي بعد موته غير ثابت ست»
حرره أبو الحسنات محمد عبد الحي ـ رحمه الله تعالى عليه ـ.

الكلام عن النذر للأموات.

وقال في النهر الفائق: «اعلم أن الشيخ قاسماً، وهو من أكابر العلماء الحنفية ـ يرحمهم الله تعالى ـ، قال في شرح درر البحار[١]: إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً: يا سيدي فلان إن ردّ غائبي أو عوفي مريضي فلك[٢] كذا باطل إجماعاً لوجوه، إلى أن قال: ومنها ظن أن الميت يتصرّف في الأمور[٣]. واعتقاد هذا كفر»[٤]. والمسلم لا يطلب حاجته من غير الله، فإن من طلب حاجته من ميت أو غائب فقد فارق الإسلام، وممن صرَّح بهذه المسألة من علمائنا الحنفية صاحب الفتاوى البزازية، والعلامة صنع الله الحلبي المكي[٥] وصاحب البحر الرائق، وصاحب

(١) في البحر الرائق «وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام كأن يكون الإنسان غائباً أو مريضاً أو له حاجة ضرورية، فيأتي بعض الصلحاء فيجعل سره على رأسه فيقول يا سيدي فلان».

(٢) في البحر الرائق «فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الشمع كذا أو من الزيت كذا فهذا النذر باطل».

(٣) في البحر الرائق «في الأمور دون الله ـ تعالى ـ واعتقاده ذلك كفر».

(٤) البحر الرائق (٢/ ٢٩٨).

(٥) يعني في كتابه سيف الله على من كذب على أوليائه: «وأنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعة يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تنكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقررهم على ذلك من ادّعى العلم بمسائل وأمدهم بفتاوى ورسائل وأثبتوا للأولياء بزعمهم الإخبار عن الغيب بطريق الكشف بلا ريب أو بطريق الإلهام والمنام. وقالوا منهم أبدال ونقباء وأوتاداً ونجباء والقطب هو الغوث للناس وعلى المدار بلا التباس. وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيها الأجور. وهذا كما ترى كلام فيه إفراط وتفريط وغلو في الدين بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق. ومصادمة الكتاب العزيز المصدق. ومخالف لعقائد الأئمة، وما أجمعت عليه هذه الأمة، فكل بناء على غير أصولهم=

الدر المختار، وصاحب رد المحتار، والعلامة قاسم بن قطلوبغا، والعلاَّمة بير علي البركوي صاحب الطريقة المحمدية، وأبو سعيد الخادمي، ومولوي عبد الحي اللكهنوي في فتاويه، كما أسلفته، وغيرهم من المحققين ـ يرحمهم الله تعالى ـ أجمعين وجعلنا من زمرتهم آمين، وكذا ممن صرَّح به من علمائنا الحنفية العلاَّمة السيد أحمد الطحطاوي في حاشيته على الدر المختار. ومنهم العلاَّمة الشيخ أحمد الرومي الآقحصاري، فإنه صرَّح في رسالة القبور كما في المفيد.

خطورة الغلو في أصحاب القبور

إن كثيراً من القبور أوقعت كثيراً من الناس إما في الشرك الأكبر أو دونه، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو حجر، ولهذا تجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرّعون ويخشعون، ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلون مثلها في بيوت الله ـ سبحانه ـ، ثم إنهم يدعونهم ويطلبون الحوائج منهم مما يُعدّ مخالفة ظاهرة لكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله، ﷺ، وقال ابن الرومي في شرح المختار: قد قرر الشيطان في عقول الجهّال أن الإقسام على الله بالولي والدعاء به أبلغ في تعظيمه، وأنجح لقضاء حوائجه!! فأوقعهم بذلك في الشرك!!

خلاصة أقوال الحنفية

وبالجملة فإن المحقِّقين من علماء الحنفية سلفاً وخلفاً متفقون على هذه المسألة كما بينت نبذة منها، وإني قد كنت حرّرت هذه المسألة في رسالتي الموسومة بـ «العقود الدرية السلطانية فيما ينسب إلى الأيام النيروزية»، المطبوعة في مصر سنة ١٣٢٨هـ، وهذا نصها: «ومنها أي من البدع المألوفة التي ابتلي بها العوام بل الخواص، القول والاعتقاد بأن الأولياء المدفونين في المقابر التي بُنيت عليها القُبب يتصرفّون كيف

= تلبيس، وفي غير مناهجهم مخايل إبليس». ثم أطال الكلام في هذه المسألة وأفاد وأجاد جزاه الله خيراً وكان المصنف حلبي الإصل ومكي الوطن ألف كتابه المذكور سنة ١١١٢هـ.

يشاءون، والنّذر لهم قربة، فهو باطل لا طائل تحته، وإنما هم رجال صالحون ماتوا ولا يقدرون على أدنىٰ شيء إلا بإذن الله ـ تعالى ـ. ومن اعتقد أنهم يتصرّفون كيف شاءوا يخشىٰ عليه الكفر، بل هو شرك وكفر بلا تردّد. وأما النذر إليهم فلا يجوز، لأن النذر لا يكون إلا لله وحده، وما ينذر إلى ضرائحهم من الشّموع وغيرها لا يجوز. فالذين يجلسون على ضرائح أولئك الصلحاء أو يأكلون مما جاء من النذور وهم أغنياء، ويقولون هو نذر جدنا فلان، ويدّعون أنهم قُدوة الزّمان، فهؤلاء من حزب الشيطان، فالحذر كل الحذر، كما حقّقه الخير الرملي في فتاويه، وابن عابدين في حاشية الدر وغيرها.

وإني حينما كنت في بلدة غولجة من بلاد التركستان الصيني كنت ألّفت رسالتين باللغة التركية والفارسية، إحداهما: تحفة الأبرار. والأخرى: نظام الكسب والتجارة، وطبعتهما ونشرتهما هناك سنة ١٣٥١هـ، فكنت صرّحت فيها بهذه الجمل:

غير حق هرجه بود عاجز ومخلوق بود
خاه ملك خاه بشر خاه صغير ست جسيم
بس مكن تكيه توبر غير خدا أي مؤمن
جونكه هر غير بود عاقبة الأمر عديم
بس أكرمؤني[1] إذ غير خداكن أومّيد
استعانت بكن إذ حضرت معبود قديم

... إلخ.

يعني أن كل ما هو غير الله من المخلوقات فهو عاجز ومحتاج، سواء كان ملكاً أو بشراً أو صغيراً أو كبيراً، وإذا كان الأمر كذلك فلا تعتمد ولا تتوكل على غير الله ـ عز وجل ـ يا أيها المؤمن، لأن كل

(١) في الطبعة الهندية (أكرموني).

ما عدا الحق من الموجودات عاقبة أمره العدم، فاقطع رجاءك عن غير الله ـ تعالى ـ، واستعن في جميع شؤونك[١] بالله ـ تعالى ـ المعبود القديم. إلخ.

«إسلام ديني توحيد ألوهيت، وتوحيد ربوبيت غه مبني بولكان خالده. بزننك بخت وسعاد تيمزه قارشي تن برست حب جاه ورياست ومنصب وإمامتغه مبتلا أولان بعض علماء نمالار. وجمع مال وهواء نفس وبلاء بدعت[٢] غه كرفتار أولان وخوافات در يا سيغه غرق بولكان بعض مشائح نمالار. توحيد الله ارنينه توجه إلى القبور والاستعانة من أصحابها والنذر إليها، وبونكا أو خشاش لارغه مبتلا أولد يلار. وخلق الله نيده مبتلا[٣] ايدوب إضلال ايتديلدر وشول إيلان خسر الدنيا والآخرة أولوب تحت أقدام أغياره خارودرا (بولديلار).

يعني أن دين الإسلام إنما هو دين التوحيد، توحيد ألوهية، وتوحيد ربوبية. ولكن معاكسة لبختنا وسعادتنا، أن كثيراً من عباد الجاه والرياسة والمنصب والإمامة الذين ابتلوا بهذه البلية ممن يدَّعون العلم أو يزعمهم العوام أنهم علماء. والذين ابتلوا بحب جمع المال واتباع هوىٰ النفس، وبلاء البدع، بحيث غرقوا في ظلمة بحر الخرافات ممن يدعون المشيخة أو يزعمهم الناس أنهم المشائخ الصوفية أصحاب الولايات والكشوفات، فهؤلاء بدَّلوا توحيد الله بالتوجه إلى القبور، والاستعانة بأصحابها، والنذر إليها. وأمثال ذلك من الضلالات، وأضلوا عباد الله بتلك التُّرّهات، فاستحقوا خسران الدنيا والآخرة، حتى ذلوا تحت أقدام الأجانب.

وإني لما سافرت من بلدة غولجة ودخلت بلاد آقصو وختن وما والاها ورأيت غالب أهلها عباد القبور يطلبون قضاء حوائجهم ممن

(١) في الطبعة الهندية (شؤنك).
(٢) في الطبعة الهندية (بدعة).
(٣) في الطبعة الهندية (بتلا).

يعتقدونه من الأرواح الخاليات والأموات الرميمات، فوعظتهم ونصحتهم، وحذرتهم، وأنذرتهم، فمن جملة ذلك ما كتبته في منظومتي بالتركية التي ألفتها في ختن، وسميتها: (أئينئة تركستان):

حاجتن امواتدن سور كان كيشي
ميتي عالم كمان ايتكان كيشني
يا تصرف ايلديور ديكان كيشي
مصطفىٰ غه شول كيشي امت ميدور
يا رفاعي يا بهاء الدين ديكان
يا كه جيلاني يا غوثم ديكان
المدد غوثم مدد إيلانك ديكان
واعجب كيم أو شبولار مؤمن ميدور
حسبي الله معنى سي بيلكيل ندور
هم ينه إياك من حصري ندور
هم صمد من معنى سي بيلكيل ندور
أو شبولار من بيلما يان مسلم ميدور

يعني من طلب حاجته من الأموات، أو من ظن أن الميت يعلم الغيب، أو قال: إن الميت يتصرف في الأمور. هل هذا الرجل من أمة محمد المصطفى، ﷺ، ومن يقول منادياً للشيخ أحمد الرفاعي يا رفاعي كذا أو يقول يا بهاء الدين النقشبندي كذا، أو يقول يا عبد القادر الجيلاني أو يا غوث الأعظم كذا، نطلب منك المدد يا غوثنا أمددنا. واعجباً هل يكون قائل هذه الأقوال أو معتقدها مؤمناً. حقيقة القبوري

اعلم يا مسلم ما معنىٰ حسبي الله؟ وما معنىٰ إياك نعبد وإيَّاك نستعين؟ وما معنى قل هو الله أحد، الله الصمد؟ فمن لا يعلم معنى هذه هل يكون مسلماً؟ الجواب:

مصطفى في سنتي بيلمايان سنى ميدور

مصطفى في سنتي قلما يان أمت ميدور

يـوق يـوق والله يـوق كـاذب ابـرور

اوزيـنـي آلـداقـجي بـرخـائـن ابـرور

يعني الذي لا يعرف سنة رسول الله ﷺ هل يكون سنيًا والذي لا يعمل بسنة النبي، ﷺ، هل يكون أمة له ﷺ؟ لا ولا والله لا، إنه كاذب في دعواه أنه أمة له، ﷺ، وتابع له، وكاذب في دعواه الإيمان والإسلام. بل إنه خادع نفسه وخائن. كما لا يخفىٰ على كل مسلم صحيح الإسلام.

مسلما نميز وليكن دين إسلامي في بيلما يميز

حقيقت فايسي دور آنى خرافاتدن آير ما يميز

خيالاته أسير الدوف خرافاته فيليب عادت

مجوس عاد تلاري فابمس آنى حقيلة لما يميز

مجوس عادتلار ندور اشانماق روح امواته

اننكدن استعانت كفر وشر كدورآنى بيلما يميز

مرار لاردن مدد سورمك ديا آنلارغنة ندرايتمك

عبثدور شرك دور ممنوع دور بزآني بيلما يميز

ردختلارياكهتاشلارياكهجن لاردنمددسورمك

خيالاتحماقتدورعجباحمقحماقتميزالخ

آثار الجهل بحقيقة الإسلام

يعني نحن ندعي أننا مسلمون، ولكن ما نعرف حقيقة دين الإسلام، وما الحقيقة المطابقة لكتاب الله وسنة رسوله؟ لا نبحث عنها، فمن غلبة الجهل علينا ابتلينا بالخرافات بلا تمييز ولا إدراك، وقد صرنا أسرىٰ للخرافات بحيث صار الاعتماد على الخيالات عادة لنا، حتى ابتلينا بكثير من عادات المجوس ورسومهم، فمن جملة

عادات المجوس الاعتماد على أرواح الأموات، ولا شك أن طلب الاستعانة من أرواح الأموات كفر وشرك، ولكن نحن من غلبة الجهل لا نعلم ذلك. إن الاستمداد من المزارات وأصحاب الضرائح والقبب أو النذر إليها عبث وشرك، وممنوع في الدين الإسلامي، ولكن نحن ما نعرف ذلك. ولا يخفاك أن الاستمداد من الأشجار والأحجار أو الجن كما يفعل العامة من الجهل خيالات وحماقة، والعجب أننا من غلبة الحماقة ما نعرف ذلك. إلخ.

وكذلك كنت حرّرت ونشرت بالفارسية أموراً منبهاً بها أهالي تلك البلاد، فاهتدىٰ بعض من هداه الله ـ تعالى ـ فمن جملتها:

بهر دستور خدا داد بما[1] قرآترا
ليك ما غافل وخالي زعمل ميبينم
روزوشب كرده تلاوت شده قاري صوفي
صورة[2] قاريء جافي زعمل ميبينم
ظاهرا كرده تلاوت بمزارات قبور
أين تلاوت سبب رزق ورياء ميبينم
دين مابود فقط سنت قرآن خدا
بيشك وشبهة سعادت بهمين ميبينم
ديكران جهد نمودند وبمقصد رستند
ليك مايان همه أطراف قبوره ميبينم
بس كلهما كرده توجه بقببهاي قبور
حال ما جملة خرابي اذل ميبينم

هذا خلاصة ما ظفرت به، وتذكّرت الآن من كتب علمائنا

(١) في الطبعة الهندية (قرآن).
(٢) في الهندية (صورت).

الحنفية ـ رحمة الله عليهم ـ. وأما نصوص علماء الشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ فأذكرها هنا حسبما ظفرت به من الكتب التي في كتبخانة المسجد الجامع في بمبىء، ولو كنت في مكتبتي الخاصة الكائنة في خجندة لكنت أتيت بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك أقول لك إن القطرة تدل على البحر. فطالع يا أخي ما يقدم إليك:

من أقوال الحنابلة في شأن القبوريين

قال العلاَّمة ابن تيمية في الرد على البكري: «والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبيًا أو وليًا ليس مشروعاً، ولا هو من صالح الأعمال[1]. ولم يصح عن أحد من الصحابة[2] والسلف أنه فعل ذلك[3]. وقد وقع دعاء الأموات والغائبين لكثير من جهال الفقهاء والمفتين حتى لأقوام فيهم زهد وعبادة، ودين، ترى أحدهم يستغيث بمن يحسن به الظن حياً كان أو ميتاً، ومنهم من يذكر ذلك في نظمه ونثره، لا شك أن هذا الفعل كفر صريح[4]. سواء قدر أن الميت يسمع الخطاب من قريب أو بعيد، وقد يتمثل الشيطان بصورة المستغاث به، ويخاطبه، ويقضي بعض حوائجه، ويخبره ببعض الأمور الغائبة فيغتر الغر أنه المستغاث به فيقع في الضلال نعوذ بالله منه»!![5].

حكم الاستغاثة بغير الله

وفيه أيضاً: والاستغاثة هي طلب كشف الشدة، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيثه، فلا

(١) في كتاب الرد على البكري «الأعمال إذ لو كان مشروعاً أو حسناً من العمل لكانوا به أعلم وإليه أسبق».
(٢) كلمة (الصحابة) سقطت من كتاب الرد على البكري.
(٣) في كتاب الرد على البكري «ذلك فكلام هؤلاء يقتضي جواز سؤال الميت والغائب».
(٤) في كتاب الرد على البكري، ومنه ما هو منكر ظاهر سواء.
(٥) المصنف نقل هذا النص وتصرف فيه انظر: الرد على البكري من ص (٢٩، ٣٠).

يملك كشف الضر ولا تحويله. وقد قالوا لا يجوز الاستعاذة بمخلوق. ومن أعظم المبتدعين من جوز أن يستغاث بمخلوق الحي والميت في كل ما يستغاث فيه بالله - عز وجل -. وقد اتفق جميع أئمة المسلمين على أنه لا يُستغاث بالمخلوق في كل ما يستغاث الله فيه. بل الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله - تعالى - لا تطلب إلا منه. وهذا متفق عليه بين علماء المسلمين وما علمت إلى الآن خلافاً في ذلك بين الذين يستحقون الإفتاء.

وذكر شيخ الإسلام في كتاب التوحيد ص ١٦ - ١ أن النذر عبادة والعبادة لا تكون إلا لله وحده خاصة[١]. والأصل فيه قوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[٢]. الآية. وروى مسلم في صحيحه عن علي - رضي الله عنه - قال: حدَّثني رسول الله، ﷺ، بأربع كلمات: **«لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غيَّر منار الأرض»**[٣].

وروى أحمد في مسنده عن طارق بن شهاب - رضي الله عنه - أن رسول الله، ﷺ، قال: **«دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب»** قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما قرّب، قال: ليس عندي شيء أقرب. قالوا له قرب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً، فخلَّوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت**

---

(١) نقله المؤلف بالمعنى انظر: كتاب التوحيد باب من الشرك النذر لغير الله وفعله ص (٦٣) منشورات المؤسسة السعدية بالرياض.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: (١٦٢، ١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله (٣/ ١٥٦٧) ح (١٩٧٨)، والنسائي كتاب الضحايا باب من ذبح لغير الله (٧/ ٢٣٢) ح (٤٤٢٢) كلاهما من طريق عامر بن واثلة عن علي بن أبي طالب.

لأقرب لأحد شيئاً دون الله - عز وجل - فضربوا عنقه فدخل الجنة[١]. . .»[٢].

وفي صيانة الإنسان نقلاً عن كتاب تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للعلاَّمة محمد بن إسماعيل الصنعاني: «يلزم عليك أن تعتقد أن الله - تعالى - هو الرب الواحد الأحد، الذي له الخلق والأمر، وبيده الضر والنفع، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا عرفت هذا فمن اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله - تعالى -، أو أنه[٣] يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا أو نحو ذلك[٤] فإنه قد أشرك مع الله غيره. . . والنذر بالمال على الميت ونحوه والتوسل به[٥] وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان يفعله[٦] الجاهلية»[٧] ولا شك أن نداء الأموات والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة داخل في الشرك.

من مسائل الإيمان.

الاستغاثة الجائزة والممنوعة

قال العلاَّمة الشوكاني في الدر النضيد: «الاستغاثة بالغين المعجمة والثاء المثلثة[٨]، هي طلب الغوث[٩] وهو إزالة الشدة

---

(١) أخرجه أحمد في كتابه الزهد ص (١٥) من طريق ابن شهاب عن سلمان الفارسي وهو موقوف.

(٢) ما بين القوسين نقله المؤلف من باب ما جاء في الذبح لغير الله من كتاب التوحيد ص (٥٧).

(٣) في تطهير الاعتقاد (أو يشفع عنده).

(٤) قول المؤلف (أو نحو ذلك) غير موجود في كتاب تطهير الاعتقاد، ويشير بهذا إلى أنه اختصر كلام الأمير الصنعاني صاحب كتاب تطهير الاعتقاد.

(٥) في تطهير الاعتقاد (والنحر على قبره والتوسل به).

(٦) في تطهير الاعتقاد (كانت تفعله الجاهلية).

(٧) انظر: تطهير الاعتقاد ص (٢٧٧، ٢٧٨) ضمن مجموعة الرسائل الكمالية.

(٨) سقطت كلمة (والثاء المثلثة) من كتاب الدر النضيد.

(٩) في الدر النضيد (فهي).

كالاستنصار[١] ولا خلاف أنه يجوز أن يُستغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه[٢]، ومنه: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[٣]. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز[٤] أن يُستغاث فيه إلا بالله ـ تعالى ـ كغفران الذنوب والهداية وإنزال المطر والرزق ونحو ذلك...[٥]. ويجب على المكلّف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله ـ سبحانه ـ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[٦]. قال أبو يزيد البسطامي ـ رحمه الله تعالى ـ: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق!! وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي يرحمه الله تعالى ـ: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون!! وقد روى الإمام الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن رسول الله، ﷺ، منافق يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: قوموا بنا نستغيث برسول الله، ﷺ، من هذا المنافق، فقال ﷺ: «**إنَّه لا يُستغاث بي وإنَّما يُستغاثُ بالله**»[٧]. فمراده، ﷺ، أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ تعالى ـ. وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك، مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليُعينه على حمل حجر، أو يحول بينه وبين عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعاً صائلاً أو لصًا أو نحو ذلك. قال أبو عبد الله الحليمي ـ يرحمه الله تعالى ـ: الغياث هو المغيث،

---

(١) في الدر النضيد (كالاستنصار وهو طلب النصر).
(٢) في الدر النضيد (فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور ولا يحتاج مثل ذلك إلى الاستدلال فهو في غاية الوضوح، وما أظن يوجد فيه خلاف».
(٣) سورة القصص، الآية: (١٥).
(٤) في الدر النضيد «فلا يستغاث فيه إلا به».
(٥) أسقط المؤلف عشرة أسطر من كلام الشوكاني في الدر النضيد.
(٦) سورة الأنفال، الآية: (٩).
(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩) من حديث عبادة بن الصامت، قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق».

وغياث المستغيثين[١]، الله ـ تعالى ـ، فالاستغاثة من المخلوق فيما لا يقدر عليه لا يجوز، بل يكون كفراً إذا قامت عليه الحجة.

الاستعانة الجائزة والممنوعة

وأما الاستعانة بالعين المهملة والنون فهو[٢] طلب العون. ولا خلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا، كأن يستعين به أن يحمل معه متاعه، أو يعلف دابته، أو يُبلِّغ رسالته. كما في قوله ـ تعالى ـ[٣]: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٤]. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله ـ جل جلاله ـ فلا يستعان فيه إلا به ومنه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[٥]...»[٦].

عبادة القبور كفر أكبر.

وفيه ـ أيضاً ـ: «اعلم أن الرزية كل الرزية والبلية كل البلية[٧] ما صار يعتقده كثير من الناس من العوام وبعض الخواص في أهل القبور[٨]، من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ـ عز وجل ـ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك النفع والضرّ، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشّرك، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر»[٩]. ولا شك أن ما يفعله القبوريون من الاستغاثة

---

(١) في الدر النضيد: «وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم».

(٢) في الدر النضيد «فهي».

(٣) لم أقف على هذه الآية في طبعة الدر النضيد فهي غير موجودة.

(٤) سورة المائدة، الآية: (٢).

(٥) سورة الفاتحة، الآية: (٥).

(٦) الدر النضيد (١٤٤، ١٤٥، ١٤٦). ضمن الرسائل السلفيّة ط دار الكتاب العربي.

(٧) في الدر النضيد «البليّة أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة وذلك ما صار يعتقده».

(٨) في الدر النضيد «أهل القبور المعروفين بالصلاح من الأحياء».

(٩) الدر النضيد ص (١٥٠، ١٥١).

بالأموات ومناداتهم لقضاء الحاجات كفر صراح وشرك وضاح.

فإن قلت: إن المشركين لا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ﷺ، وهؤلاء المعتقدون في الأموات يقرّون بها[١]. قلنا هؤلاء إنما قالوا بألسنتهم[٢] وخالفوا بأفعالهم، فإن من استغاث بالأموات، أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ـ تعالى ـ[٣] فقد نزّلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنىٰ لا إلٰه إلا الله، ولا عمل بها، بل خالفها اعتقاداً وعملاً، فهو في قوله لا إلٰه إلا الله كاذب على نفسه، فإنه قد جعل إلٰهاً غير الله يعتقد أنه يضر وينفع، وعبده بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة[٤]. ومن قال لا إلٰه إلا الله وعكف على صنمه يعبده[٥] هل يكون هو مسلماً؟! إلخ»[٦]

قال العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير: «إن كفر هؤلاء المعتقدين للأموات هو من الكفر العملي، لا الكفر الجحودي فمن يدعو الأولياء ويهتف بهم عند الشدائد كان كفراً عملياً لا اعتقادياً[٧]، فإنه مؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر، لكن الشيطان زيّن له أن هؤلاء عباد الله

---

(١) في الدر النضيد «قلت».

(٢) في الدر النضيد «قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم».

(٣) في الدر النضيد «إلا الله ـ تعالى ـ وعظمهم أو نذر عليهم بجزء من ماله أو نحر لهم فقد نزلهم منزله».

(٤) في الدر النضيد: «عند الحاجة وبخضوعه له وتعظيمه إيّاه ونحره له النحائر وقرب له نفائس الأموال، وليس بمجرد قول لا إلٰه إلا الله من دون عمل بمعناها مثبتاً».

(٥) في الدر النضيد: «لم يكن ذلك إسلاماً».

(٦) الدر النضيد ص (١٦٦) ضمن الرسائل السلفيّة.

(٧) كلام عجيب! إذ كيف يعتقد الإنسان التصرف والنفع والضر وغير ذلك لمخلوق، ثم يقال أنه كفر عملي وليس اعتقاديًا؟ أليس هذا اعتقاداً منه بأن مخلوقاً يملك الضر والنفع؟ أليس هذا هو عين شرك الأقدمين الذين اتخذوهم فقط وسائط أو اعتقدوا فيهم نوع تصرف؟ هذا مع إقرارهم بالله وغير ذلك.

الصالحين ينفعون، ويشفعون ويضرون، فاعتقدوا ذلك كما اعتقد ذلك أهل الجاهليّة في الأصنام، فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم، وزجرهم ولو بالتعزير. ثم قال: فهذه كلها قبائح محرَّمة من أعمال الجاهلية فهو من الكفر العملي. هذا هو التحقيق من غير إفراط وتفريط إلخ».

حد القبوريون فاقوا مشركي الجاهلية.

قال في صيانة الإنسان «إن هؤلاء القبوريين قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم. وهو أن الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده. كما حكاه الله ـ تعالى ـ عنهم في آيات، بخلاف المعتقدين في الأموات، فإنهم إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور. وقلَّ من يستغيث بالله ـ سبحانه ـ وحده في تلك الحال»[١].

كلام الشوكاني

قال المحقق الشوكاني: «والذي نعتقده وندين به لله، أن من دعا ميتاً نبيًّا أو وليًّا أو غيرهما، وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، إن هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين»[٢].

كلام ابن عقيل

قال في الإقناع وشرحه: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر إجماعاً، لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام»[٣]. قال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي ـ يرحمه الله تعالى ـ: إن من يُعظِّم القبور ويُخاطب الموتىٰ بقضاء الحوائج، ويقول يا مولاي ويا سيدي عبد القادر افعل لي كذا فهو كافر بهذه الأوضاع، ومن دعا ميتاً وطلب قضاء الحوائج منه فهو كافر.

كلام ابن حجر

وقال العلاّمة ابن حجر في شرح الأربعين[٤] له: «من دعا

---

(١) ص (١٧٤) واختصره المصنف.
(٢) انظر: نحو هذا في رسائل الشوكاني، السلفية ص (١٥٠، ١٦٦، ١٨٤).
(٣) (١٦٨/٦).
(٤) المسمّى فتح المبين لشرح الأربعين، انظر: نحو من هذا في ص (١٧٤).

غير الله فهو كافر»[١].

كلام ابن تيمية

وقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في الرسالة السنية: «إن كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من إلٰهية مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارزقني أو اجبرني وأنا في حسبك ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب نجا وإلا قتل» اهـ.

وقال أيضاً: إن المسلم لا يطلب حاجته من غير الله فإن من طلب حاجته من ميت أو غائب فقد فارق الإسلام. لأن الشرك ينافي الإسلام. لأن الإسلام هو إسلام الوجه والقلب واللسان والأركان لله وحده دون ما سواه، فالمسلم المخلص يخلص دعاءه لله وحده. أسأل الله الهداية والتوفيق».

كلام الألوسي

قال العلاّمة السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي في جلاء العينين في محاكمة الأحمدين[٢] ما حاصله: «إن الاستغاثة بالصالحين لا شكّ في جوازها إذا كان المطلوب منه حيًّا، وأما من يقول ذلك للغائب أو الميت فلا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف».

صورة شركية عند القبور

ومن كتاب تعبيد الشيطان، قال شيخنا ـ قدَّس الله روحه ـ: «وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس، ولا شك أن هؤلاء من جنس عبَّاد الأصنام، وكذلك السجود للقبر وتقبيله.

إن هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون بهم من أماكن بعيدة، ومواضع مختلفة، معتقدين أن الأموات والغائبين يعلمون استغاثتهم، ويسمعون دعاءهم من كل مكان، وفي كل مكان،

---

(١) في الطبعة الهندية (كافر).

(٢) في الأصل (الأحمين).

ولا ريب أن هذا إثبات لعلم الغيب لهم، والذي هو من الصفات المختصة بالله ـ تعالى ـ فيكررون شركاً.

كلام ابن القيم

قال الحافظ ابن القيم في الإغاثة: «اعلم أن اعتقاد علم الغيب للميت والغائب واعتقاد علم الغيب لغير الله ـ تعالى ـ شرك وكفر. وأن من دعىٰ غير الله من الأموات وطلب قضاء الحوائج منه واعتقد أنه يعلم الغيب فقد كفر» وقد اتفق جميع أهل العلم في هذا التكفير، ولا أعلم أحداً من أهل السنة والجماعة على خلافه، منهم تقي الدين ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب الفتاوى البدازية، وصنع الله الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وصاحب الإقناع، وابن حجر المكي، وصاحب البحر الرائق والنهر الفائق، والإمام البكري الشافعي، والحافظ العماد بن كثير، وصاحب الصارم المنكي، والشيخ أحمد ناصر، والعلاّمة الإمام الحسن بن خالد، والشيخ محمد بن الحفظي، وغيرهم.

جماعة ممن أنكروا على القبوريين

حقيقة الشرك

قال المحقق الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه: (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي): «حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به»[1] في خصائص الألوهية، فمن خصائص الألوهية التفرّد بملك الضرّ والنفع، والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده. فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق. فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلٰهية السجود. فمن يسجد لغيره فقد شبه المخلوق به. ومنها التوكل فمن توكّل على غيره فقد شبّه به.

من الشركيات عند القبور

ومن مفاسد القبور الطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير

(١) نقله باختصار انظر: ص (٢٠٢) وفي مطبعة المدني ص (١٨٤).

الخدود عليها، وأخذ ترابها ودعاء أصحابها، والاستغاثة بها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وغير ذلك من الحاجات التي كان عبَّاد الأوثان يسألونها من أوثانهم. وليس شيء منها مشروعاً باتفاق المسلمين.

عدم مشروعية الدعاء والاستغاثة بغير الله إلا في المقدور عليه.

وفي المفيد في معرفة حق الله على العبيد: (قال شيخ الإسلام: نحن نعلم بالضرورة أن النبي، ﷺ، لم يُشرّع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها. كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت، ولا إلى ميت ونحو ذلك. بل نعلم يقيناً أنه نهىٰ عن هذه الأمور كلها. وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ.

الغلو في تعظيم الموتىٰ من أعظم مكائد الشيطان.

وإن من أعظم مكائد الشيطان على بني آدم قديماً وحديثاً إدخال الشرك فيهم في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم بتغيير اسمه، بالتوسل والتشفع ونحوه، فالمشرك مشرك شاء أم أبىٰ. والزنا زنا وإن سمي جماعاً. والخمر خمر وإن سمي شراباً. وكل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت. ويدخل فيه رؤوس الضلال، والكهّان، وسدنة الأوثان، إلى عباد القبور وغيرهم، بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال، الموهمة أن المقبور يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه نعوذ بالله منه وطابعه.

سبب وأصل الكفر عند بني آدم

من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره: وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[1]. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]. فلا أضل ممن دعا غير الله. وقد ثبت أن سبب كفر أكثر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، واتخاذهم شفعاء بدعائهم، وطلبهم، ورغبتهم والالتجاء إليهم، وهم

(١) سورة يونس، الآية: (١٠٦).
(٢) سورة الأحقاف، الآية: (٥).

أموات غافلون عنهم، لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوه منهم وأرادوه. وقد بيَّن الله - تعالى - أن دعوتهم غير الله شرك بالله. وأن المدعو غيره لا يملك شيئاً. وأنه لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب. وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ويتبرأ منه، ومن صاحبه يوم القيامة. ومن تأمَّل الآيات المذكورات انزاحت عنه - بتوفيق الله وفتحه - جميع الشبهات، في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله، واتخذه شفيعاً من دون الله، فيكون محروماً من سعادة الدنيا والآخرة.

من أنواع الشرك

قال ابن القيم في مدارج السالكين: «إن من أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا، فضلاً لمن[1] استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله»[2]. فهذا وقع بجهله في الضلال والخبال والنكال، فآل حاله إلى أسوأ الأحوال، وهؤلاء أعداء الله وأعداء الرسل في كل زمان ومكان، والمؤمن الموحد إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، وبالله ومع الله. وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله، ﷺ، قال له: **«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»**[3]. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[4]. فمن صرف ذلك لغير الله فقد عصى الله ورسوله وأشرك بالله.

---

(١) في مدارج السالكين (عمن).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧٥)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، والترمذي كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٦٧) ح (٢٥١٦). وابن السني في عمل اليوم والليلة جميعهم من طريق حنش الصنعاني عن ابن عباس، قال الترمذي (هذا حديث حسن صحيح) وقال ابن رجب في جامع العلوم (٢/ ٧٩) (فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة).

(٤) سورة الفاتحة، الآية: (٥).

حقيقة التوحيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده لا يدعو إلا هو، ولا يخشىٰ ولا يتقي إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، ولا يتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ؟! فمن دعا الشيخ بعد موته أو غيبته واستغاث به أو طلب منه الحوائج فكأنه شبهه بالله، فيخرج عن حقيقة التوحيد الذي أصله شهادة أن لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله. قال السائل: ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور، ويطلب منهم إزالة الألم، ويقول يا سيدي أنا في حسبك، وفين يستلم القبر[1] ويمرغ وجهه عليه، ويقول قضيت حاجتي ببركة الله وببركة الشيخ؟ الجواب: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[2]. فبيّن ـ سبحانه ـ أنه من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كان كافراً، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم أرباباً؟! فلا يجوز أن يقول لملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حيًّا أو ميتاً اغفر ذنبي وانصرني على عدوي، أو اشف مريضي أو ما أشبه ذلك. ومن سأل ذلك مخلوقاً أو كائناً من كان فهو مشرك بربه إلخ.

كلام محمد عبده ورشيد رضا فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً.

قال محقق المفسرين العلامة الشيخ محمد عبده وتلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا في سورة التوبة من تفسير المنار ص ٣٦٣ ـ ١٠: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3] الآية. الأحبار: جمع حبر[4]، وهو العالم. والرّهبان: جمع راهب، ومعناه في اللغة الخائف[5]. والمعنىٰ: اتخذ كل من اليهود والنصارىٰ رؤساء

(١) في الهندية (يسأل القبر).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (٨٠).
(٣) سورة التوبة، الآية: (٣١).
(٤) في تفسير المنار «حبر بفتح الحاء وكسرها وهو العالم من أهل الكتاب والرهبان جمع راهب».
(٥) (١٠/ ٣٦٣).

الدين فيهم أرباباً، فاليهود اتخذوا أحبارهم وهم علماء الدين فيهم أرباباً بما أعطوهم من حق التشريع فيهم، وأطاعوهم فيه. والنصارىٰ اتخذوا رهبانهم أي عبّادهم الذين يخضع العوام لهم أرباباً كذلك. والأظهر أن يكون المراد من الأحبار والرهبان جملة رجال الدّين في الفريقين أي من العلماء والعباد. وروى الترمذي وحسنه وأحمد وابن جرير عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ: «أنه لما قدم على النبي، ﷺ، سمع: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إيَّاهم**»[(١)] . . .»[(٢)].

رد كلام الله لكلام غيره عبادة لغير الله

قال الرازي في مفاتيح الغيب: «الأكثرون من المفسرين قالوا ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا[(٣)] أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم. قال الربيع: قلت لأبي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ فقال: إنهم ربما وجدوا من كتاب الله ما يخالف أقوال الأحبار والرهبان، فكانوا يأخذون بأقوالهم، وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله ـ تعالى ـ»[(٤)].

المستحق للعبادة هو الله ـ تعالى ـ وحده

فيا أيها الإخوان ـ أرشدكم الله وإياي ـ إن رب العالمين هو الخالق المربي عبيده بنعمه، ومدبر أمورهم بسننه، وشارع الدين لهم، فهو الإلٰه المعبود بالفعل، أي الذي تتوجه إليه قلوب العباد

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب: «ومن سورة التوبة» (٥/ ٢١٨) ح (٣٠٩٥). وابن جرير في التفسير (١٠/ ١١٤) والبيهقي في السنن (١٠/ ١١٦) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم، قال الترمذي: «حديث غريب» لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين، ليس بمعروف في الحديث».

(٢) (١٠/ ٣٦٤، ٣٦٥).

(٣) في تفسير الرازي. (اعتقدوا فيهم).

(٤) التفسير الكبير للرازي (٨/ ٣٠، ٣١) ط. دار الكتب العلمية.

بالأعمال النفسية والبدنية، رجاء الثواب، ومنع العقاب، عن اعتقاد أنه صاحب السلطان الأعلىٰ، والقدرة على النفع والضر، بالأسباب المعروفة، وغير المعروفة، إذ هو مسخرها، فالحقيق بالعبادة هو الرب الخالق المدبّر وحده. ولكن من البشر من يترك عبادته، ومنهم من يعبد غيره أو من دونه. وكانت العرب تتخذ أصناماً تعبدها، ولكنهم لم يتخذوها أرباباً، بل شهد القرآن بأنهم كانوا يعتقدون ويصرحون بأن الخالق لكل شيء هو رب كل شيء ومليكه، ومدبر أمره. وهو يحتج عليهم بأن الرب هو الحقيق بالعبادة وحده دون غيره، فلا ينبغي لهم أن يعبدوا أحداً من دونه، لا بشراً ولا مَلكاً، ولا شيئاً سُفليًا ولا عُلويًا.

فمن اعتقد أن إنساناً أو ملكاً أو غيرهما من الموجودات يخلق كما يخلق الله أو يقدر على تدبير شيء من أمور الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله ـ تعالى ـ العامة في الأسباب والمسببات كأمثاله من أبناء جنسه، فقد اتخذه ربًا. وكذلك من أعطىٰ أي إنسان حق التشريع الديني بوضع العبادات كالأوراد المبتدعة التي تتخذ شعائر موقوتة كالفرائض، فقد اتخذه ربًا. وأما إذا دعاه فيما لا يقدر عليه المخلوقون بما لهم من الكسب في دائرة السنن الكونية، والأسباب الدنيوية، أو سجد له أو ذبح القرابين له أو طاف بقبره وتمسح به وقبله تقرباً إليه وابتغاء مرضاته وعطفه أو إرضائه الله عنه، وتقريبه إليه زلفىٰ، ولم يعتقد مع هذا أنه يخلق ويرزق ويدبر أمور العباد فقد اتخذه إلٰهاً لا ربًا، فإن جمع بين الأمرين فهو المشرك في الربوبية والألوهية معاً.

وقال الإمام الشيخ أحمد السرهندي من المكتوب ٧٧ من المجلد الأول:

«وما عبدوا غير الإلٰه فباطل ... فيا ويل من يختار ما كان باطلاً

وعبادة الله الذي ليس كمثله شيء إنما تتيسر إذا تخلص العبد عن

رقية سواه ـ جل سلطانه ـ بالتمام، ولم تبق له[١] قبلة لِلتوجه[٢] غير الذات الأحديّة[٣]، وحصول هذه النعمة العظمى موقوف على كمال اتّباع شريعته ﷺ[٤]».

فيا أخي المنصف تدبّر في هذه المسألة، وأعمل عقلك وفكرك، فإنك عاقل مكلف، ولست بالجهل معذوراً، ولا بتقليد الجهلاء معفواً عنك، ويظهر لك الحق الصريح ظهور الشمس في رابعة النهار.

القول في مؤلف رسالة آه مهجوران

إن مؤلِّف (آه مهجوران) مشرك، وكافر، وضال، ومضل، خارج عن دين الإسلام، وقد حبط صومه وصلاته وحجه، وبانت منه منكوحته، فلا تجوز إمامته أصلاً، ولا الاقتداء به مطلقاً، ويجب عليه التوبة، وإعادة الصلاة والصوم والحج، وتجديد نكاح زوجته، ويجب على كل من صلّى خلفه مقتدياً به إعادة ما صلّى خلفه، كما هو مصرَّح به في كثير من معتبرات المذهب الحنفي فليراجع. وغالب الظن أن الله ـ تعالى ـ إنما غضب على أهل التركستان وبخارى والروسية وسلط عليهم البلاء الأحمر (أعني البلاشفة) بشؤم أمثال هذا المشرك المخادع الخائن لله ولرسوله ولجماعة المسلمين. وإني أخاف يا أهل بمبىء بل ويا أهل الهند نزول الطوفان الأحمر على هذه الديار بسبب شؤم هذا الضال المضل وأمثاله من عبّاد القبور، فعليكم أن تستيقظوا من رقدتكم. وتتنبهوا من غفلتكم، وتوبوا إلى ربكم، واسلكوا سبيل الله الذي بيّنه في كتابه الكريم، بواسطة نبيه الحكيم سيدنا، محمد عليه الصلاة والتسليم.

خطورة البدع الشركية على المسلمين.

مؤلف آه مهجوران أخبث حالاً من مشركي الجاهلية.

واعلموا يا أيها المسلمون ـ وفقني الله تعالى وإيّاكم لما يحبه

(١) (له) سقطت من كتاب المكتوبات.
(٢) في كتاب المكتوبات (التوجه).
(٣) حذف المصنف من كلام السرهندي ثمانية أسطر اختصاراً. انظر: كتاب المكتوبات (١/ ٨٩) طبعة تركيا.
(٤) المكتوبات (١/ ٨٩) طبعة تركيا.

ويرضاه ـ، أن محمود مؤلف (آه مهجوران) أخبث حالاً وأشد شركاً وكفراً من مشركي الجاهلية الذين ذمهم الله ـ تعالى ـ وأوعدهم، لأنهم كانوا يدعون الله ـ تعالى ـ وحده عند الشدائد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾[١] بخلاف المحمود فإنه إنما دعا عبد القادر الجيلاني وحده، وطلب منه كشف الشدائد، ودفع البلاشفة، فهو أشد كفراً وشركاً من كل المشركين، نعوذ بالله منه ومن شركه!!

سوء حال من اشترى دنياه بدينه.

وزيادة على هذا حكي عن بعض فضلاء التركستان الصيني، أعني الشيخ الحاج ملا عبد الجليل الكماوي: أنه لاقاه ووبخه على صنيعه فأجابه بأنه لما جاء إلى بمبيء رأىٰ أن جماعة يحبون الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويفدون إليه نفسهم ونفيسهم، فجلباً لقلوبهم ألّفت هذه الرسالة، وأظهرت مودتي للجيلاني، فأكرموني وجعلوني إماماً في هذا المسجد المعروف بـ (رنكاري)، ووظفوني كل شهر بمائة روبية، ولو لم أفعل هذه الرسالة لما حصلت لي هذه الوظيفة، إلخ. فانظروا إلى سوء عقيدة هذا الضال ونفاقه، وأنه كيف بذّل دينه بالدنيا فضلّ وأضل.

الواجب تجاه مؤلف آه مهجوران

فمن كان حاله هكذا، كيف ساغ لأهل مسجد رنكاري أن جعلوا هذا المشرك إماماً هناك؟ واقتدوا به، وصلّوا خلفه مقتدين به؟! ولا شك أن صلاته باطلة، فيجب على أهل المحلة وعلى كل من يصلي خلفه أن يعزلوه عن الإمامة، ويعيدوا الصلوات التي صلوها خلفه مقتدين به، وما على الرسول إلا البلاغ، وما على المسلم إلا النصيحة.

تنبيه: ولا يظن ظان أني أسيء الظن أو أسيء الأدب مع الشيخ العارف بالله ـ تعالى ـ عبد القادر الجيلاني، ـ رحمه الله تعالى ـ حاشا

(١) سورة لقمان، الآية: (٣٢).

تصحيح بخصوص الشيخ عبد القادر الجيلاني وكلمة إنصاف في حق الصالحين من القبوريين

وكلاً، ثم حاشا وكلا، والله إني من محبيه، فإني أحب كل الصالحين والعلماء العاملين الراسخين حبًّا لله - سبحانه - وأبغض المشركين والمفسدين والضالين الدجالين بغضاً في الله - عز وجل -، لكون الحب في الله والبغض في الله من شعب الإيمان، ولكني أنزِّه[١] المخلوق من حيث إنه مخلوق في درجته، وإن كان نبيًّا، وهي درجة العجز والفقر إلى الله وأخص الله - تعالى - الخالق رب العالمين - جل جلاله - بما يليق به من صفات الألوهية من القدرة والكمال، كما هو معتقد. ومذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالحين، ومعتقدي في حق الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكذا سائر الصالحين، - يرحمهم الله تعالى - أنهم من عباد الله الصالحين، قد عرفوا الله - تعالى - وعبدوه، وحصل ما حصل لهم مما يعلمه الله - تعالى - من الثواب والدرجة عند الله عز وجل وقد ماتوا وفازوا برحمة الله تعالى على طريق حسن الظن لا الجزم واليقين، وكانت لهم كرامات وخوارق عادات في حياتهم، وخدموا الدين الإسلامي، والشرع المحمدي حسب استطاعتهم. وأما التصرف في الكون أو علم الغيب فليس لهم من ذلك شيء، لأنه من خصائص الألوهية، وإني أنظر إلى حضراتهم بالإكرام والاحترام، والدعاء بالرحمة والغفران، وهذا هو الحق الذي لا يكون وراءه إلاَّ الضلال.

نصيحة المسلمين

إني أنصح إخواني المسلمين كافة بموجب (الدين النصيحة)[٢] أن يعتقدوا الله الخالق - عز وجل - حيًّا عليماً قيوماً قادراً بصيراً، وأن

---

(١) في الهندية (أنزل المخلوق).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٤) ح (٥٥) وأبو داود في الآداب باب في النصيحة (٥/ ٢٣٣) ح (٤٩٤٤) والنسائي في البيعة باب النصيحة للإمام (٧/ ١٥٦) ح (٤١٩٧) جميعهم من طريق عطاء بن يزيد عن تميم الداري وأخرجه الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في النصيحة (٤/ ٣٢٤) ح (١٩٢٦). والنسائي في البيعة باب النصيحة للإمام (٧/ ١٥٧) ح (٤١٩٩) كلاهما من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

يعتقدوا المخلوق أيًا كان عاجزاً فقيراً محتاجاً إلى الله ـ تعالى ـ، وهذا هو الحق والسلام. والله إني أحب لإخواني المسلمين كافة ما أحب لنفسي، وأبغض لهم ما أبغض لنفسي، والله على ما أقول شهيد، فهو حسبي وعليه اعتمادي.

إضافة إلى ما تقدم ذكره من الرد على القبورية

تكميل: وفي كتاب التوحيد، إن من الشرك[(١)] أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره[(٢)]، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[(٣)]. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[(٤)]. وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي، ﷺ، منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله، ﷺ، من هذا المنافق فقال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بي وإنما يُستغاث بالله**[(٥)]»[(٦)]. كما مرَّ بيانه.

وفيه ـ أيضاً ـ: «أن[(٧)] سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين»[(٨)]. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[(٩)]. وفي الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾. قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلى قومهم أن انصبُوا إلى مجالسهم التي

---

(١) في كتاب التوحيد (باب من الشرك).
(٢) في كتاب التوحيد (وقول الله).
(٣) سورة يونس، الآيتان: (١٠٦، ١٠٧).
(٤) سورة الأحقاف، الآية: (٥).
(٥) تقدَّم تخريجه ص٣٢٩.
(٦) كتاب التوحيد ص (٦٦).
(٧) في كتاب التوحيد (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم).
(٨) في كتاب التوحيد (وقول الله ـ عز وجل ـ).
(٩) سورة النساء، الآية: (١٧١).

كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم فعبدت»[(١)]. قال ابن القيم[(٢)]: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»[(٣)]، (وفيه أن أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين ومحبتهم، وأن البدعة تكون سبب الكفر)[(٤)].

لعن متخذي المساجد على القبور

وفي الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ذكرت لرسول الله، ﷺ، كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور. فقال: «**أُولَئِكَ إذا مات فِيهم الرَّجُلُ الصالحُ أو العبد الصَّالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله**»[(٥)]. وقال ﷺ: «**لَعْنَةُ الله على اليهود والنَّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٦)] يحذر ما صنعوا، أخرجه الشيخان.

قلت: ففي هذه الآثار والأحاديث عبرة لمن اعتبر أن تعظيم

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب «ودًّا ولا سُوَاعاً ولا يغوثَ ويَعُوقَ» (٨/ ٦٦٧)، ح (٤٩٢٠) من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٢) في كتاب التوحيد (وقال ابن القيم).

(٣) كتاب التوحيد باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ص (٨٦).

(٤) انظر: كتاب التوحيد ص (٨٧، ٨٨).

(٥) أخرجه البخاري كتاب (الصلاة) باب: (هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟) (١/ ٥٢٣) ح (٤٢٧) ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٥) ح (٥٢٨) كلاهما من طريق هشام عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٦) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب الصلاة في البيعة (١/ ٥٣٢) ح (٤٣٦)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٧) ح (٥٣١). كلاهما من طريق عبيد الله بن عبد الله عن عائشة وابن عباس.

القبور وأصحابها والعكوف عليها والتوجه إليها والاستمداد منها هو أصل الشرك، فيما يفعله الجهلة بل من هو في زي الصالحين ولباس أهل العلم من العكوف على القبور والتوجه إليها، والنذر لها، والاستمداد منها، كغالب أهل بخارى وأفغانستان والهند، وخصوصاً واقعة أجمعير وبغداد ومصر ودمشق وغيرها فمصيبة عظيمة، وبلاء جسيم، موجبة لمقت الله وغضبه، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وشر وساوس شياطين الجن والإنس من الأئمة الدجّالين والشيوخ الكذّابين.

الكلام على رسالة نفثة مهجور.

هذا هو جواب ما في آه مهجوران. وأما ما تفوّه به في رسالته الملعونة «أنة مهجور ونفثة مصدور»، فأقول وبالله الهداية والتوفيق: قد طالعتها ـ أيضاً ـ فرأيتها مملوءة بالأقوال التي يكون قائلها وفاعلها وقارئها الراضي بها من الآثمين، ومن حزب الفاسقين. نسأل الله السلامة والعفو. قال في ابتداء نشيدته:

بالنجم أقسم يا عذول إذا هوى　　　والليل والشمس المنيرة والضحى

إقسام المؤلف مهجور بالأيمان المحرمة

فاعلم أولاً أن أمثال هذه الأقسام والأيمان مختصة بالله ـ تعالى ـ، فلا يجوز لمسلم أن يقسم به دون الله تعالى، وهذا الناظم الجاهل كأنه جعل نفسه الخبيثة شريكاً لله العلي الكبير، وهذا شرك بنص الحديث النبوي الصحيح كما سأبينه ـ إن شاء الله تعالى ـ، وثانياً أنه ادَّعىٰ أنه في مذهب أبي حنيفة ـ يرحمه الله تعالى ـ، والحال أن مذهبه ومذهب أصحابه وكذا مذاهب سائر أئمة المسلمين بريء منه، لأنه قد صُرّح في جميع كتب الحنفية متوناً وشروحاً وفتاوى أنه لا يجوز القسم بغير اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ، وها أنا أُحرّر لك نصوص المذهب بحول الله وقوته.

حكم الحلف بغير الله

وقد كنت حرّرت في مادة (٣٦٩) من كتابي: (حبل الشرع المتين) خلاصة المذهب، أن الحلف بغير الله لا يجوز، ولا يصح القسم ولا يكون حالفاً أصلاً، كالنبي أو الكعبة أو الأولياء أو النصب

أو برأسك أو بحياتك أو نحو ذلك، وهو حرام وكبيرة، لما أخرجه الترمذي في سننه، والحاكم في المستدرك، وأحمد في مسنده، والسيوطي في الصغير عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلَفَ بِغَير الله فقد أشْركَ**»(١). وفي رواية: «**كلُّ يَمِينٍ يُحْلفُ بِهَا دُونَ الله تَعَالى شِرْكٌ**»(٢). ولما أخرجه الديلمي في الفردوس، وابن عساكر والعلاء(٣) المتقي في منتخب كنز العمال عن أبي هريرة ويزيد بن سنان ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**من حَلَفَ بِغير الله ـ عزَّ وجل ـ فلَيس مِنَّا**»(٤).

و «**لاَ يَحْلف أَحَدُكُمْ بالْكَعْبة فإنَّ ذَلِكَ شِرْكٌ. وَلْيَقُلْ وربِ الكعبة**»(٥). وذلك مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ـ يرحمهم الله ـ. قال العلاّمة أحمد ابن حجر المكي في الزواجر في النهي عن اقتراف الكبائر: الكبيرة (٤١٢)(٦) الحلف بغير الله: «ومن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٦٩، ٨٦)، وأبو داود كتاب الأيمان والنذور باب كراهية الحلف بالآباء (٣/ ٥٧٠) ح (٣٢٥١) والترمذي كتاب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (٤/ ١١٠) والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٩) والحاكم في المستدرك (١/ ١٨) جميعهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر ولفظه عند الترمذي والبيهقي (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)! ولفظه عند الحاكم (من حلف بغير الله كفر)! قال الترمذي على إثره (هذا حديث حسن)، وقال الحاكم: (هذا حديث على شرط الشيخين فقد احتجا بمثل هذا الإسناد).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٨) من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٢٨٨)، وقال: (حديث صحيح)، وكذا الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٤٥٦٧).

(٣) العلاء المتقي لم يخرجه في كنز العمال بسنده وإنما أورده بدون إسناد.

(٤) أخرجه الديلمي كما في كنز العمال (١٦/ ٦٨٩) ح (٤٦٣٤٢). من حديث أبي هريرة ولفظه: «من حلف بغير الله عز وجل فليس من الله».

(٥) أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال (١٦/ ٦٩٠) ح (٦٣٤٩). من حديث يزيد بن سنان ولفظه: «لا يحلف أحدكم بالكعبة..» الحديث.

(٦) في الزواجر: «الكبيرة الثانية والثالثة والرابعة بعد الأربعمائة».

جملته[١] اليمين الغموس! والحلف بغير الله - عز جل - كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والأمانة ونحوها، وهي من أشدها نهياً[٢]، وتربة فلان وغيرها[٣]، والدليل ما أخرجه الشيخان وغيرهما: «**إن الله ينهاكم أن تَحْلِفُوا بآبائكم فَمَنْ كانَ حَالفاً فلْيَحْلِفْ باللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[٤]. وفي مسلم: «**لاَ تَحْلِفُوا بالطَّوَاغِي وَلاَ بِآبَائِكُمْ**»[٥]. والطواغي جمع طاغية، وهي الصنم[٦]. وعن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أنه سمع رجلاً يقول لا والكعبة، فقال: لا يُحلف[٧] بغير الله. فإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**مَن حَلَفَ بِغيرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[٨]. وقال بعض أئمة[٩] الشافعية: «إن الحلف بغير الله مكروه، وإن اعتقد التعظيم لذلك فحينئذ كفر»[١٠]. وهكذا رواه الترمذي وحسّنه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه صححه إلخ.

---

(١) في الزواجر: «ومن جملة ذلك أي اليمين الغموس الحلف بغير الله».

(٢) في الزواجر: «وهي من أشدها نهياً، والروح والرأس وحياة السلطان، ونعمة السلطان وتربة فلان».

(٣) قول المؤلف (وغيرها) يشير إلى أنه اختصر كلام ابن حجر.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم (١١/٦٣٨) ح (٦٦٤٦) ومسلم في كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله (٣/١٢٦٦) ح (١٦٤٦) من طريق نافع عن عبد الله بن عمر.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الأيمان باب من حلف باللات والعزى (٣/١٢٦٨) ح (١٦٤٨) من طريق الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعاً.

(٦) في الزواجر: (والطواغي: جمع طاغية، وهي الصنم، ومنه الحديث هذه طاغية دوس أي صنمهم ومعبودهم).

(٧) في الزواجر: (لا تحلف).

(٨) تقدّم تخريجه ص ٣٤٦.

(٩) في الزواجر: «وكلام أئمتنا لا يساعد ذلك لأنهم أطلقوا أن الحلف بغير الله مكروه، نعم إن اعتقد له من العظمة بالحلف ما يعتقده لله تعالى كان الحلف حينئذ كفراً! وهو محل حديث ابن عمر السابق».

(١٠) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيثمي ص (٦١٧) ط. دار الشعب بمصر.

من أقوال العلماء في الحلف بغير الله

قال ابن عابدين في رد المحتار «وهل يكره الحلف بغير الله - تعالى -؟ قيل نعم للنهي»[١]. ثم ذكر أقوالاً عجيبة سخيفة في مقابلة النص، وهي كلها مردودة بالنص، ثم قال: «وأما إقسامه - تعالى - بغيره كالضحى والنجم والليل فقالوا: إنه مختص به - تعالى - إذ له أن يعظم ما شاء، وليس لنا ذلك بعد أن نهينا عنه»[٢]. إلخ.

قال الإمام العلاَّمة الحافظ ابن كثير في تفسيره في والنجم، عن رواية ابن أبي حاتم: «قال الشعبي وغيره: الخالق يُقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يُقسم إلا بالخالق»[٣]. إلخ.

وقال ابن القيم في الجواب الكافي: (ومن الشرك به - سبحانه - الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره، كما رواه أحمد وأبو داود عنه، ﷺ، أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ...**»[٤]. رواه الترمذي. إلخ[٥].

وفي المفيد في مجموعة التوحيد أن الحلف بغير الله شرك، وأن الحلف بغير الله صادقاً أكبر من اليمين الغموس، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله، ﷺ، قال: «**من حَلَفَ بِغيرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشركَ**»[٦]. رواه الترمذي. إلخ.

وبالجملة فإن الأدلَّة المانعة عن الحلف بغير الله أكثر من أن تُحصر، وذكرها كلها يطول، فما بينا يكفي لأهل الدين والعقول، فثبت بهذه الدلائل القاطعة أن المحمود كما كان كفر بما قاله في

(١) رد المحتار مع حاشية ابن عابدين (٣/ ٧٥٠).
(٢) رد المحتار مع حاشية ابن عابدين (٣/ ٧٠٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٤١).
(٤) تقدَّم تخريجه ص٣٤٦.
(٥) الجواب الكافي ص (١٨٣) مطبعة المدني.
(٦) تقدَّم تخريجه ص٣٤٦.

رسالته «آه مهجوران». كذلك كفر وأشرك بحلفه بغير الله في أول رسالته: «أنّة مهجور ونفثة مصدور». ومع هذا صار هذا الضال سبباً لضلال كثير من العوام ضعفة العقول الذين صدقوا ما قاله. نعوذ بالله منه ومن أضرابه.

خاتمة الكتاب وذم الشعراء

(خاتمة): اعلم أن الله ـ تعالى ـ ذم في كتابه الكريم الشعراء، وأفاد أنهم كذبة خونة خذلة، كما قال في سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾(١)، وفي صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند أحمد عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، عن النبي، ﷺ، أنه قال: **«لأن يَمْتَلِىءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيحاً خيرٌ له مِنْ أَنْ يَمْتَلِىء شِعْراً»**(٢). وفي رواية: **«لأن يَمْتَلىءَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيحاً حَتَّى يَرِيَه خَيرٌ لهُ مِنْ أَنْ يَمْتلىء شِعْراً»**(٣)، وروى مسلم وأحمد عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله، ﷺ، بالعرج إذْ عرض شاعر يُنشد، فقال رسول الله ﷺ: **«خُذُوا الشَّيطَانَ أَوْ أَمسِكُوا الشَّيطَانَ لأن يمتلىءَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيحاً خيرٌ لهُ مِنْ أَنْ يَمْتلىء شعراً»**(٤). الحديث. وقد ذكر المفسرون أن الشعر المذموم ما فيه الذم المفرط أو المدح المفرط، وما فيه الكفر والشرك والضّلال والإضلال. وأنت تأمل

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: (٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر (١٠/٥٦٤) ح (٦١٥٤) من حديث سالم عن ابن عمر مرفوعاً.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر (١٠/٥٤٨) ح (٦١٥٥) ومسلم في كتاب الشعر (٤/١٧٦٩) ح (٢٢٥٧). كلاهما من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه مسلم في الشعر (٤/١٧٦٩ ـ ١٧٧٠) ح (٢٢٥٩) وأحمد في المسند (٣/٨) كلاهما من طريق يخنس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد الخدري.

هوامش القسم الثاني من كتاب حكم الله الواحد الصمد من ص ١ ـ ٧٣

وتدبَّر فيما قاله المحمود النمنكاني الطرازي من الشعر، يظهر لك حكمه بداهة، أنه من الغاوين. وإذا لم يكن هذا غاوياً وفي كل منكر هائماً فمن يكون؟، وإذا لم يكن جوف هذا ممتلئاً قيحاً ورجساً ونجساً فمن يكون؟! وإذا لم يكن هذا شيطاناً مضلاً فمن يكون؟! فتفكّروا يا أيها العقلاء، وتدبّروا يا أيها الفضلاء، واجتنبوا هذا المفسد المضلّ وأمثاله، وأضرابه، لعلّكم تُرحمون وتُفلحون. أهلك الله المفسدين، وهدىٰ الله الغافلين، وكثّر الله المصلحين رزقني الله - تعالى - والمسلمين كافة الصواب والثواب، فيا ربِّ إيَّاك أعبد وإيَّاك أستعين، فاهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من الأنبياء والمرسلين، والصديقين والصالحين، غير المغضوب عليهم ولا الضّالين من اليهود والنصارىٰ والمشركين والمنافقين، والزنادقة والملاحدة والمبتدعين، آمين يا رب العالمين.

حرره الفقير إلى ألطاف مولاه القدير، أبو عبد الكريم محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي السلفي، كان الله - تعالى - له ولوالديه ولأشياخه وأحبابه.

وكان ذلك في (٢٨) رمضان المبارك سنة ١٣٥٣هـ (٦) جنوري سنة ١٩٣٥م في بلدة بمبىء الهند في دار المسافرين التي بناها المحسن الكبير حاجي صابو صديق - يرحمه الله تعالى -.

المجالس الأربعة

من

مجالس الأبرار

تأليف:

أحمد الرومي الحنفي

المتوفى سنة ١٠٤٣هـ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[٣].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسنَ الهدي هدي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء، الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

محمد، ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد.

فإن أحمد بن محمد الرومي الحنفي شرح مائة حديث من «المصابيح» للبغوي سماه: «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار». وهو مطبوع طبعة حجرية قديمة مع ترجمتها إلى الأوردية للشيخ سبحان بخش الهندي. وسمى ترجمته بـ «خزينة الأسرار».

وقد ترجمه إلى الأوردية ـ أيضاً ـ الشيخ محمد إبراهيم الرانديري السورتي الهندي، وسمى ترجمته بـ «نفائس الأزهار».

ولقد اعتنى العلماء من الحنفية بهذا الكتاب، وأثنوا عليه وعلى مؤلفه، كالشاه عبد العزيز الدهلوي، والمفتي كفاية الله الحنفي وغيرهما[1].

ولثناء علماء الحنفية على هذا الكتاب انتخبت أربعة مجالس منه، رأيت فيها فائدة كبيرة للمسلمين ومنفعة لهم، وهم في أمسّ الحاجة إلى معرفة ما ورد فيها، خصوصاً بعد انتشاء القبورية في مناطق كثيرة من بلدان العالم الإسلامي.

١ ـ اتخذت الطبعة الحجرية أصلاً لعدم وقوفي على أصل المخطوط.

٢ ـ ترجمة موجزة للمؤلف.

٣ ـ عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٤ ـ تخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجتها ما أمكن.

٥ ـ وضع عناوين جانبية توضح ما في الكتاب.

---

(١) انظر: مقدمة نفائس الأزهار، ص (٣٦).

والله أسأل القبول، وهو من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه

محمد بن عبد الرحمن الخميس

التعريف بالمؤلف

هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي، ويعرف بالرومي، من علماء الدولة العثمانية، وله تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة تدريساً وإفتاءً وتصنيفاً.

ومن تصانيفه:

١ ـ حاشية على تفسير أبي السعود.

٢ ـ دقائق الحقائق.

٣ ـ شرح الدر اليتيم في التجويد.

٤ ـ مجالس الأبرار ومسالك الأخيار في شرح مائة حديث من المصابيح.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٠٤٣ هـ[١].

(١) انظر: ترجمته في: هداية العارفين (١/١٥٧) ومعجم المؤلفين لكحالة (٢/٨٣).

المجلس الأول
وهو السابع عشر في الأصل
في بيان عدم جواز الصلاة عند القبور والاستمداد من أهلها واتخاذ السروج والشموع عليها

الدعاء باللعنة لمشركي القبور

قال رسول الله ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**(١). هذا الحديث من صحاح المصابيح، روته أم المؤمنين عائشة، وسبب دعائه، عليه الصلاة والسلام، على اليهود والنصارى باللعنة أنهم كانوا يُصلّون في المواضع التي دفن فيها أنبياؤهم؛ إما نظراً منهم بأن السجود لقبورهم تعظيم لهم، وهذا شرك جلي، ولهذا قال النبي ﷺ: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»**(٢). أو ظنًا منهم بأن التوجه إلى قبورهم بالصلاة أعظم وقعاً عند الله ـ تعالى ـ

النهي عن اتخاذ القبور مساجد

---

(١) البخاري (٧/٧٤٧) ح (٤٤٤٣) في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته. مسلم (١/٣٧٧) ح (٥٣١)، في المساجد، ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور. كلاهما من حديث عبيد الله بن عبد الله عن عائشة، وابن عباس مرفوعاً.

(٢) أحمد (٢/٢٤٦) بدون قوله (يعبد) من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً. ومالك (١/١٧٢) ح (٨٥)، في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة من رواية عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً. وعبد الرزاق (٨/٤٦٤) ح (١٥٩١٦) من طريق صفوان بن سليم وعن سعيد بن أبي سعيد مولى المهري مرفوعاً ومرسلاً أيضاً.

لاشتماله على أمرين عبادة الله ـ تعالى ـ وتعظيم أنبيائه، وهذا شرك خفي، ولهذا نهى النبي، ﷺ، أمته عن الصلاة في المقابر احترازاً عن مشابهتهم بهم، وإن كان القصدان مختلفَيْن. وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[١]. قال بعض المحقّقين: والصلاة في المواضع المتبركة من مقابر الصّالحين داخلة في هذا النهي، لا سيما إذا كان الباعث عليها تعظيم هؤلاء، لما في ذلك من الشّرك الخفي، فإن مبتدأ عبادة الأصنام كان في قوم نوح النبي عليه السلام، من جهة عكوفهم على القبور، كما أخبر الله ـ تعالى ـ، في كتابه بقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[٢].

قال ابن عباس وغيره من السّلف: كان هؤلاء من القوم الصالحين في قوم نوح النبي عليه السلام، لما ماتوا عكف الناس على قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم[٣]. هذا هو مبتدأ عبادة الأصنام، وقال ابن القيم في إغاثته نقلاً عن شيخه: إن هذه العلّة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ القبور مساجد هي التي أوقعت كثيراً من الناس إما في الشّرك الأكبر أو فيما دونه من الشّرك، فإن الشّرك بقبر الرّجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشّرك بشجر أو حجر، ولهذا تجد كثيراً من الناس عند القبور

(١) مسلم (١/ ٣٧٧) ح (٥٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، من حديث عبد الله بن الحارث النجراني عن جندب ـ رضي الله عنه ـ بتمامه. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٤٠) من أول قوله: «إن من كان قبلكم».

(٢) سورة نوح، الآيات: (٢١ ـ ٢٣).

(٣) البخاري (٨/ ٥٣٥) ح (٤٩٢٠) في التفسير باب (ودًّا ولا سُواعاً ولا يَغُوث ويَعُوق) من رواية عطاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

يتضرّعون ويخشعون، ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلون مثلها في بيوت الله ـ تعالى ـ، ولا في وقت السّحر، ويرجون من بركة الصّلاة عندها، والدّعاء لديها، ما لا يرجون في المساجد. فلحسم مادة هذه المفسدة، نهى[1] النبي عليه الصلاة والسلام، عن الصّلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بصلاته فيها بركة البقعة، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها، ووقت استوائها، لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة للشمس فيها، فنهى أمّته عن الصلاة فيها، وإن لم يقصدوا ما قصده المشركون، وإذا قصد الرّجل الصلاة عند المقبرة تبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ـ تعالى ـ، ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله ـ تعالى ـ، فإن العبادات مبناها على الاستنان والاتباع لا على الهواء والابتداع، فإن المسلمين أجمعوا على ما علموه من دين نبيهم، أن الصلاة عند المقبرة منهي عنها، لأن فتنة الشّرك بالصلاة فيها ومشابهة عبادة الأصنام، أعظم كثيراً من مفسدة الصلاة حين طلوع الشمس، وحين غروبها، وحين استوائها. فإنه عليه الصلاة والسلام، لما نهى عن تلك المفسدة؛ سدًّا لذريعة التَّشَبُّه التي لا تكاد تخطر ببال المصلّي، فكيف بهذه الذريعة التي كثيراً ما تدعو صاحبها إلى الشرك

بنى العبادة على الاتباع لا الابتداع

(١) كما في قوله ﷺ: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمّام». أحمد (٣/ ٨٣، ٩٦)، أبو داود (١/ ٣٣٠) ح (٤٩٢) في الصلاة، باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة. الترمذي (٢/ ١٣١) ح (٣١٧) في الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام. وقال: وهذا حديث فيه اضطراب، وأخرجه ابن ماجه (١/ ٢٤٦) ح (٧٤٥) في المساجد والجماعات، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة وابن حبان (٣/ ١٠٣) ح (١٦٩٧) و ((٤/ ٣٢) ح (٢٣١٢) و (٤/ ٣٣) ح (٢٣١٦) (إحسان). والحاكم (١/ ٢٥١) وقال بعد إيراد هذه الأسانيد كلها صحيحة على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي جميعهم من طريق عمرو بن يحيى الأنصاري عن أبيه عن أبي سعيد مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥٣٦) ح (٢٧٦٧)، وغيره من الأحاديث الصحيحة.

بدعاء الأولياء وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل من الصلاة في المساجد، وغير ذلك مما هو محادة ظاهرة لله ـ تعالى ـ، ولرسوله.

قال ابن القيم في إغاثته: (من جمع بين سنة رسول الله عليه السلام، في القبور، وما أمر به، وما نهى عنه، وما كان عليه الصحابة والتابعون، وبين ما كان عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًا للآخر ومناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً، فإنه عليه السلام، نهى عن الصلاة عندها، وهم يُخالفون ويُصلون عندها، ونهى عن اتخاذ المساجد عليها، وهم يُخالفونه ويبنون عليها مساجد، ويُسمونها مشاهد، ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهم يُخالفون ويُوقدون عليها القناديل والشموع، بل يقفون لذلك أوقافاً. ونهى عن تجصيصها والبناء عليها، وهم يُخالفونه ويجصصونها، ويعقدون عليها القباب، ونهى عن الكتابة عليها، وهم يُخالفونه، ويتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى عن الزيادة عليها غير ترابها، وهم يُخالفونه ويزيدون عليها سوى التراب الآجر والأحجار والجص، ونهى عن اتخاذها عيداً، وهم يُخالفونه، ويتخذونها عيداً، ويجتمعون لها كما يجتمعون للعيد، أو أكثر. والحاصل أنهم مناقضون لما أمر به النبي عليه السلام، ونهى عنه، ومحادّون لما جاء به، وقد آل الأمر بهؤلاء الضّالين المضلّين إلى أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه: «مناسك حج المشاهد» تشبيهاً منه للقبور بالبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عُبّاد الأصنام! فانظر إلى ما بين ما شرعه النبي عليه السلام، في القبور من النهي عما تقدّم ذكره، وبين ما شرعه هؤلاء وما قصدوه من التباين العظيم! ولا ريب أن في ذلك من الفساد ما يعجز الإنسان عن حصره، منها تعظيمها الموْقع في الافتتان بها، ومنها تفضيلها على المساجد التي هي خير البقاع وأحبها إلى الله، فإنهم إذا قصدوا القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام، والخضوع

مدى ضلال عباد القبور

والخشوع، ورقة القلب وغير ذلك مما يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا مثله. ومنها اتخاذ المساجد والسرج عليها. ومنها العكوف عندها، وتعليق الستور عليها، واتخاذ السدنة لها حتى إن عبادها يرجّحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، يرون سدنتها أفضل من خدمة المساجد! ومنها النذر لها ولسدنتها! ومنها زيارتها لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الدّيون، وتفريج الكربات وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الأوثان يسألونها من أوثانهم، وليس شيء منها مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين إذ لم يفعل شيئاً منها[١] رسول رب العالمين. ولا أحد من الصحابة والتابعين، وسائر أئمة الدّين. ومن المحال أن يكون شيء منها مشروعاً وعملاً صالحاً، ويصرف عنه القرون الثلاثة التي شهد فيهم النبي عليه السلام، بالصدق والعدل، ويظفر به الخلوف الذين شهد فيهم النبي عليه السلام، بالكذب، والفسق، فمن كان في شكّ من هذا فلينظر هل يمكن لبشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو ضعيف أنهم كانوا إذا بدا لهم حاجة قصدوا القبور، فدعوا عندها، وتمسّحوا بها، فضلاً عن أن يصلُّوا عندها، وسألوا حوائجهم منها، كلا لا يمكنهم ذلك، بل إنما يمكنهم أن يأتوا بكثير من ذلك عن الخلوف التي خلفت من بعدهم، ثم كلّما تأخّر الزمان وطال العهد، كان ذلك أكثر حتى وجدت من ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن النبي، ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن الصحابة والتابعين، حرف واحد؛ بل فيها خلاف ذلك كثير من الأحاديث المرفوعة التي من جملتها قوله ﷺ: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور**

---

(١) كلمة (منها) لا توجد في الأصل وهي زيادة مني مراعاة لتصحيح العبارة - إذ بدونها لا يستقيم الكلام.

فليزر ولا تقولوا هجراً»[(١)]. أي فحشاً. وأي فحش أعظم من الشّرك عندها قولاً وفعلاً.

مدى توقي الصحابة من الشرك

وأما الآثار عن الصحابة، فأكثر من أن يحاط بها فمن جملتها ما في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رأى أنس بن مالك، يُصلّي عند قبر فقال: القبر القبر[(٢)]! قال ابن القيم في إغاثته: (هذا يدل على أنه كان من المستقر عندهم ما نهاهم عنه نبيهم، من الصلاة عند القبور، وفعل أنس لا يدل على اعتقاده جوازه إذ يحتمل أنه لم يره أو لم يعلم أنه قبر. ثم لما نبهه عمر، تنبه.

ومنها اتخاذها عيداً كما اتخذ المشركون من أهل الكتاب قبور أنبيائهم وصلحائهم عيداً! فإنهم كانوا يجتمعون لزيارتها ويشتغلون باللغو والطرب فيها، فنهى النبي، ﷺ، أمته عن ذلك. كما روي عن أبي هريرة أنه عليه السلام، قال: «**لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[(٣)]. فإن قبره، عليه السلام، مع كونه سيد القبور وأفضل قبر على وجه الأرض إذا وقع النهي عن اتخاذه عيداً فقبر غيره كائناً من كان أولى بالنهي. ثم إنه عليه السلام، أشار بقوله: «**وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني، حيث كنتم**» أي أن ما يناله من أمته، من الصلاة والسلام عليه، يحصل له مع قربهم من قبره

(١) أحمد (٣/٣٨) من حديث محمد بن يحيى بن حبان عن عمه عن أبي سعيد مرفوعاً، ولفظه: «**إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة**». قال الهيثمي في المجمع (٣/٥٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه بتمامه النسائي (٤/٨٩) في الجنائز باب زيارة القبور من طريق ابن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

(٢) البخاري (١/٦٢٤) باب ٤٨ هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد. تعليقاً.

(٣) أبو داود (٢/٥٣٤) ح (٢٠٤٢) في المناسك باب زيارة القبور من حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٢١١) ح (٧٢٢٦).

وبعدهم عنه، فلا حاجة لهم إلى اتخاذه عيداً، لأن في اتخاذ القبور عيداً من المفاسد، ما لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ، فإن غلاة متّخذيها عيداً إذا رأوها من مكان بعيد ينزلون عن دوابهم ويكشفون رؤوسهم ويضعون جباههم على الأرض ويقبلون الأرض ثم إنهم إذا وصلوا إليها يصلون عندها ركعتين، ثم ينتشرون حول القبر طائفين به تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله ـ تعالى ـ مباركاً وهدى للأنام. ثم يأخذون في التقبيل، والاستلام كما يفعل الحجاج في المسجد الحرام، ثم يعفرون جباههم وخدودهم، ثم يكملون مناسك حج القبر بالحلق والتقصير، ثم يقربون لذلك الوثن القرابين فلا يكون صلاتهم ونسكهم وقربانهم وما يراق هناك من العبرات، ويرفع من الأصوات ويطلب من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولي العاهات والبليات لله ـ تعالى ـ بل للشيطان، فإن الشيطان لبني آدم عدو مبين، يصدهم بأنواع مكائده عن الطريق المستقيم. من أعظم مكائده ما نصبه للناس من الأنصاب[(١)] التي هي رجس من عمل الشيطان، وقد أمر الله المؤمنين باجتنابها، وعلق فلاحهم بذلك الاجتناب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾[(٢)].

فالأنصاب جمع نُصُب بضمتين أو جمع نَصْب بالفتح والسكون وهو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك والواجب هدم ذلك كله ومحو أثره[(٣)] كما أن عمر لما بلغه أن الناس يتناولون الشجرة التي بويع تحتها للنبي، ﷺ، أرسل إليها فقطعها[(٤)]. فإذا كان عمر فعل هذا بالشّجرة التي بايع الصّحابة

---

(١) يثبت أن القبورية عبدة الأنصاب والأوثان، فإن القبر إذا عبد يكون نصباً ووثناً.

(٢) سورة المائدة، الآية: (٩٠).

(٣) فيه وجوب هدم القبور التي تُعبد، ووجوب هدم ما بني على القبور.

(٤) رواها ابن سعد في طبقاته (٢/ ١٠٠) ومحمد بن وضاح في البدع والنهي عنها=

رسول الله، ﷺ، تحتها وذكرها الله ـ تعالى ـ في القرآن؛ حيث قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[1]. يكون حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلوى بسببها، وأبلغ من ذلك أنه عليه السلام، هدم مسجد الضرار[2]، ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه كالمساجد المبنية على القبور فإن حكم الإسلام فيها أن تنهدم كلها حتى تُسوّى بالأرض وكذا القباب التي بنيت على القبور يجب هدمها؛ لأنها أسّست على معصية الرسول، ومخالفته، وكل بناء أسّس على معصية الرسول ومخالفته فهو بالهدم أولى من مسجد الضرار؛ لأنه عليه السلام، نهى عن البناء على القبور، ولعن المتخذين عليها مساجد، فيجب المبادرة والمسارعة إلى هدم ما نهى عنه رسول الله، ﷺ، ولعن فاعله، ولذلك يجب إزالة كل قنديل وسراج وشمع أوقدت على القبور، لأن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله، ﷺ، فكل ما لعن فيه رسول الله، ﷺ، فهو من الكبائر؛ ولهذا قال العلماء: لا يجوز أن ينذر للقبور الشمع ولا الزيت ولا غير ذلك، فإنه نذر معصية، لا يجوز الوفاء به، بل يلزم الكفارة مثل كفارة اليمين، ولا أن يوقف عليها شيء من ذلك، فإن هذا الوقف لا يصح ولا يحل إثباته وتنفيذه. وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي: انظروا ـ رحمكم الله تعالى ـ أينما وجدتم شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشّفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط، فاقطعوها، وذات أنواط شجرة للمشركين كانوا يُعلّقون عليها أسلحتهم، وأمتعتهم، ويَعكُفون حولها. كما روى الحديث الترمذي في سننه عن أبي واقد الليثي، أنه قال: خرجنا مع رسول الله، ﷺ، قبل حنين ونحن حديثو عهد بالإسلام،

حكم الإسلام في المساجد المبنية على القبور

= (٤٢ ـ ٤٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٧٥) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (٧/ ٤٤٨) (بإسناد صحيح).

(١) سورة الفتح، الآية: (١٨).

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢٩، ٥٣٠).

وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم، يقال لها ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[(١)] **لتركبنَّ سنن من كان قبلكم**»[(٢)] فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله ـ تعالى ـ، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها شيئاً، فما الظّنّ بغيرها، مما يقصده الناس من شجر أو حجر أو قبر ويعظمونه ويرجون منه الشفاء! ويقولون: إن هذا الشجر أو هذا الحجر أو هذا القبر يقبل النّذر الذي هو عبادة وقربة، ويتمسّحون بذلك النّصب ويستلمونه، ولقد أنكر السّلف التمسّح بحجر المقام الذي أمر الله ـ تعالى ـ أن يتخذ منه مصلّى كما ذكره الأزرقي عن قتادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾[(٣)]. قال إن الناس أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا أن يمسحوه، بل اتفق العلماء على أنه لا يُستلم، ولا يُقبّل إلا الحجر الأسود. وأما الركن اليماني، فالصحيح أنه يستلم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٣٨).

(٢) الترمذي (٤/ ٤٧٥) ح (٢١٨٠) في الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأحمد (٥/ ٢١٨)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٦٩) ح (٢٠٧٦٣) باب سنن من كان قبلكم، والطبراني في الكبير (٣/ ٣٢٩٠، ٣٢٩١، ٣٢٩٢، ٣٢٩٣، ٣٢٩٤) وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٤٨) ح (٦٦٦٧) باب ذكر الأخبار عن اتباع هذه الأمة سنن من قبلهم من الأمم (إحسان)، والطيالسي (١٣٤٦) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٥٩) ح (١٤٣٧)، والحميدي في مسنده (٢/ ٣٧٥) ح (٨٤٨)، وابن جرير في التفسير (٩/ ٤٥)، والنسائي في التفسير ص (٧٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٢٤) ح (٢٠٤، ٢٠٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧) ح (٧٦)، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر (٣/ ١١٤). كلهم من طريق سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي مرفوعاً، وهو حديث صحيح. وقد نسبه المؤلف للبخاري وهو وهم منه رحمه الله.

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٢٥).

ولا يقبَّل. وهذا الشيطان في كل حين وزمان ينصب لهم قبر رجل معظّم يُعظّمه الناس، ثم يجعله وثناً يُعبد من دون الله - تعالى - ثم يوحي إلى أوليائه أن من نهى عن عبادته وعن اتخاذه عيداً وعن جعله وثناً فقد تنقصه وهضم حقه، فيسعى الجاهلون في قتله وعقوبته، ويكفرونه. وما ذنبه إلا أنه أمر بما أمر به الله - تعالى - ورسوله، ونهىٰ عما نهى الله ورسوله عنه.

والذي أوقع عبّاد القبور في الافتتان بها أمور منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله - تعالى - به رسوله من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك فالذين قل نصيبهم من ذلك إذا دعاهم الشيطان إلى الفتنة بها ولم يكن لهم ما يبطل دعوته استجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل وعصموا منه بقدر ما معهم من العلم. ومنها أحاديث مكتوبة وضعها على رسول الله، ﷺ، أشباه عُبّاد الأصنام القبورية. وهي تُناقض ما جاء به في دينه كحديث: «**إذا تحيّرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور**»(١). وحديث: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**»(٢). وحديث: «**لو حسن أحدكم ظَنَّه بحجر نفعه**»(٣). وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها أشباه عبّاد الأصنام(٤) من القبورية وراجت على الجُهّال والضُلاَّل والله - تعالى - إنما بعث رسوله لقتال من حسن ظنه بالأحجار والأشجار. فإنه عليه السلام، جنب أمّته الفتنة بالقبور بكل طريق. ومنها حكايات حُكيت عن أهل تلك القبور، أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص

أحاديث من وضع القبورية

(١) كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٨٥).
(٢) قال شيخ الإسلام: «فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بالحديث واتفاق أهل العلم ولا يوجد في شيء في كتب الحديث المعتمدة» انظر التوسل والوسيلة (٢٩٧) والرد على البكري ص (٣٠٢ - ٣٠٣).
(٣) قال في «تمييز الطيب من الخبيث» بعد إيراده ص (١٣٣): قال ابن تيمية: إنه موضوع. وقال ابن حجر: لا أصل له.
(٤) في الأصل «الإسلام» وهو خطأ ظاهر والصواب ما أثبت.

منها. وفلان نزل به فاستدعى صاحب ذلك القبر، فكشف ضره، وفلان دعاه في حاجة فقضيت حاجته وعند السدنة والقبوريين شيء من ذلك يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله على الأحياء والأموات، والنفوسُ مولعة بقضاء حوائجها، وإزالة ما يضرّها، لا سيما من كان مضطرًا يتشبث بكل سبب، وإن كان فيه كراهة ما، فإذا سمع أحد أن قبر فلان ترياق مجرَّب، يميل إليه فيذهب فيه ويدعو عنده، بحرقة وذلة وانكسار، فيجيب الله ـ تعالى ـ دعوته لما قام بقلبه من الذلة والانكسار، لا لأجل القبر، فإنه لو دعا كذلك في الحانة والحمام والسوق لأجابه، فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة، ولا يعلم أن الله ـ تعالى ـ يجيبُ المضطر ولو كان كافراً، فليس كل من أجاب الله ـ تعالى ـ دعاءه يكون راضياً عنه! ولا محبًّا له! ولا راضياً لفعله، فإنه يُجيب دعاء البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، يسرّنا الله ـ تعالى ـ من الدعاء والعمل ما يكون موافقاً لرضائه بلطفه وكرمه.

المجلس الثاني
وهو الثامن عشر في الأصل
في أقسام البدع وأحكامها

قال رسول الله ﷺ: **«أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[١]. هذا الحديث من صحاح المصابيح، رواه جابر في حديث آخر رواه عرباض بن سارية، أنه عليه السلام، قال: **«من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[٢].

---

(١) مسلم (٢/٥٩٢) ح (٨٦٧) في الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة، أحمد (٣/٣١٠، ٣١١) من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر مرفوعاً.

(٢) أحمد (٤/١٢٦)، الترمذي (٥/٤٤) ح (٢٦٧٦) في العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع من حديث عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية مرفوعاً. وأخرجه أحمد (٤/١٢٧) وأبو داود (٥/١٣) ح (٤٦٠٧) في السنة باب في لزوم السنة. والحاكم (١/٩٧) وصححه، وابن حبان (١/١٠٤) ح (٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/١١٥) جميعهم من طريق عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر الكلاعي عن العرباض مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٤٩٩) ح (٢٥٤٩).

[تقسيم البدعة]

والمراد بالبدعة المذكورة في هذين الحديثين البدعة السيئة التي ليس لها من الكتاب والسنة أصل وسند ظاهر أو خفي، ملفوظ أو مستنبط. لا البدعة غير السيئة التي يكون لها أصل وسند ظاهر أو خفي فإنها لا تكون ضلالة، بل هي قد تكون مباحة كاستعمال المنخل والمواظبة على أكل لبّ الحنطة، والشبع منه، وقد تكون مستحبّة كبناء المنارة، وتصنيف الكتب، وقد تكون واجبة، كنظم الدلائل لردّ شبه الملاحدة والفرق الضالة، لأن البدعة لها معنيان؛ أحدهما: لغوي عام، وهو المحدث مطلقاً، سواء كان من العادات أو من العبادات. والثاني: شرعي خاص، وهو الزيادة في الدّين أو النقصان منه بعد الصحابة بغير إذن من الشّارع، لا قولاً ولا فعلاً، لا صريحاً ولا إشارة، فإنها في الحديثين وإن كانت عامة تشتمل على جميع المحدثات لكن عمومها ليس بحسب معناها اللغوي، بل عمومها بحسب معناها الشرعي الخاص فلا تتناول العادات أصلاً بل تقتصر على بعض الاعتقادات وبعض صور العبادات لأنه عليه السلام لم يبعث لتعليم أمر الدنيا وإنما بُعث لتعليم أمر الدّين، يدل عليه قوله عليه السلام: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣٦/٤) ح (٢٣٦٣) في الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، من حديث=

ثم البدعة في الاعتقاد بعضها كفر، وبعضها ليس بكفر لكنها أكبر من كل كبيرة حتى القتل والزنا، وليس فوقها إلا الكفر. والبدعة في العبادة، وإن كانت دونها لكن فعلها عصيان وضلال لا سيما إذا صادمت سنة مؤكدة، وأما البدعة في العادة فليس في فعلها عصيان وضلال بل ترك الأولى! فتركها أولى[1] إذا تقرر هذا، فالمنارة عون لإعلام وقت الصلاة، وتصنيف الكتب عون للتعليم والتبليغ، ونظم الدلائل لردّ شبه الملاحدة والفرق الضالة، نهي عن المنكر وذب عن الدين فكل منها مأذون فيه بل مأمور به، لأن البدعة غير السيئة ما لم يحتج إليه الأوائل ثم احتاج إليه الأواخر ورأوه حسناً على سبيل الإجماع بلا خلاف، ولا نزاع، وعند الاستقراء لا توجد تلك البدعة غير السيئة في العبادات البدنية المحضة، كالصوم والصلاة، وقراءة القرآن، وأوصاف كل منها بل لا تكون البدعة فيها إلا سيئة لأن عدم وقوع الفعل في الصدر الأول، ليس إلا لعدم الحاجة إليه أو لوجود مانع منه، أو لعدم التنبه له أو للتكاسل عنه، أو لكراهة وعدم مشروعية، والأولان منتفيان في العبادات البدنية المحضة، لأن الحاجة إلى التقرب إلى الله ـ تعالى ـ بالعبادة لا تنقطع، وبعد ظهور الإسلام وغلبة أهله لم يكن يمنع منها مانع، وكذا عدم التنبه لها أو التكاسل عنها منتفٍ أيضاً إذ لا يجوز أن يظن ذلك بالنبي عليه السلام، وجميع أصحابه، فلم يبق إلا كونها بدعة مكروهة غير مشروعة، ولهذا المعنى أراد عبد الله بن مسعود، لما أُخبر بالجماعة الذين كانوا يجلسون بعد المغرب، وفيهم رجل يقول: كبروا الله كذا وكذا، وسبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا، فيفعلون فحضرهم لما سمع ما يقولون

= هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، ومن حديث ثابت عن أنس مرفوعاً، ولفظه: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**». مقتصراً عليه.

(١) البدع المتعلقة بحياة الناس وإن كانت بدعة لغة إلا أنه قبل الحكم عليها بالحل أو بالحرمة ينبغي النظر في مدى منفعتها للناس وعدم مخالفتها لشرع الله ـ تعالى ـ.

موقف الصحابة من البدع

قام فقال: «أنا عبد الله بن مسعود، فوالله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء أو لقد فقتم أصحاب محمد عليه السلام علماً» يعني أن ما جئتم به إما أن يكون بدعة ظلماء أو أنكم تداركتم على الصحابة ما فاتهم لعدم تنبههم له أو لتكاسلهم عنه، فغلبتموهم من حيث العلم بطريق العبادة والثاني منتفٍ فتعين الأول، وهو كونه بدعة ظلماء.

من بدع العبادات

وهكذا يقال لكل من أتى في العبادة البدنية المحضة بصفة لم تكن في زمن الصحابة، إذ لو كان وصف العبادة في الفعل المبتدع يقتني كونه بدعة حسنة[1] لما وجد في العبادات ما هو بدعة مكروهة، وقد وجد فيها البدعة المكروهة على ما صرح العلماء في تصانيفهم، مثل صلاة الرغائب والجماعة فيها، ومثل التصلية، والترضية، والتأمين في أثناء الخطبة، وأنواع النغمات الواقعة فيها وفي الأذان وقراءة القرآن، ومثل الجهر بالذكر أمام الجنازة، وقُدَّام العروس في الطرقات، وغير ذلك من البدع المنكرة الواقعة في العبادات، وليس لأحد أن يقول: «إنها ليست من قبيل البدعة السيئة المكروهة بل هي من قبيل البدعة الحسنة المشروعة، بدليل كون بعض الأشياء المحدثة بعد الصّحابة حسناً؛ كبناء المدارس والرّبط والخانات ونحوها من أنواع الخيرات التي لم تعهد في عهد الصّحابة». إذ يقال له ما ثبت حسنه بالأدلة الشرعية الصحيحة، فهو إما أن لا يكون بدعة فيبقى عموم[2]

---

(١) وصف البدعة بـ «الحسنة» فهذا ليس تقسيماً صحيحاً للبدعة، إذ لا يوجد في الإسلام بدعة حسنة، بالمعنى المتعارف به. كل بدعة ضلالة، وأما قول عمر ـ رضي الله عنه ـ «نعمت البدعة هذه» فالمراد بها معناها اللغوي الذي هو مرادف للجديد.

وقد قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: من زعم أن هناك بدعة حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة. وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ سورة المائدة، الآية: (٦٧) فتأمل هداك الله.

(٢) النسخة الأصلية «فيبقى عموم العام الحديثين» وكلمة: «الحديثين» زيادة لا معنى لها. إذ هي خطأ من الناسخ.

العام على حاله أو يكون مخصوصاً من هذا العام، والعام الذي خص منه البعض دليل فيما عدا المخصوص، فمن ادعى ثبوت حسن العبادة المحدثة وكونها مخصوصة من هذا العام يحتاج إلى دليل يصلح أن يكون مخصصاً لأن عادة أكثر البلاد، وقول كثير من الزهاد والعبّاد ليس مما يصلح أن يكون معارضاً لكلام الرسول عليه السلام، وكذلك الدليل المخصص هو الدليل الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع الذي هو مختص بأهل الاجتهاد ومن ليس من أهل الاجتهاد من الزهاد والعباد، فهو في حكم العوام لا يعتد بكلامه إلا أن يكون موافقاً للأصول والكتب المعتبرة وهذه قاعدة دل عليها الإجماع مع أن في كتاب الله ـ تعالى ـ، ما يدل عليها أيضاً، وهو أنه ـ تعالى ـ قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾(١). فمن أحدث شيئاً يتقرّب به إلى الله ـ تعالى ـ من قول أو فعل من غير أن يشرع به الله ـ تعالى ـ، فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله ـ تعالى ـ فمن تبعه فقد اتخذه شريكاً ومعبوداً، كما قال الله ـ تعالى ـ في حق أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٢). فقال عدي بن حاتم، للنبي عليه السلام: ما عبدوهم. فقال عليه السلام: «**أطاعوهم**»(٣) من أطاع أحداً في دين لم يأذن به الله ـ تعالى ـ فقد عبده واتخذه ربًّا. فعلم من هذا أن كل بدعة في العبادات البدنية المحضة لا تكون إلا سيئة ربما لا يفرق كثير من الناس بين الحسنة والسيئة، فيظنون أن كل ما استحسنته نفوسهم ومالت(٤) إليه طباعهم يكون حسناً فيعدون السيئة من الحسنة، فقد

---

(١) سورة الشورى، الآية: (٢١).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٣) أخرجه بنحو هذا اللفظ الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة (٥/ ٢٧٢) ح (٣٠٩٥) من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال الترمذي: (هذا حديث غريب).

(٤) في الأصل: «ما استحسنه نفوسهم ومال إليه طباعهم» وما أثبت هو الصواب.

خبطوا خبطاً كخبط عشواء لا يفرق بين الورطة المهلكة والجادة المنجية في مشيها.

والضّابط في هذا أن يقال: الناس لا يحدثون شيئاً إلا أنهم يرونه مصلحة إذ لو اعتقدوا فيه مفسدة، لم يحدثوه فما رآه الناس مصلحة ينظر في السبب، فإن كان السبب أمراً قد حدث بعد النبي، ﷺ، يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه كنظم الدلائل فإن السبب الداعي إليه ظهور الفرق الضالة فإنهم لما لم يظهروا في عهده عليه السلام، لم يحتج إليه وإن كان المقتضي لفعله موجوداً في عصره عليه السلام، لكن ترك لعارض زال بموته عليه السلام، فكذلك يجوز إحداثه كجمع القرآن فإن المانع منه في حياته عليه السلام، كون الوحي لا يزال ينزل فيغير الله تعالى ما يشاء، فزال ذلك المانع بموته عليه السلام، وأما ما كان المقتضي لفعله في عهده عليه السلام، موجوداً من غير وجود المانع منه، ومع ذلك لم يفعله عليه السلام، فإحداثه تغيير لدين الله تعالى، إذ لو كان فيه مصلحة لفعله عليه السلام، وحث عليه. ولما لم يفعله عليه السلام، ولم يحث عليه، علم أنه ليس فيه مصلحة بل هو بدعة قبيحة سيئة مثاله الأذان في العيدين، فإنه لما أحدثه بعض السلاطين أنكره العلماء، وحكموا بكراهته، فلو لم يكن كونه بدعة دليلاً على كراهته لقيل هذا ذكر الله تعالى، ودعاء الخلق إلى عبادة الله تعالى، فيقاس على أذان الجمعة ويدخل في العموميات التي جملتها قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]. لكن لم يقولوا ذلك بل قالوا: كما أن فعل ما فعله عليه السلام كان سنة كذلك ترك ما تركه عليه السلام، مع وجود المقتضي وعدم المانع منه كان سنة أيضاً فإنه، عليه السلام، لما أمر بالأذان في الجمعة دون العيدين، كان ترك الأذان فيها سنة».

البدعة تغيير لدين الله

(١) سورة الجمعة، الآية: (١٠).

(٢) سورة فصلت، الآية: (٣٣).

وليس لأحد أن يزيده ويقول هذا زيادة العمل الصالح لا يضر زيادته. إذ يقال له هكذا تغيرت أديان الرسل، وتبدلت شرائعهم، فإن الزيادة في الدين لو جازت، لجاز أن يصلى الفجر أربع ركعات، والظهر ست ركعات، ويقال هذا زيادة عمل صالح، لا يضر زيادته، لكن ليس لأحد أن يقول ذلك لأن ما يبديه المبتدع من المصلحة والفضيلة إن كان ثابتاً في عصره عليه السلام، ومع هذا لم يفعله عليه السلام، فيكون ترك مثل هذا الفعل، سنة مقدمة على كل عموم وقياس، فمن عمل به مع اعتقاده أنه غير مشروع في الدين يكون فاسقاً غير مبتدع، وإن عمل به مع اعتقاده أنه مشروع في الدين يكون فاسقاً ومبتدعاً، لأن الفسق أعم من البدعة، فكل بدعة فسق من غير عكس، وكذلك قيل البدعة شر من الفسق، فإن من يفعل البدعة فهو يناقض الرسول، ﷺ، وإن كان في زعمه أنه يعظمه بالبدعة حيث يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب فيكون مشاقاً لله ولرسوله لاستحسانه ما كرهه الشرع، ونهى عنه، وهو الإحداث في الدين، وأنه تعالى قد شرع لعباده من العبادات ما فيه كفاية لهم وأكمل دينهم وأتم عليهم نعمته كما أخبر به في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1] فالزيادة على الكمال نقصان واختلاف بمنزلة الأصبع الزائدة وقد تقرر في الأصول أن حسن الأفعال وقبحها عند أهل الحق إنما يعرفان بالشرع، لا بالعقل، فكل فعل أمر به في الشرع، فهو حسن، وكل فعل نهي عنه في الشرع، فهو قبيح.

وقال الإمام الغزالي في كتابه «الأربعين في أصول الدين»: إياك أن تتصرف بعقلك وتقول كل ما كان خيراً أو نافعاً فهو أفضل وكلما كان أكثر كان أنفع فإن عقلك لا يهتدي إلى أسرار الأمور الإلٰهية، وإنما يتعقلها قوة النبي عليه السلام، فعليك بالاتباع فإن خواص الأمور لا تدرك بالقياس أو ما ترى كيف نديت إلى الصلاة ونهيت عنها في

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

جميع النهار وأمرت بتركها بعد الصبح والعصر، عند الطلوع والغروب والزوال وذلك ينتهي إلى قدر ثلث النهار».

التحذير من اتباع الهوى وتحكيم العقل في دين الله

وقال في «الإحياء»: فكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها، كذلك تقصر عن إدراك ما ينفع في الآخرة، مع أن التجربة غير متطرّق إليها. إنّما يكون ذلك لو رجع إلينا بعض الأموات وأخبرونا عن الأعمال المقرِّبة إلى الله ـ تعالى ـ، والمبعدة عنه، وذلك مما لا مطمع فيه.

وقال صاحب «مجمع البحرين» في شرحه: إن رجلاً يوم العيد في الجبّانة أراد أن يصلي قبل صلاة العيد، فنهاه عليّ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إني أعلم أن الله ـ تعالى ـ لا يُعذّب على الصلاة. فقال علي: وإني أعلم أن الله ـ تعالى ـ لا يُثيب على فعل حتى يفعله رسول الله، ﷺ، أو يحثُّ عليه، فتكون صلاتك عبثاً والعبث حرام، فلعلّه ـ تعالى ـ يعذّبك به بمخالفتك لنبيه.

وقال صاحب الهداية: يُكره أن يُتنفّل بعد الفجر أكثر من ركعتي الفجر، لأنه عليه السلام، لم يزد عليهما مع حرصه على الصلاة، فانظر كيف جعل عدم فعله عليه السلام، في باب العبادات دليلاً على الكراهة، وقال ابن الهمام: ما تردد من العبادات بين الواجب والبدعة يأتي به احتياطاً، وما تردد بين البدعة والسنة يتركه، لأن ترك البدعة لازم، وأداء السنة غير لازم وفي الخلاصة مسألة تدل على أن البدعة أشد ضرراً من ترك الواجب، حيث قال: إذا شكّ في صلاته. هل صلاّها أم لا؟ إن كان في الوقت فعليه أن يُعيدها، وإن خرج الوقت ثم شكّ، لا شيء فيه، ولو كان الشكّ في صلاة العصر، يقرأ في الركعة الأولى والثالثة، ولا يقرأ في الثانية والرابعة، فتعيين الأوليين للقراءة في الفرض واجب، وقد أمر بتركه عن احتمال وقوع النفل بعد العصر وهو بدعة مكروهة، وروي عن سفيان الثوري أنه كان يقول: «البدعة أحبّ إلى إبليس من كل المعاصي، لأن المعاصي يُتاب عنها

الاحتياط في الدين

والبدعة لا يُتاب عنها»[(١)].

خطورة البدعة

وسبب ذلك أن صاحب المعاصي يعلم بكونه مرتكب المعاصي فيرجىٰ له التوبة والاستغفار. وأما صاحب البدعة فيعتقد أنه في طاعة وعبادة ولا يتوب ولا يستغفر، وهذا ما حكي عن إبليس أنه قال: «قصمت ظهور بني آدم بالمعاصي والأوزار، وقصموا ظهري بالتّوبة والاستغفار، فأحدثت لهم ذنوباً لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها وهي البدع في صورة العبادة». فإن قيل: قد اعتاد كثير من الناس أن يستدلّوا على عدم كراهة ما اعتادوه من البدعة بحديث شائع بينهم، وهو: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح»! وهل يصحّ الاستدلال منهم أم لا يصحّ؟ فالجواب على ما ذكره بعض الفضلاء أن هذا الاستدلال لا يصحّ، والحديث حجة عليهم لا لهم، لأنه بعض حديث موقوف على ابن مسعود رواه أحمد والبزار والطبراني والطيالسي وأبو نعيم، هكذا: «إن الله ـ تعالى ـ نظر في قلوب العباد فاختار محمداً فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح»[(٢)]. ولا شك أن ال في المسلمين ليس لمطلق الجنس، لأن الحديث يكون مخالفاً لقوله عليه السلام: **«ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة»**[(٣)]. لأن كلاً من فرق

---

(١) أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٦) من طريق يحيى بن يمان عن الثوري ولفظه «البدعة لا يتاب منها».

(٢) أحمد (١/ ٣٧٩)، أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٤٢) رقم (٤٨)، من طريق عاصم عن أبي وائل عن عبد الله عن طريق عاصم عن زرعة عن عبد الله بن مسعود وإسناده حسن.

(٣) أبو داود (٥/ ٤) ح (٤٥٩٦) في السنة باب شرح السنة، الترمذي (٥/ ٢٥) ح (٢٦٤٠) في الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حسن صحيح، ابن ماجه (٢/ ١٣٢١) ح (٣٩٩١) في الفتن باب افتراق الأمم=

الأمّة مسلم، يرى مذهبه حسناً فيلزم أن لا يكون فرقة منها في النار، وكذا بعض المسلمين يرىٰ شيئاً حسناً وبعضهم يراه قبيحاً، فيلزم أن لا يتميّز الحسن من القبيح بل هي إما للعهد والمعهود ما ذكر في قوله فاختار له أصحاباً فيكون المراد بالمسلمين الصحابة فقط، أو لاستغراق خصائص الجنس، فيراد بالمسلمين أهل الاجتهاد الذين هم الكاملون في صفة الإسلام صرفاً للمطلق إلى الكامل، لأن المطلق عند عدم القرينة ينصرف إلى الفرد الكامل وهو المجتهد، فيكون المعنى ما رآه الصحابة أو أهل الاجتهاد فهو عند الله حسن، وما رآه الصحابة أو أهل الاجتهاد قبيحاً فهو عند الله قبيح، ويجوز أن يكون للاستغراق الحقيقي فيكون المعنى: (ما رآه جميع المسلمين حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه جميع المسلمين قبيحاً فهو عند الله قبيح وما اختلف فيه فالعبرة للقرون المشهود لهم بالخير لا للقرون المشهود لهم بالكذب وعدم الاعتماد في قوله عليه السلام: «**خير القرون قرني الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب**»[1]. فلا تعتمدوا أقوالهم وأفعالهم ولا ريب أن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين كانوا يرون ما جاوز قدر الضرورة من البدع قبيحاً فهو عند الله قبيح ومثل قوله عليه السلام: «**لا تجتمع أمتي على الضلالة**»[2]. فإن المراد

= مختصراً، جميعهم من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٥) ح (١٠٨٣).

(١) البخاري (٥/٣٠٦) ح (٢٦٥٢) في الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد. مسلم (٤/١٩٦٣) ح (٢٥٣٣) في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم من حديث عبيدة عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٢) أخرج ابن أبي عاصم في السنة (١/٤١) ح (٨٢) من حديث الحسن عن كعب بن عاصم الأشعري مرفوعاً: «**إن الله تعالى قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة**». وحسنه الألباني، وبرقم ٨٣ من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً: «**إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة**» وبرقم ٨٤ من حديث أبي خلف الأعمى عن أنس مرفوعاً: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة...**». وضعفه الألباني. وحسن الألباني حديث كعب بن عاصم في صحيح الجامع (١/٣٦٧) ح (١٧٨٦).

بالأمة في هذا الحديث أهل الإجماع الذي هو بكل مجتهد ليس فيه فسق ولا بدعة أصلاً لأن الفسق يورث التهمة ويسقط العدالة. وصاحب البدعة يدعو الناس إلى البدعة ولا يكون من الأمة على الإطلاق لأن المراد بالأمة المطلقة أهل السنة والجماعة وهم الذين طريقتهم طريق النبي عليه السلام، وأصحابه، دون أهل البدع والضلال، كما قال النبي عليه السلام: «**أمتي من استن بسنتي**»(١). ويصح أن يراد بأمتي جميع الأمة بناء على أن الإضافة كاللام قد تكون للاستغراق فيكون المعنى لا تجتمع جميع أمتي في زمان من الأزمنة على الضلالة، كما اجتمع اليهود والنصارى بعد نبيهم على الضلالة فيكون هذا الحديث موافقاً لقوله عليه السلام: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمين بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»(٢). إذا تقرر هذا فالواجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يحذر من الاغترار والميل إلى شيء من البدع والمحدثات ويصون دينه عن العوائد التي استأنس بها وتربى عليها، فإنها سم قاتل قل من سلم من آفاتها وظهر له الحق منها.

ألا ترى أن قريشاً لأجل العوائد التي ألفتها نفوسهم أنكروا على النبي، ﷺ، ما جاء به من الهدى والبيان، وكان ذلك سبباً لكفرهم وطغيانهم، حتى قالوا في حقه، عليه السلام، ما قالوا بسبب ما تربوا عليه وتنشؤوا فيه، ولذلك كان ابن مسعود يقول: «إياكم وما يحدث من البدع فإنّ الدّين لا يذهب من القلوب بمرّة ولكن الشيطان يحدث لكم بدعاً حتى يذهب الإيمان من قلوبكم». فعلى هذا ينبغي للمؤمن أن لا يغترّ ويستدل بقوة تصميمه على شيء وكثرة عبادته به أنه على الحق فإن تصميمه عليه، وعدم رجوعه عنه، ولو نُشر بالمناشير، لا

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) البخاري (٦/ ٢٥٠) ح (٣١١٦) في فرض الخمس باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾، مسلم (٣/ ١٥٢٤) ح (١٠٣٧) في الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة...» من حديث معاوية مرفوعاً.

يدلّ على كونه على الحقّ في دينه، لأن جزمه وتصميمه عليه ليس من حيث كونه حقًّا، بل من حيث نشأته بين قوم يدينون به، وللنشأة والمخالطة أثر عظيم في تصميم شيء حقًّا كان أو باطلاً، ألا ترى أن مثل هذا التّصميم يوجد عامة من ذوي الجهل المركّب كاليهود والنصارى، ومن في معناهم. فالحذر الحذر من هذا السمّ القاتل، وكن مائلاً إلى الحق، مستفيضاً لخلاص بهجتك بالاتّباع وترك الابتداع، فإن الاتّباع أفضل عمل يعمله المرء في هذا الزمان، لشيوع العمل على خلاف السنة منذ زمان طويل، فلا بدّ لك أن تكون شديد التقوى من محدثات الأمور، وإن اتفق عليه الجمهور، فلا يغرنّك اتّفاقهم على ما أحدث بعد الصّحابة بل ينبغي لك أن تكون حريص التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم، فإنّ أعلم الناس وأقربهم إلى الله - تعالى - أشبههم بهم، وأعرفهم بطريقهم، إذ منهم أُخذ الدين، وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشّرع، وقد جاء في الحديث: «**إذا اختلف الناس فعليكم بالسّواد الأعظم**»[1]. والمراد به لزوم الحقّ واتّباعه، وإن كان المتمسّك به قليلاً، والمخالف له كثيراً، لأن الحق ما كان عليه الجماعة الأولىٰ وهم الصحابة، ولا عبرة بكثرة الباطل بعدهم. وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه: «الزم طرق الهدى ولا يضرّك قلة السّالكين، وإياك وطرق الضّلالة ولا تغترّ بكثرة الهالكين».

وقال بعض السلف: إذا وافقت الشّريعة ولاحظت الحقيقة، فلا تبال وإن خالف رأيك جميع الخليقة. وقال ابن مسعود: «أنتم في زمان خيركم المسارع في الأمور، وسيأتي زمان بعدكم خيرهم فيه

---

(١) أخرج ابن ماجه (٢/١٣٠٣) ح (٣٩٥٠) في الفتن باب السواد الأعظم من حديث أبي خلف الأعمى عن أنس مرفوعاً: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم**». في الزوائد، في إسناده أبو خلف الأعمى، واسمه حازم بن عطاء، وهو ضعيف وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر. قاله العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي.

المتثبّت المتوقّف لكثرة الشّبهات».

الحذر من اتباع هوى الناس

قال الإمام الغزالي: ولقد صدق لأن من لم يثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم فيه وخاض فيما خاضوا فيه يهلك كما هلكوا. فإن أصل الدين وعمدته وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالجوع وغيره، وإنما هو باحترازه من الآفات والعاهات التي تأتي عليه من البدع والمحدثات فإنها لكثرتها وشيوعها صارت كأنها من شعائر الدين أو من الأمور المفروضة علينا، فيا ليتنا كنا نباشرهم على أنها بدعة إذ لو كان كذلك لرجى من التوبة والاستغفار، ولكنّا أخذناها طاعة وعبادة وجعلناها ديناً لنا، مقتفين في ذلك آثار من سها أو غلط أو غفل من بعض من تقدّمنا، وجعلناه قدوة في ديننا، فإذا جاء أحد وأنكر علينا ما ارتكبناه من تلك الأمور، فإن كان ممن له توقير في قلوبنا نقول له هذا جائز ذهب إلى جوازه فلان، ونذكر له بعض من تقدّمنا ممن سها أو غلط أو غفل، وإن كان ممن لا توقير له في قلوبنا، يسمع منا ما لا يظنه ولا يخطر بباله، كل ذلك بسبب الجهل المركّب فينا لأنا لو رأينا أنفسنا[١] على ما هي عليه من الجهل لقبلنا جواب من أرشدنا إلى الحق وما أقمنا من سها أو غلط أو غفل حجّة في ديننا إذ لا يجوز أن يقلّد الإنسان في دينه إلا من هو معصوم، وهو صاحب الشّريعة، أو من شهد له صاحب الشّريعة بالخير وهم القرون الثلاثة الذين اقتضت حكمة الشّارع أن يختصّ كل قرن منهم بفضيلة.

فالقرن الأول خصّهم الله بمزية لا سبيل لأحد أن يلحقهم فيها؛ لرؤية نبيه وبمشاهدة نزول القرآن عليه، وألهمهم حفظه، حتى لا يكون حرف واحد ضائعاً، فجمعوه ويسّروه لمن بعدهم[٢]. فحفظوا أحاديث نبيهم في صدورهم وأثبتوها على ما ينبغي، فحصل في إقامة هذا الدين

(١) في الأصل (على أنفسنا).
(٢) في الأصل لمن بعده وما أثبت هو الصواب.

حظ كثير لا يمكن الإحاطة به ولا يصل أحد إليه. فجزاهم الله ـ تعالى ـ عن أمة نبيهم خير جزاء.

ثم أعقبهم التّابعون، فجمعوا ما كان من الأحاديث ومسائل الدّين متفرقاً، ونقلوا الأحكام والتفسير من الصحابة حتى كان أحدهم يرتحل في طلب الحديث الواحد والمسألة الواحدة مسار شهر أو شهرين. وضبطوا أمر الشّريعة أتم ضبط، فحصل لهم في إقامة هذا الدين ـ أيضاً ـ فضل كثير.

ثم أعقبهم تابعو التّابعين الذين ظهر فيهم الفقهاء المرجوع إليهم في النوازل، فوجدوا القرآن مجموعاً ميسراً، ووجدوا الأحاديث قد أحرزت وضبطت، فتفقهوا في القرآن والأحاديث على مقتضى قواعد الشّريعة، واستنبطوا منها أحكاماً على مقتضى الأصول، وعيّنوا وجوه الدّلالات ويسّروها على الناس، وانتظم الحال، واستقرّ دين الأمة المحمّدية بسببهم، فحصل لهم في إقامة هذا الدين خصوصيات ـ أيضاً ـ، فلما مضوا إلى سبيلهم أتىٰ من بعدهم فلم يجد وظيفة يقوم بها، بل وجد الأمر على أكمل الحالات، فلم يبق له إلا أن يحفظ ما استنبطوه وبيّنوه، ولا يحصل له خير إلا باتباعهم، وتقليدهم وبقائه في ميزانهم، فإن ظهر له فقه غير فقههم فهو مردود عليه إلا أن يكون مما لم يقع بيانه في زمانهم لا بالفعل ولا بالقول مما ينبغي له أن ينظر فيه على مقتضى قواعدهم في الأحكام، والثّابت عنهم.

فإذا كان على مقتضى أصولهم يقبل عنه وإلا فلا، لأن كل من أتى بعدهم يقول في بدعة إنها مستحبة، ثم يأتي على ذلك بدليل خارج عن أصولهم، فذلك غير مقبول منه، لأن التّقليد والاقتداء بالغير بمجرد حسن الظّن إنّما يجوز لمن كان مجتهداً عدلاً لا لمن كان مقلّداً. لكن لما انقطع الاجتهاد منذ زمان طويل انحصر طريق معرفة مذهب المجتهد في نقل كتاب معتبر متداول بين العلماء لمن كان قادراً على استخراجه أو إخبار عدل موثوق به في علمه وعمله، لمن لم

يكن قادراً على استخراجه، فلا يجوز العمل بكل كتاب، إذ ظهر في هذا الزمان كتب جمعها ضعفاء الرجال من غير معرفة بحقيقة الحال، ولا بقول كل عالم إذ غلب الفسق في الناس بعد القرون الثلاثة، فالمستور في حكم الفاسق[(١)]. فلا بدّ من العدالة المرجّحة لجانب الصّدق. ثم ههُنا قاعدة مقرّرة لا بدّ من معرفتها، وهي أن المسألة الفقهية إذا نقلت ينبغي أن ينظر فيها، فإن كان مأخذها معلوماً مشهوراً من الكتاب والسنة والإجماع، فلا نزاع فيها لأحد، وإن لم يكن مأخذها معلوماً بل كانت اجتهادية، فإن كان ناقلها مجتهداً يلزم على من كان مقلّداً أن يتّبعه، ولا يلزم عليه أن يطلب منه دليلاً، لأن كلام المجتهد دليل له، وإن لم يكن ناقلها مجتهداً بل كان مقلّداً، فإن نقلها من المجتهد فأثبت نقله منه يلزم الاتباع فيها ـ أيضاً ـ، وإن لم ينقلها من المجتهد بل نقلها من قبل نفسه، أو من مقلّد آخر أو أطلق فإن بيّن فيها دليلاً شرعيًا، فلا كلام فيها حينئذ، وإن لم يُبيّن يُنظر إن كان كلامه موافقاً للأصول والكتب المعتبرة ولم يكن فيها خلاف يجوز العمل بها، لكن ينبغي للعامل بها أن لا يقف في مقام تقليده، بل يطلب منه دليلاً على نقل. وإن كان كلامه مخالفاً للأصول والكتب المعتبرة فلا يُلتفت إليه أصلاً، إذ قد صرّح العلماء بأن ما لا يعْلم صحته، لا يصحّ اتباعه، وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما عُلم بطلانه.

---

(١) وهذا خلاف القواعد الشرعية المقررة فالأصل في المسلم الصدق إلا إذا تبين كذبه فتسقط عدالته.

المجلس الثالث

وهو السابع والخمسون في الأصل

في بيان جواز زيارة القبور وعدم جوازها

قال رسول الله ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[(١)]، هذا الحديث من صحاح المصابيح، رواه بريدة، فيه تصريح بوقوع النهي في أوائل الإسلام عن زيارة القبور لكونها مبدأ عبادة الأصنام، وكان ابتداء ذلك الداء العضال في قوم نوح النبي عليه السلام، كما أخبر الله تعالى في كتابه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[(٢)].

قال ابن عباس وغيره من السلف: «كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكف الناس على قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»[(٣)]. فلما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور، نهى النبي عليه الصلاة والسلام،

(١) مسلم (٢/ ٦٧٢) ح (٩٧٧) في الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه. أحمد (٥/ ٣٥٠)، النسائي (٤/ ٨٩) في الجنائز باب زيارة القبور، من طريق سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

(٢) سورة نوح، الآيات: (٢١ - ٢٣).

(٣) سبق تخريجه ص٣٦٠.

النهي عن زيارة القبور ثم الإذن فيها

أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور سدًّا لذريعة الشرك، لكونهم حديثي عهد بالكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها، وعلمهم كيفيتها تارة بفعله وتارة بقوله، وذلك في الأحاديث الكثيرة بعضها في الإذن، وبعضها في التعليم، وفي ضمنها بيان الفائدة. أما التي في الإذن، فمنها ما روي عن أبي سفيان، أنه عليه الصلاة والسلام، قال: «**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة**»(١).

ومنها ما روي عن علي بن أبي طالب أنه عليه الصلاة والسلام، قال: «**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة**»(٢). ومنها ما روي عن ابن مسعود، أنه عليه السلام، قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تُزهّد في الدنيا**»(٣). ومنها ما روي عن أبي هريرة، أنه عليه الصلاة والسلام، قال: «**زوروا القبور فإنها تذكّر الموت**»(٤). ومنها ما روي عن بريدة، أنه عليه الصلاة والسلام، قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً**»(٥).

---

(١) الطبراني في الكبير (٢٣/٢٧٨) ح (٦٠٢) من حديث ابن أبي مليكة عن أم سلمة مرفوعاً. قال في المجتمع (٣/٥٨) وفيه يحيى بن المتوكل وهو ضعيف.

(٢) أحمد (١/١٤٥) من رواية ربيعة بن النابغة عن أبيه عن علي مرفوعاً. قال في المجمع (٣/٥٨) قلت: في الصحيح طرق منه رواه أبو يعلى وأحمد وفيه ربيعة بن النابغة. قال البخاري: لم يصح حديث عن علي في الأضاحي.

(٣) ابن ماجه (١/٥٠١) ح (١٥٧١) في الجنائز باب ما جاء في زيارة القبور من حديث مسروق عن ابن مسعود مرفوعاً، وفي الزوائد إسناده حسن.

(٤) ابن ماجه (١/٥٠٠) ح (١٥٦٩) في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور من حديث أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً، ولفظه: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة». وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٦٦٨) ح (٣٥٧٧).

(٥) النسائي (٤/٨٩) في الجنائز باب زيارة القبور من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٤٨٥) ح (٢٤٧٤).

دعاء دخول المقابر

وأما التي في التعليم فمنها ما روي عن بريدة، أنه عليه السلام: «**كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع نسأل الله لنا ولكم العافية**»[١]. ومنها ما روي عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ: «**كيف أقول يا رسول الله في زيارة القبور؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم، والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[٢].

ومنها ما روي عن أبي هريرة أنه، ﷺ، خرج إلى المقبرة. فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون»[٣] ومنها ما روي عن ابن عباس، أنه عليه الصلاة والسلام، مر بقبور المدينة فأقبل عليهم فقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر**»[٤].

---

(١) مسلم (٢/ ٦٧١) ح (٩٧٥) في الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. النسائي (٤/ ٩٤) في الجنائز باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، ابن ماجه (١/ ٤٩٤) ح (١٥٤٧) في الجنائز باب ما يقال إذا دخل المقابر، أحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٩) ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٩٧) ح (٥٩٤) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً.

(٢) مسلم (٢/ ٦٧٠) ح (٩٧٤) في الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور. والنسائي (٤/ ٩١) في الجنائز باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين من حديث محمد بن قيس عن عائشة مرفوعاً.

(٣) مسلم (١/ ٢١٨) ح (٢٤٩) في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة. والنسائي (١/ ٩٤) في الطهارة باب حلية الوضوء، أحمد (٢/ ٣٧٥). مالك في الموطأ (١/ ٢٨/ ٢٨) من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) الترمذي (٣/ ٣٦٩) ح (١٠٥٣) في الجنائز باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، وقال حسن غريب. الطبراني في الكبير (١٢/ ١٠٧) رقم (١٢٦١٣) من حديث قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً.

فإنه ﷺ بيّن في هذه الأحاديث فائدة زيارة القبور، وهي إحسان الزائر إلى نفسه، وإلى أهل القبور، أما إحسانه إلى نفسه، فتذكر الموت والآخرة والزهد في الدنيا، والاتعاظ والاعتبار، وأما إحسانه إلى أهل القبور، فالسلام عليهم والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية.

حكم زيارة النساء للقبور

قال عامة العلماء: هذا في حق الرجال، وأما النساء، فلا يحل لهن أن يخرجن إلى المقابر لما روي عن أبي هريرة، أنه عليه الصلاة والسلام: «**لعن زوارات القبور**»[1]. وذكر في نصاب الاحتساب أن القاضي سئل عن جواز خروج المرأة إلى المقابر، فقال: لا تسأل عن الجواز في مثل هذا وإنما تسأل عن مقدار ما يلحقها من اللعن، فإنها لما نوت الخروج كانت في لعنة الله تعالى، وملائكته، وإذا خرجت لحقتها الشياطين، وإذا أتت القبر يلعنها روح الميت، وإذا رجعت تكون في لعنة الله ـ تعالى ـ، وملائكته، حتى تعود إلى منزلها. وقد روي في الخبر: «**أيما امرأة خرجت إلى مقبرة يلعنها ملائكة السموات السبع والأرضين السبع وأيما امرأة دعت للميت بخير ولم تخرج من بيتها يعطيها الله ـ تعالى ـ ثواب حجة وعمرة**»[2].

وروي عن سلمان وأبي هريرة، أنه عليه الصلاة والسلام، ذات يوم خرج من المسجد فوقف على باب داره فأتت ابنته فاطمة، فقال لها: من أين جئت؟ فقالت: خرجت إلى منزل فلانة التي ماتت. فقال: هل ذهبت إلى قبرها؟ فقالت: معاذ الله أن أفعل شيئاً بعدما سمعت منك ما سمعت. فقال: لو ذهبت إلى قبرها لم ترحي رائحة

---

(١) ابن ماجه (١/ ٥٠٢) ح (١٥٧٤) من حديث حسان بن ثابت و (١٥٧٥) من حديث ابن عباس و (١٥٧٦) من حديث أبي هريرة في الجنائز باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور. وأخرجه الترمذي (٣/ ٣٧١) ح ١٠٥٦ في الجنائز باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء من حديث أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٠٩) ح (٥١٠٩).

(٢) لم أقف عليه وما أحسبه حديثاً وفي معناه حديث «**لعن الله زورات القبور**».

الجنة»[١].

الاعتبار من حال أهل القبور

فعلى هذا كل من يريد أن يزور القبور من الرجال أن لا يكون حظّه من زيارته لها الطّواف عليها كالبهائم، بل ينبغي له إذا جاءها أن يسلم على أهلها ويخاطبهم خطاب الحاضرين. ويسأل لهم الرحمة والمغفرة، والعافية، كما تقدم في الأحاديث. ثم يعتبر ممن كان تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، وأنه حين دخل القبر ابتلي بالسؤال: هل أصاب في الجواب وكان قبره روضة من رياض الجنة، أو أخطأ الجواب؟ وكان قبره حفرة من حفر النار!! ثم يجعل نفسه كأنه مات ودخل القبر وذهب عنه ماله وأهله، وأولاده، ومعارفه، وبقي وحيداً فريداً، وهو الآن يُسأل فماذا يُجيب؟ وماذا يكون حاله؟ ويكون مشغولاً بهذا الاعتبار ما دام هناك ويتعلق بمولاه في الخلاص من هذه الأمور الخطيرة العظيمة ويلجأ إليه.

حكم القراءة عند القبور

وأما قراءة القرآن هناك فجوّزها بعض العلماء، ومنعها البعض الآخر. وقالوا: لا بد للزائر أن يكون مشغولاً بالاعتبار، وقراءة القرآن يحتاج صاحبها إلى التدبر وإحضار الفكر فيما يتعلق والاعتبار والفكر لا يجتمعان في قلب واحد في زمان واحد.

فإن قال قائل: إني أعتبر في وقت وأقرأ في وقت آخر، والقرآن إذا قرىء ينزل الرحمة فيرجى أن يلحق بأهل القبور من تلك الرحمة شيء ينفعهم. فالجواب من وجوه:

الأول: أن قراءة القرآن وإن كانت عبادة، لكن كون الزائر مشغولاً بما تقدم من الفكر والاعتبار بالموت وسؤال الملكين وغير

---

(١) أبو داود (٣/ ٤٦٠) ح (٣١٢٣) في الجنائز باب التعزية. النسائي (٤/ ٢٧) في الجنائز باب النعي من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً في سياق قصة طويلة. قال النسائي: ربيعة ضعيف وهو الراوي عن أبي عبد الرحمن الحبلي. وأخرجه الحاكم (١/ ٣٧٤). وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ذلك عبادة أيضاً، والوقت ليس محلاً إلا لهذه العبادة فقط، فلا يخرج من عبادة إلى عبادة أخرى، لا سيما لأجل الغير.

والثاني: أنه لو قرأ في بيته وأهدى ثوابها إليهم بأن قال بلسانه بعد فراغه من قراءته: اللهم اجعل ثواب قراءتي لأهل القبور لوصل إليهم. إن هذا دعاء يوصّل الثواب إليهم والدّعاء يصل بلا خلاف، فلا يحتاج أن يقرأ على قبورهم.

والثالث: أن قراءته على قبورهم تكون سبباً لعذاب بعضهم إذ كلما مرت آية لم يعمل بها يقال له: أما قرأتها؟! أما سمعتها فكيف خالفتها؟ ولم تعمل بها فيعذب لأجل مخالفته بها!!

والرابع: أن السنة لم ترد بها وكفى بها منعاً. فإذا كان كذلك فاللائق بالزائرين أن يتبعوا السنة، ويقفوا عند ما شرع لهم، ولا يتعدوه، ليكونوا محسنين إلى أنفسهم وإلى أهل القبور، لأن زيارة القبور نوعان: زيارة شرعية، وزيارة بدعية. أما الزيارة الشرعية التي أذن فيها رسول الله، ﷺ، فالمقصود منها شيئان: أحدهما راجع إلى الزائر، وهو الاتعاظ والاعتبار. والثاني: راجع إلى أهل القبور، وهو أن يسلم عليهم الزائر، ويدعو لهم.

زيارة القبور نوعان شرعية وبدعية

وأما الزيارة البدعية فهي زيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطّواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد، وقضاء الدَّين وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، وغير ذلك من الحاجات التي كان عبّاد الأصنام يسألونها من أصنامهم، فإن أصل هذه الزيارة البدعية الشّركية مأخوذ منهم، وليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق علماء المسلمين، إذ لم يفعله رسول رب العالمين، ولا أحد من الصّحابة، والتّابعين، وسائر أئمة الدّين، بل قد أنكر الصحابة ما هو دون ذلك بكثير كما روي عن المعرور بن سويد أن عمر صلى صلاة الصبح في طريق مكة، ثم رأى الناس يذهبون مذهباً. فقال: أين

توقي الصحابة من ذرائع الشرك

ذهب هؤلاء؟ فقيل: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يصلون فيه. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلها فيها، ومن لا فليمض ولا يتعمّدها[(١)]، وكذلك لما بلغه أن الناس يتناولون الشجرة التي بويع تحتها النبي، ﷺ، أرسل إليها فقطعها[(٢)].

فإذا كان عمر فعل هذا بالشّجرة التي بايع الصحابة تحتها رسول الله، ﷺ، وذكرها الله ـ تعالى ـ في القرآن، حيث قال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[(٣)]. فماذا يكون حكمه فيما عداها؟ اولقد جرّد السّلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كانت الصحابة والتابعون حين كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد زمن الوليد بن عبد الملك لا يدخل فيها أحد، لا لصلاة ولا لدعاء ولا لشيء آخر، مما هو من جنس العبادة بل كانوا يفعلون جميع ذلك في المسجد، وكان أحدهم إذا سلم على النبي عليه السلام، وأراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر، ثم دعا، وهذا مما لا نزاع فيه بين العلماء، وإنما نزاعهم في وقت السلام عليه.

كيف كان دعاء الصحابة عند قبر النبي ﷺ

قال أبو حنيفة: يستقبل القبلة عند السلام أيضاً، ولا يستقبل القبر، وقال غيره: لا يستقبل القبر عند الدعاء، بل قالوا إنه يستقبل القبلة وقت الدعاء، ولا يستقبل القبر حتى لا يكون الدعاء عند القبر، فإن الدعاء عبادة كما ثبت بالحديث المرفوع: «**إن الدعاء هو العبادة**»[(٤)]

---

(١) عبد الرزاق في المصنف (٢/١١٨، ١١٩) ح (٢٧٣٤) من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر به. وانظر الفتح (١/٦٧٨).

(٢) رواها ابن سعد في طبقاته (٢/١٠٠) قال الحافظ ابن حجر (٧/٤٤٨) «بإسناد صحيح» ورواه الإمام محمد بن وضاح في البدع والنهي عنها: (٤٢ ـ ٤٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٣٧٥).

(٣) سورة الفتح، الآية: (١٨).

(٤) أحمد (٤/٢٦٧، ٢٧، ٢٧٦، ٢٧٧)، أبو داود (٢/١٦١) في الصلاة باب

والسلف الصالح من الصحابة والتابعين جعلوا العبادة خالصة لله تعالى ولم يفعلوا عند القبور شيئاً منها إلا ما أذن فيه النبي عليه السلام، من السلام على أصحابها وسؤال الرحمة والمغفرة والعافية من الله لهم، وسبب ذلك أن الميت قد انقطع عمله وهو يحتاج إلى من يدعو له ويشفع لأجله ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له، وجوباً أو ندباً، ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي، فإنا لما كنا إذا قمنا إلى جنازة ندعو له ونشفع لأجله، فبعد الدفن أولى أن ندعو له ونشفع، لأنه في قبره بعد الدفن أشدّ احتياجاً إلى الدعاء له منه على نعشه، لأنه حينئذ مُعرّض للسؤال وغيره على ما روي عن عثمان بن عفان، أنه عليه الصلاة والسلام: **«كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»**[1].

الدعاء للميت بعد دفنه

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: إذا سئل الميت من ربك يتراءى له الشيطان في صورة ويشير إلى نفسه أني أنا ربك. قال الترمذي: هذه فتنة عظيمة، ولذلك كان النبي، ﷺ، يدعو بالثبات: اللهم ثبت عند المسألة منطقه وافتح أبواب السماء لروحه، وكانوا

= الدعاء ح (١٤٧٩)، والترمذي له (٢١١) ح (٢٩٦٩) في التفسير باب ومن سورة البقرة و (٥/ ٣٧٤) ح (٣٢٤٧) باب ومن سورة المؤمن و (٥/ ٤٥٦) ح (٣٣٧٢) في الدعاء باب ما جاء في فضل الدعاء. وقال: حسن صحيح. ابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) ح (٣٨٢٨) في الدعاء باب فضل الدعاء. البخاري في الأدب ص (١٠٥) ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٢١) ح (٢٩١٦٧)، باب فضل الدعاء. ابن حبان (٢/ ١٢٤) ح (٨٨٧) (إحسان). البيهقي في الشعب (٢/ ٣٧) ح (١١٠٥). الحاكم (١/ ٤٩١). وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وابن جرير في التفسير (٢٤/ ٧٨، ٧٩) جميعهم من طريق يسيع الكندي عن النعمان بن بشير مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٤١) ح (٣٤٠٧).

(١) أبو داود (٣/ ٥٥٠) ح (٣٢٢١) في الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت وقت الانصراف، والحاكم (١/ ٣٧٠) وصححه ووافقه الذهبي من طريق هاني مولى عثمان بن عفان عن عثمان مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٢٤) ح (٩٤٥).

يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقال: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم. فهذه سنة رسول الله، ﷺ، في أهل القبور بضعاً وعشرين سنة وهذه سنة الخلفاء الراشدين وطريقة جميع الصحابة والتابعين فبدل أهل البدع والضلال قولاً غير الذي قيل لهم فإنهم قصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله، ﷺ، إحساناً إلى الميت وإلى الزائر سؤالهم بالميت والاستعانة به وليس هذا إلا الفتنة التي قال فيها عبد الله بن مسعود: «كيف إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير تجري على الناس يتخذونها سنة إذا غيرت قيل غيّرت السنة»(١).

قال ابن القيم في إغاثته: هذا يدل على أن العمل إذا جرى على خلاف السنة فلا اعتبار ولا التفات إليه، وقد جرى العمل على خلاف السنة منذ زمن طويل، فإذن لا بد أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور، وإن اتفق عليه الجمهور، فلا يغرنك إطباقهم على ما حدث بعد الصحابة، بل ينبغي لك أن تكون حريصاً على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم، فإن أعلم الناس وأقربهم إلى الله أشبههم بهم، وأعلمهم بطريقهم إذ منهم أخذ الدين، وهم أصول في نقل الشريعة من صاحب الشرع، فلا بدّ لك أن لا تكترث بمخالفتك لأهل عصرك في موافقتك لأهل عصر النبي عليه السلام، إذ قد جاء في الحديث: **«إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم»**(٢).

قال عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك قليلاً والمخالف له كثيراً! إلا أن الحق ما كان عليه الجماعة الأولى، وهم الصحابة ولا عبرة إلى كثرة الباطل بعدهم.

وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه: «الزم طرق الهدى، ولا يضرّك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين».

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/٤١، ٤٢) برقم ٥١.

(٢) تقدم تخريجه ص٣٨١.

وقال ابن مسعود: «أنتم في زمان خيركم فيه المتسارع في الأمور وسيأتي زمان بعدكم خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات».

قال الإمام الغزالي: لقد صدق، لأن من لم يثبت في هذا الزمان بل وافق الجماهير فيما هم فيه، وخاض فيما خاضوا فيه يهلك كما هلكوا، فإن أصل الدين وعمدته وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالجوع وغيره، وإنما هو باحترازه من الآفات والعاهات التي تأتي عليه من البدع والمحدثات التي تؤدي إلى تبدله وتغيره، كما تبدل وتغير أديان الرسل عليهم السلام، من قبل بسبب ذلك، فعلى هذا ينبغي للمؤمن أن لا يغتر ويستدل بقوة تصميمه على شيء وكثرة عبادته، أنه على الحق، فإن تصميمه عليه وعدم رجوعه عنه ولو نشر بالمناشير لا يدل على كونه على الحق لأن جزمه وتصميمه عليه ليس من حيث كونه حقًّا بل من حيث نشأته بين قوم يدينون به وللنشأة والمخالطة أثر عظيم في تصميم شيء حقاً كان أو باطلاً، ألا ترى أن مثل هذا التصميم يوجد عامة من ذوي الجهل المركب، كاليهود والنصارى ومن في معناهم، وإن كان كذلك فالواجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يحترز عن الاغترار والميل إلى شيء من البدع والمحدثات، ويصون دينه من العوائد التي استأنس بها وتربى عليها. فإنها سم قاتل، قل من سلم من آفاتها وظهر له الحق معها، ألا ترىٰ أن قريشاً لأجل العوائد التي ألفتها نفوسهم أنكروا على النبي، ﷺ، ما جاء به من الهدى والبيان، وكان ذلك سبباً لكفرهم وطغيانهم، ولذلك كان ابن مسعود يقول: «إياكم وما يحدث من البدع فإن الدين لا يذهب بمرة من القلوب بل الشيطان يحدث لكم بدعاً حتى يذهب الإيمان من قلوبكم».

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يرينا الحقّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

المجلس الرابع

وهو الثامن والخمسون في الأصل

في بيان ذكر الموت ولزوم الاستعداد له

قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا ذكر هادم اللذات الموت»**[١] هذا الحديث من حسان المصابيح، رواه أبو هريرة، ومعناه أن الموت يكسر كل لذة، فأكثروا ذكره حتى تستعدوا له، فإن قوله عليه الصلاة والسلام: أكثروا ذكر هادم اللذات، كلام وجيز مختصر، لكن جمع فيها جميع المواعظ، فإن من ذكر الموت حقيقة، ينغص عليه لذة الحاضر ويمنعه من تمنيها في المستقبل، ويزهده فيما كان يؤمله منها، لكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تكبير اللفظ وتطويل الوعظ، وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام: أكثروا ذكر هادم اللذات الموت مع قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾[٢]. ما يكفي السامع له والناظر فيه، لأن ذكر الموت يُورث استشعار الانزعاج، عن هذه الدّار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الدّار الباقية، إذ قد قال

(١) ابن حبان (٤/ ٢٨١، ٢٨٢) ح (٢٩٨١، ٢٩٨٢، ٢٩٨٣، ٢٩٨٤)، في الجنائز فصل في ذكر الموت من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً وفي الرواية الأخيرة زيادة (الموت). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٨) ح (١٢١١) ونسبه لابن وهب وابن حبان والبزار.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٨٥).

العلماء ليس بعدم محض وفناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة عنه، وتبدل من حال إلى حال، وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب. قد سماه الله ـ تعالى ـ مصيبة. قال: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾(١). فالموت هو المصيبة العظمى وأعظم منه الغفلة عنه، وعدم ذكره وقلة التفكر فيه. إن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر.

وقد قال القرطبي في تذكرته: إن الأمة اجتمعت على أن الموت ليس له سن معلوم ولا مرض معلوم، وإنما كان كذلك ليكون المرء على هيبة منه مستعداً له لكن من غلب عليه حب الدنيا والانهماك في لذاتها لا محالة يغفل عن ذكره ولا يذكره بل إذا ذكر عنده يكرهه وينفر عنه طبعه، لأن غلبة حب الدنيا في قلبه ورسوخ علائقها فيه يمنع عن التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ولا يحب ذكره، وإن ذكره يذكره للتأسف على الدنيا! ويشتغل بذمه ويزيده ذكره بعداً من الله ـ تعالى ـ إذ قد ورد في الحديث أن **«من كره لقاء الله كره الله لقاءه»**(٢). ومع هذا فتذكره للموت خير له، لأن تذكر الموت ينغص عليه نعيمه، ويكدر عليه صفوة لذته، فكل ما يكدر على الإنسان لذته وينغص عليه شهوته، فهو من أسباب سعادته، ولذا قال النبي ﷺ: **«وأكثروا ذكر هادم اللذات»**(٣)، لأن الإنسان لا ينفك في حالتين إما في ضيق ومحنة أو في سعة ونعمة، فإن كان في ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه ما هو فيه بأنه يزول لا يدوم، والموت أصعب منه. وإن كان في سعة ونعمة، فذكر الموت يمنعه عن الاغترار والسكون إليها. كما روي أنه، ﷺ، قال:

---

(١) سورة المائدة، الآية: (١٠٦).

(٢) البخاري (١١/٣٦٤) ح (٦٥٠٧) في الرقاق باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. مسلم (٤/٢٠٦٥) ح (٢٦٨٣) في الذكر باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه من حديث قتادة عن أنس عن عبادة مرفوعاً.

(٣) سبق تخريجه صفحة ص ٣٩٥.

«كفى بالموت واعظاً»[١]!!

وقال اللفاف: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، والحرص على الدنيا، والتكاسل في العبادة. وقالت أم المؤمنين عائشة: «يا رسول الله، هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة»[٢].

وسبب النيل إلى هذه الفضيلة أن ذكر الموت يوجب التجافي عن الدنيا والاستعداد للآخرة. والغفلة عنه تدعوه إلى الانهماك في شهوات الدنيا ولذاتها، ونسيان الآخرة. وقد قال النبي، ﷺ، لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[٣] فكأنه، ﷺ، قال له: إنك مسافر ستسافر إلى الآخرة فلا تتخذ الدنيا ولا تمل إلى حظوظها وحطامها واغتنم صحتك واصرفها في طاعة الله ـ تعالى ـ، واجتهد أن تقدم في حياتك ما تقرّ به عينك يوم الجزاء، وذلك إنما يحصل بذكر الموت، فلذلك كان ذكر الموت أفضل وأنفع، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وعدم ذكرهم له، ومن يذكره لا يذكره بقلب فارغ، بل بقلب مشغول بأشغال الدنيا، فلا ينفع ذكره في قلبه، مع أن الواجب على العبد أن يفرغ قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت، الذي هو بين يديه، فإنه إذا ذكره بقلب فارغ، يوشك أن يؤثر فيه، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه، فإن من كان أسير النفس مصرًّا على الذنوب يجب عليه أن يجتهد في إصلاح نفسه بمداواة قلبه، فإن

(١) أخرجه ابن عساكر من كلام أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ. ولم أقف عليه مرفوعاً.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) الترمذي (٤/٥٦٧) ح (٢٣٣٣) في الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، ابن ماجه (٢/١٣٧٨) ح (٤١١٤) في الزهد باب مثل الدنيا، وأحمد (٢/٢٤) من حديث مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٤٠) ح (٤٥٧٩).

مداواة القلوب واجبة، لا سيما إذا كانت القلوب قاسية فعلاجها بأربعة أشياء، إذ قد قال العلماء: إذا كانت القلوب قاسية فعلى أصحابها أن يلتزموا بأربعة:

الأول: حضور مجالس العلم التي يكثر فيها دعوة الخلق من الدنيا إلى الآخرة، ومن المعصية إلى الطاعة؛ فإن ذلك مما تلين به القلوب، وينجع فيها.

والثاني: ذكر الموت، الذي هو هادم اللذات ومفرّق الجماعات، ميتّم للبنين والبنات.

والثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن النظر إلى المحتضر ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد موته، يقطع عن النفوس لذاتها، وعن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على الطاعات.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن كان قاسي القلب وأسير النفس مصرًّا على الذنوب أن يستعين بها على دوائه. فإن انتفع بها فذاك، وإن عظم عليه رين القلوب، واستحكمت دواعي الذنوب فزيارة القبور يؤثر في ذلك ما لم يؤثر الأول والثاني، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**زوروا القبور فإنها تذكّر الموت والآخرة وتزهّد في الدنيا**»(١). فإن الأول سماع بالأذن، والثاني: إخبار بالقلب بما إليه المصير، وفي مشاهدة من احتضر وزيارة من قبر معاينة، ولذلك كانا أبلغ من الأول والثاني، وقد قال النبي ﷺ: «**ليس الخبر كالمعاينة**»(٢)

---

(١) مسلم (٢/٦٧١) ح (٩٧٦) في الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه من حديث أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) أحمد (١/٢٧١) والحاكم (٢/٣٢١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٩٤٨) رقم (٥٣٧٤) وبرقم (٥٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

لكن الاعتبار والاتعاظ بحال المحتضر غير ممكن في كل وقت من الأوقات. ولا يتّفق لمن يريد علاج قلبه في ساعة من الساعات. وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والانتفاع بها أوسع، لكن ينبغي لمن يقصد زيارة القبور أن يحترز من الزيارة البدعية التي يقصدها أكثر الناس في هذا الزمان، وهي زيارة قبور المتبركين لأجل الصلاة عندها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر والرّزق والولد والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، وغير ذلك من الحاجات التي كان عبّاد الأوثان يسألونها من أوثانهم إذ ليس شيء منها مشروعاً باتفاق علماء المسلمين إذ لم يفعله رسول رب العالمين ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين. بل يتأدب بآدابها، ويكون حاضر القلب في إتيانها، ولا يكون حظه منها الطواف عليها فقط، لأنه حالة تشاركه فيها البهائم، بل يقصد بزيارتها وجه الله تعالى، وإصلاح نفسه، ودواء قلبه ويتجنب المشي على المقابر والجلوس عليها ويخلع نعليه إن دخلها، كما جاء في الحديث ويسلم على أهلها، ويخاطبهم خطاب الحاضرين، ويقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، فإنه، عليه الصلاة والسلام، كان يقول كذلك وإذا وصل إلى ميت ينبغي له أن يأتيه من تلقاء وجهه ويسلم عليه أيضاً لكن إذا أراد أن يدعو يدعو قائماً مستقبل القبلة. وكذلك الكلام في زيارة النبي، ﷺ، ثم يعتبر ممن كان تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن نافس الأصحاب والعشائر وجمع الأموال والذخائر وجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وفي حال لم يرتقبه، فإنه حين دخل القبر وابتلي بالسؤال هل أصاب في الجواب، وكان قبره روضة من رياض الجنة أو أخطأ في الجواب وكان قبره حفرة من حفر النيران، ثم يجعل نفسه كأنه مات ودخل القبر وذهب عنه أهله وولده ومعارفه، وبقي وحيداً فريداً وهو الآن يسأل فماذا يجيب؟ وماذا يكون حال من مضى من إخوانه وأقرانه الذين أملوا الآمال وجمعوا الأموال؟

كيف انقطعت آمالهم؟ ولن تغني عنهم أموالهم، وغيّر التّراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وأرملت بعدهم نساؤهم، وشمل اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم أموالهم، وليعلم أن ميله إلى الدنيا كميلهم! وغفلته كغفلتهم! وأنه لا شك صائر إلى مصيرهم، وليتحقق أن حاله كحالهم، وأن الموت القطيع والهلاك السريع.

القسم الثالث

يتعلق ببيان الشرك ووسائله والتحذير منه عند أهل العلم من المذاهب الأربعة

وفيه أربعة كتب جميعها لمؤلف هذا الكتاب وهي:

١ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنفية

٢ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية

٣ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الشافعية

٤ ـ بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة

بيان الشرك ووسائله

عند أئمة الحنفية

تاليـــف:

د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد:

فإن لعلماء الحنفية الذين انتسبوا إلى أبي حنيفة في الفروع ووافقوه في الأصول جهوداً مشكورة في الرد على أهل البدع القبورية وبيان الشرك وأنواعه، ووسائله ومظاهره في بعض المجتمعات الإسلامية.

وهم بذلك يسيرون في ركب وقافلة العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة الذين تصدوا لحماية جناب التوحيد ومحاربة البدع القبورية وغيرها وسد منافذ الشرك وذرائعه، وهذا يدل على أن بعض من انتسبوا إلى الحنفية قد بذلوا الجهد في محاربة البدع القبورية الشركية كغيرهم من أهل المذاهب فإن لهم في هذا الباب جهوداً مشكورة في الذب عن العقيدة الصافية من الشرك والبدع والدعوة إليها، متبعين أثر الأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم رحمهم الله جميعاً، من أئمة أهل السنة والجماعة الذين استفرغوا الوسع وبذلوا الجهد لحماية حرم التوحيد وصد هجمة الشرك وأهله، وخلافاً لما ظنه البعض من أن الحنابلة وحدهم هم الذين تصدوا لمحاربة البدع الشركية القبورية وغيرها، لكل هؤلاء أُقدِّم طرفاً من جهود الحنفية في هذا المجال لتكون حجة على المبتدعة، وأتبعه إن شاء الله على حسب الوقت والطاقة بما يبرز جهود علماء المالكية والشافعية في هذا المجال أيضاً، وسأورد نماذج من أقوال أئمة الحنفية في تعريف الشرك وأقسامه ووسائله وقد قسمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند علماء الحنفية.

الثاني: أنواع الشرك عند علماء الحنفية.

الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء الحنفية لحماية جناب التوحيد.

الرابع: نماذج من الشرك التي بينها علماء الحنفية.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه وفي موازيني يوم الحساب وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحـــث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء الحنفية

وقبل الشروع في بيان معنى الشرك عند علماء الحنفية، يحسن بنا أن نبين معنى الشرك في اللغة فنقول:

الشرك لغة: الاسم من شركه في كذا يشركه شركاً وشركة، كأشركه كذا يشركه فيه إذا جعل له نصيباً قليلاً أو كثيراً في ذات، أو معنى، ومثله شاركه في كذا يشاركه فيه: كان شريكاً له فيه بقدر كبير أو صغير، في ذات أو وصف، وهو - أي الشرك - **شرعاً**: ضد التوحيد، كالكفر ضد الإيمان.

*** قال الإمام عبد القادر[١] الدهلوي:**

«الشرك هو أن يعتقد المرء في غير الله صفة من صفات الله كأن يقول: إن فلاناً يعلم كل شيء أو يعتقد أن فلاناً يفعل ما يشاء أو يدعي أن فلاناً بيده خيري وشري أو يصرف لغير الله من التعظيم ما لا يليق إلا بالله - تعالى - كأن يسجد للشخص أو يطلب منه حاجة أو يعتقد»[٢].

---

(١) هو عبد القادر بن عبد الرحيم العمري الدهلوي الحنفي أحد العلماء المبرزين توفي سنة ١٢٣٠هـ انظر نزهة الخواطر (٧/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤).
(٢) توضيح القرآن (١/ ١٠٥) (بالأردية).

ومن هذا التعريف يتضح أن الشرك عنده يشمل الشرك بالله ـ تعالى ـ في أفعاله أو صفاته، أو أفعال عباده المقصود بها عبادته.

* **وكذا قال الإمام محمد[(١)] إسماعيل الدهلوي** والشيخ أبو الحسن الندوي واللفظ له: «إن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله ويساوي بينهما بلا فرق. بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله ـ تعالى ـ بذاته العلية وجعلها شعاراً للعبودية ـ لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له، والاستعانة به في الشدة والاعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان وإثبات التصرف له، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح به الإنسان مشركاً»[(٢)].

فهذه التعريفات للشرك توضح بجلاء أن العديد من أئمة الحنفية لم يقتصروا في بيان الشرك وتعريفه على أمر الربوبية فقط، بل كما ترى فإنهم قد جعلوا صرف العبادة لغير الله أيًا كان شركاً أكبر، وذلك هو الشرك الذي يحبط العمل ولا يقبل الله من فاعله صرفاً ولا عدلاً وهذا هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[(٣)] وقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٥)] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن

---

(١) هو محمد إسماعيل بن عبد الغني بن عبد الرحيم العمري الدهلوي الحنفي ولد في دهلي سنة ١١٩٣هـ، توفي سنة ١٢٤٦هـ ومن مصنفاته تقوية الإيمان وتنوير العينين في إثبات رفع اليدين وغير ذلك.

(٢) تقوية الإيمان (٢٢ ـ ٢٣) (بالأردية). ورسالة التوحيد للندوي (٣٢ ـ ٣٣).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٦٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢١٧).

(٥) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

يَشَآءُ ﴾[(١)].

فالمشرك عمله حابط وهو من الخاسرين والجنة محرمة عليه ولن يغفر الله له شركه أبداً.

فكل هذه الصور والأنواع التي ذكروها وأوردوها هي من الشرك الأكبر الذي ظهر عند المتقدمين من العرب وبقي في هذه الأمة، وقد زين لهم الشيطان هذه الأعمال واحتجوا لها بالحجج الواهية كما قال - تعالى - عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[(٢)]. وقال أيضاً: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[(٣)] وغير ذلك، هذا مع أنهم في ذات الوقت يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر كما حكى ذلك عنهم - تعالى - فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[(٤)].

فانظر إلى هذا التناقض العجيب والضلال الغريب! الله هو الذي خلقه ورزقه، ويقر بذلك ثم يعبد غيره! سبحان الله عما يشركون.

ولكون كثير من الجهال يعتقدون بأن توحيد الربوبية هو المطلوب وكفى، سهل عليهم الوقوع في شرك الألوهية فصرفوا العبادة لغير الله، دعاء واستغاثة وغيرهما وما دروا أن «**الدعاء هو العبادة**»[(٥)] كما قال النبي ﷺ.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٣) سورة يونس، الآية: (١٨).

(٤) سورة لقمان، الآية: (٢٥).

(٥) أخرجه أحمد (٤/٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧). وأبو داود (٢/١٦١) في الصلاة باب الدعاء ح (١٤٧٩) والترمذي له (٢١١) ح (٢٩٦٩) في التفسير باب ومن سورة البقرة (٥/٣٧٤) ح (٣٢٤٧) باب ومن سورة المؤمن و (٥/٤٥٦) ح (٣٣٧٢) في الدعاء باب ما جاء في فضل الدعاء وابن ماجه (٢/١٢٥٨) ح (٣٨٢٨) في الدعاء باب فضل الدعاء والبخاري في الأدب المفرد ص (١٠٥) وابن أبي شيبة=

لهذا فإن الوقوع في هذا النوع من الشرك كثير الحدوث سهل الوجود عند كثير من الجهال ومن أسباب ذلك تقصير أهل العلم وانحراف بعض المنتسبين إلى العلم في هذا الباب وغير ذلك ولكن من خلال كلام علماء الحنفية السابق في بيان أنواع الشرك يظهر واضحاً أنهم ساووا بين الشرك في الربوبية والشرك في العبودية وفي الصفات، ولم يقتصروا على نوع منها بل ذكروها كلها.

= في المصنف (٦/ ٢١) ح (٢٩١٦٧) باب فضل الدعاء وابن حبان (٢/ ١٢٤) ح (٨٨٧) (إحسان) والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٧) ح (١١٠٥) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن جرير في التغيير (٢٤/ ٧٨، ٧٩) جميعهم من طريق يسيع الكندي عن النعمان بن بشير مرفوعاً.

المبحث الثاني
أنواع الشرك عند علماء الحنفية

عند استعراض الأنواع المذكورة لاحقاً يتضح لنا جليًا أنها لم تقتصر على جانب الربوبية فقط بل تعدتها كما يأتي لبيان الشرك في العبودية (الألوهية) بل وإلى بيان الشرك في أسماء الله وصفاته وذلك بإسباغ شيء من صفاته - تعالى - على أحد من المخلوقين أو بالغلو في أحد من الخلق حتى يرفع إلى درجة الإله المعبود.

وإليك أقوال[1] بعض علماء الحنفية في بيان أنواع الشرك وأقسامه:

١ - قال الإمام أحمد السرهندي[2]:

(١) يلاحظ أن أقسام الشرك التي سيذكرها علماء الحنفية هي مجرد صور للأعمال الشركية التي تقع في بعض المجتمعات الإسلامية لعموم الجهل ولا شك أنهم اجتهدوا بهذا العمل فلو ذكروا الشرك في العبادة مجملاً مع سوق الأدلة لكان في نظري أجدى، أما وأنهم فصلوا في بيان أنواع الشرك فالعبادات التي يقع فيها شرك غير محصورة في الأعمال المذكورة بل هناك كثيرٌ غيرها فلماذا اقتصر على هذه الحنفية فقط؟ إلا أنها تثبت صحة ما ذهبنا إليه من اهتمام كثير من علماء الحنفية بالتحذير من الشرك في أعمال العبادة.

(٢) هو أحمد بن عبد الأحد السرهندي الحنفي الماتريدي النقشبندي له بيان العقائد على مذهب الماتريدية وتهذيب طريقة الصوفية ورسالة في إثبات النبوة وأخرى في الرد على الشيعة الإمامية وغير ذلك توفي سنة ١٣٠٤هـ بمدرسة سرهند ودفن بها انظر ترجمته في نزهة الخواطر (٥/٤٣ - ٥٥).

الشرك قسمان:

الأول: الشرك في واجب الوجود.

والثاني: الشرك في العبادة.

٢ ـ قول الإمام[١] **أحمد الرومي**: والشيخ سجان بخش الهندي حيث ذكرا ستة أقسام، منها:

(شرك التقريب وهو عبادة غير الله للتقرب[٢] إلى الله)[٣].

٣ ـ وذكر التهانوي[٤] عدة أنواع للشرك، منها:

(١ ـ شرك في العبادة[٥].

٢ ـ الشرك في الطاعة[٦].

---

(١) هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي ويعرف بالرومي من علماء الدولة العثمانية وله تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة تدريساً وإفتاء وتصنيفاً توفي سنة ١٠٤٣هـ انظر ترجمته في هداية العارفين (١/ ١٥٧) ومعجم المؤلفين (٢/ ٨٣).

(٢) والدليل قول الله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر، الآية: (٣)].

(٣) مجالس الأبرار على خزينة الأسرار (١٥٠ ـ ١٥٢).

(٤) هو محمد بن علي بن حامد بن صابر الحنفي العمري التهانوي متكلم أديب فقيه ماتريدي كان حياً قبل سنة (١١٥٨)هـ انظر ترجمة نزهة الخواطر (٦/ ٢٧٨) ومعجم المؤلفين (١١/ ٤٧).

(٥) وذلك لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل، الآية: (٣٦)]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف، الآية: (٥٩)]. وقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الإسراء، الآية: (٢٢)]. يقول لا تصرف عبادتك لغير الله وذلك بعبادة غيره.

(٦) وذلك في مثل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [سورة يس، الآية: (٦٠)]. يقول: ألا تطيعوا الشيطان وتتبعوه فيما يأمركم به من معصية الله فعبادته طاعته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة مريم، الآية: (٤٤)].

٣ ـ الشرك في التسمية[١].

٤ ـ الشرك في العلم[٢].

٥ ـ الشرك في القدرة[٣])[٤].

---

(١) يحتمل أن يراد به التسمية بغير الله ـ تعالى ـ عند الذبح وهنا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٢١)]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٧٣)]. ويحتمل أن يراد به تسمية المولود بالعبودية لغير الله كما يقال عبد الحارث وعبد العزى قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [سورة الأعراف، الآية: (١٩٠)]. أي جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده، والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعبّداه لغير الله. أي إما أن يسمياه بعبد غير الله كـ «عبد الحارث»، «عبد العزى» و «عبد الكعبة» ونحو ذلك. أو يشركا في الله في العبادة، بعد ما منّ الله عليهما بما منّ به، من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام، في آدم وحواء. ثم انتقل الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيراً فلذلك قررهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون، أشد الظلم، سواءً كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال. فإن الله هو الخالق لهم، من نفسٍ واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة، ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه، ويلتذ به. ثم هداهم إلى ما به يحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل، ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات وقتاً موقوتاً، تتشوق إليه نفوسهم ويدعون الله أن يخرجه سويًا صحيحاً، ويشكرون الله أن منّ عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. أفلا يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا في عبادته أحداً ويخلصوا له الدين» انظر تيسير الرحمن (٩/١٢٨ ـ ١٣٠).

(٢) وذلك لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الجن، الآية: (٢٦)]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].

(٣) كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الشعراء، الآيتان: (٧٢، ٧٣)]. وكما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [سورة العنكبوت، الآية: (١٧)].

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون (٤/١٤٦ ـ ١٥٣).

٤ ـ وذكر الإمام ولي الله الدهلوي(١) عدة أقسام للشرك هي:

(١ ـ الشرك في السجود(٢).

٢ ـ الشرك في الاستعانة(٣).

٣ ـ الشرك في النذر(٤).

٤ ـ الشرك في التسمية(٥).

٥ ـ الشرك في الطاعة في التحريم والتحليل(٦).

٦ ـ الشرك في الذبح(٧).

---

(١) هو أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي أحد علماء الدين المتضلعين من مصنفاته الفوز الكبير والبدور البازغة وحجة الله البالغة وغيرها توفي ـ رحمه الله ـ سنة (١١٧٦)هـ بمدينة دهلي انظر نزهة الخواطر (٦/ ٣٩٨ / ٤١٥).

(٢) كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النجم، الآية: (٦٢)].

(٣) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفاتحة، الآية: (٥)]. وكما في قوله ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله» أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما.

(٤) والدليل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الإنسان، الآية: (٧)] وانظر كلام الحنفية في ذلك حاشية ابن عابدين على الرد المحتار (٢/ ٤٣٩، ٤٤٠) والإبداع في مضار الابتداع ص (١٨٩) وكتاب زيارة القبور ص (٢٩) والمجالس الأربعة ص (١٤). وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]. والبحر الرائق (٢/ ٢٩٨)، وروح المعاني (١٧/ ٣١٣).

(٥) سبق الكلام فيه والإشارة إلى مقصوده ودليله.

(٦) كما في قوله الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة، الآية: (٣١)]. وكما في تفسيرها عند الترمذي وغيره «ألم يحلوا لهم الحرام ويحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم؟ قال: بلى قال: «فتلك عبادتهم إياهم».

(٧) والدليل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٦٢)].

=

٧ - تسييب السوائب والبحائر[١].
٨ - الشرك في الحلف[٢][٣].
٩ - الشرك في الحج لغير الله[٤][٥].

= وكما في قول الله - تعالى -: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)]. وانظر كلام الحنفية في ذلك كتاب تحفة الفقهاء (٣/ ٦٧).

(١) لقول الله - تعالى -: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة المائدة، الآية: (١٠٣)]. هذا ذم المشركين الذين شرعوا في الدين، ما لم يأذن به الله، وحرموا ما أحل الله. فجعلوا بآرائهم الفاسدة شيئاً من مواشيهم محرماً على حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما أنزل الله فقال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ وهي: ناقة يشقون أذنها ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة، ولا سائبة وهي؛ ناقة أو بقرة أو شاة إذا بلغت سنًا اصطلحوا عليه سيبوها، فلا تركب ولا يحمل عليها، ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئاً من ماله، يجعله سائبة.
﴿وَلَا حَامٍ﴾ أي جمل يحمى ظهره عن الركوب والحمل إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم. فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم» انظر تيسير الرحمن (٢/ ٣٥٢).

(٢) هذا إذا كان الحالف معتقداً في المحلوف به شيئاً من الكمال والعظمة التي لا تنبغي إلا لله أو كان مساوياً له بالله، وإلا فإن مجرد الحلف باللسان فقط شرك أصغر ولا يخرج من الملة.

(٣) لقول النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر**» أخرجه أبو داود والحاكم وأحمد وغيره.
وفي رواية: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» أخرجه أحمد.
وجاء عن الإمام أبي حنيفة النهي عن الحلف بغير الله فقد قال الإمام أبو حنيفة: «لا يحلف إلا بالله متجرداً بالتوحيد والإخلاص» انظر بدائع الصنائع (٣/ ٨).
وقال ابن نجم الحنفي عمن حلف بغير الله: «ويخاف الكفر على من قال بحياتي وحياتك» انظر البحر الرائق (٥/ ١٢٤) وانظر كلام الحنفية في ذلك في الفتاوى الهندية (٦/ ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦) والبحر الرائق (٣/ ٨٨، ٥/ ١٢٤).

(٤) لقوله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: (٩٧)].

(٥) حجة الله البالغة (١/ ١٨٣)، وفي الطبعة الجديدة (١/ ٥٤٣) ومثله في البدور البازغة (١٢٥/ ١٢٧).

٥ ـ **وذكر الشاه محمد إسماعيل**[(١)] عدة أقسام هي:

١ ـ الشرك بدعاء الأولياء والاستغاثة بهم[(٢)].

٢ ـ الشرك بالنذر والذبح للأولياء[(٣)].

٣ ـ الشرك بالاستعانة بالأولياء[(٤)].

٤ ـ الشرك في التسمية بأن ينسب الأولاد إلى الأولياء بمعنى أنهم من عطاء غير الله وهبة غير الله كنحو عبد النبي، وهبة علي، هبة حسين، هبة المرشد، هبة المدار، هبة سالار وذلك طمعاً في رد البلاء عنهم[(٥)].

٥ ـ الحلف بغير الله[(٦)].

٦ ـ إرسال الظفيرة لغير الله باسم ولي من أولياء الله.

٧ ـ إلباس الولد لباساً خاصًا باسم الولي.

٨ ـ صفد الابن بقيد في رجله باسم ولي من أولياء الله.

٩ ـ السجود لغير الله[(٧)].

١٠ ـ اعتقاد علم الغيب لغير الله[(٨)].

---

(١) تقدم ترجمته.

(٢) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [سورة يونس، الآية: (١٠٦)]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)] وانظر روح المعاني (١١/٩٨، ٦/١٢٩).

(٣) سبق سوق أدلتها.

(٤) سبق سوق أدلتها.

(٥) سبق سوق أدلتها.

(٦) سبق سوق أدلتها.

(٧) سبق سوق أدلتها وانظر البحر الرائق (٥/١٢٤) والمرقاة (٢/٢٠٢). وروح المعاني (١٧/٢١٣).

(٨) سبق سوق أدلتها وانظر كلام حكم من ادعى علم الغيب في كتب الحنفية=

١١ ـ إثبات قدرة التصرف لغير الله[(١)].

ثم قال بعد ذلك: «كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً»[(٢)].

* **وذكر الإمام محمد بن إسماعيل الدهلوي** عدة أقسام في موضع آخر هي:

«١ ـ الشرك في العلم[(٣)].

٢ ـ الشرك في التصرف[(٤)].

٣ ـ الشرك في العبادة[(٥)].

٤ ـ الشرك في العادة أي الأعمال»[(٦)].

وتبعه الشيخ الندوي وشدد النكير على القبورية[(٧)].

= الآتية: الفتاوى الهندية (٦/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥، ٣٢٦) والبحر الرائق (٣/ ٨٨، ٥/ ١٢٤).

(١) سبق سوق أدلتها وانظر كلام الحنفية في البحر الرائق (٢/ ٨٩٢) وروح المعاني (١٧/ ٢١٣) والإبداع ص ١٨٩.

(٢) تقوية الإيمان (١٩/ ٢١) (الطبعة الأردية) ورسالة التوحيد للندوي (٢٥/ ٣٣).

(٣) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [سورة البقرة، الآية: (٢٥٥)].

(٤) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، الآيتان: (٢٢، ٢٣)].

(٥) سبق الكلام عليه.

(٦) رد الإشراك ص (١٦ ـ ١٧).

(٧) رسالة التوحيد ص (٣٤ ـ ٤٠).

المبحث الثالث
وسائل الشرك التي حذر منها علماء الحنفية لحماية جناب التوحيد

لقد صرح علماء الحنفية بالنهي عما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور والبناء عليها[١] وتعليتها[٢] والكتابة عليها[٣] واتخاذها

(١) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ، عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع: بدائع الصنائع (١/ ٣٢٠)، تحفة الفقهاء (٢/ ٢٥٦)، المتانة ص (٢٠١) وفتح الملهم (٢/ ١٢١، ١٢٢)، معارف السنن (٣/ ٣٠٥، ٣٠٧) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص (٣٣٥)، حاشية رد المحتار لابن عابدين (٢/ ٢٣٧)، الفتاوى الهندية (١/ ١٩٤) البحر الرائق (٢/ ١٩٤)، المبسوط (٢/ ٦٢)، حاشية مراقي الفلاح ص (٤٠٥) والإبداع (١٩٧) وزيارة القبور ص (٢٩).

(٢) لما ورد عند مسلم وغيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ بعثه وأمره ألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه.
وللاستزادة في معرفة موقف أئمة الحنفية من ذلك راجع تبيين الحقائق للزيلعي (١/ ٢٦٤) فتح الملهم (٢/ ٥٠٦) وروح المعاني (١٥/ ٣٧) وفتح القدير (٢/ ١٤١).

(٣) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» وللتعرف عن موقف الحنفية راجع: بدائع الصنائع (١/ ٣٢٠) وتحفة الفقهاء (٢/ ٢٥٦) وتبيين الحقائق (١/ ٢٦٤) وحاشية مراقي الفلاح ومراقي الفلاح (٤٠٥) والإبداع ص (١٩٧).

مساجد[١] وإسراجها[٢] واستقبالها للصلاة والدعاء[٣] واتخاذها أعياداً[٤] وشد الرحال إليها[٥].

---

(١) قال النبي ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**» أخرجه مسلم وغيره وراجع لمعرفة موقف الحنفية: تبيين الحقائق (١/ ٢٦٤) وروح المعاني (١٥/ ٢٣٧) والمرقاة في شرح المشكاة (٢/ ٢٢) والكواكب الدراري (١/ ٣١٦، ٣١٧) زيارة القبور للبرعوي ص (٢٩) والمجالس الأربعة ص (١٣).

(٢) في الحديث: «**لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الكواكب الدراري (١/ ٣١٧) والإبداع ص (١٨٩) زيارة القبور ص (٢٩) والمجالس الأربعة ص (١٣).

(٣) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها» وقد كره أبو حنيفة استقبال قبر النبي ﷺ، وقت الدعاء. وانظر: التوسل والوسيلة ص (٢٩٣) وروح المعاني (٦/ ١٢٥) ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/ ٣١٣).

(٤) أخرج أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الإبداع ص (١٨٥).

(٥) أخرجه أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمطي أن تشد رحالهم إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**».

المبحـــث الرابـــع
نماذج من الشرك التي حذر منها علماء الحنفية

مما قد يكون مدعاة للاستغراب بعد أن بينا أن المشركين من العرب لم يشركوا في أمر الربوبية بل في أمر الألوهية، أقول مما قد يستغرب القول بأن هناك الكثير من المظاهر لوجود شرك في الربوبية بين أفراد الأمة الإسلامية اليوم، غير أن هذا الاستغراب سوف يزول لا شك إن وقف القارىء على بعض هذه المظاهر التي سوف يأتي ذكرها في هذا المبحث، وقد أطيل في بعض النقول لأهميته.

* **وقال محمد علاء الدين الحصكفي**(١) فيمن نذر لغير الله:

«واعلم أن الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم للشمع والزيت ونحوهما إلى ضرائح الأولياء الكرام تقرباً إليهم هو بالإجماع باطل وحرام»(٢).

* **قال ابن عابدين شارحاً هذا النص:**

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي مفتي الحنفية في دمشق من تصانيفه الدر المختار في شرح تنوير الأبصار وإفاضة الأنوار على أصول المنار توفي سنة (١٠٨٨هـ) انظر خلاصة الأثر (٤/ ٦٣ ـ ٦٥) والأعلام (٦/ ٢٩٤).

(٢) الدر المختار مع رد المحتار (٢/ ٤٣٩).

«قوله: تقرباً، كأن يقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو من الطعام أو من الشمع والزيت كذا قوله «باطل وحرام» لوجوه منها أنه:

«نذر لمخلوق والنذر لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك..»[١].

* **وقال الآلوسي** واصفاً حال المستغيثين بغير الله وتعلقهم الشديد بالأموات حيث صرفوا لهم أنواعاً من الطاعات كالنذر وغيره: (وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[٢]. إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله ـ تعالى ـ حيث يستغيثون بهم في الشدة ـ أي الأولياء ـ غافلين عن الله ـ تعالى ـ وينذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلى الله ـ تعالى ـ وإنما ننذر لله ـ عز وجل ـ ونجعل ثوابه للولي ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك.

* **قال محمد بن يحيى بن محمد الكندهلوي الحنفي**[٣]:

(وأما اتخاذ المساجد عليها فلما فيه من الشبه باليهود باتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعبدة الأصنام.. وأما اتخاذ السرج عليها فمع ما فيه من إسراف في ماله المنهي عنه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ

---

(١) رد المحتار على الدر المختار (٢/ ٤٤٩ ـ ٤٤٠).

(٢) سورة الحج، الآية: (٧٣).

(٣) هو محمد يحيى بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي الحنفي كان أديباً وعالماً فاضلاً ذا ملكة علمية راسخة من مصنفاته الكواكب الدراري توفي سنة (١٣٣٤هـ). انظر مقدمة محقق المصنف لابن أبي شيبة (١/ ٢٧) العناقيد الغالية ص (٤٧).

وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[١].

ففيه تشبه باليهود فإنهم كانوا يسرجون المصابيح على قبور كبرائهم وتعظيم للقبور وانشغال بما لا يعنيه..)[٢].

*** وقال الآلوسي الحنفي:**

(ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالحجر والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك.. وكل ذلك محادة لله ـ تعالى ـ ورسوله، ﷺ، وإبداع دين لم يأذن به الله ـ عز وجل ـ.. ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله، ﷺ، في قبره عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل قبر على وجه الأرض.. والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له، والسلام عليه عليه الصلاة والسلام.

(فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتولى هداك..)[٣].

*** وقال الإمام ولي الله الدهلوي:**

(وإذا كنت ـ أيها القارىء ـ تتوقف بصحة ما يقال عن عقائد المشركين وأعمالهم فانظر إلى المخرفين في هذا العصر، لا سيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام، ما هي تصوراتهم عن «الولاية»، فرغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في عصرنا هذا من المستحيلات، ويؤمون القبور والعتبات، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك والبدع والخرافات، وتمكن منهم التحريف والتشبيه، وتغلغل في نفوسهم حتى لم تبق بحكم ما جاء في الحديث الصحيح:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٢٧).

(٢) الكواكب الدراري (١/٣١٦ ـ ٣١٧).

(٣) روح المعاني (١٥/٢٣٩ ـ ٢٤٠).

«**لتتبعن سنن من كان قبلكم**. . إلخ» بلية من البلايا ولا فتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين ـ اسماً ـ تخوض فيها وتتعلق بها، عافانا الله ـ سبحانه ـ من ذلك.

وبالجملة فإن رحمة الله ـ تعالى ـ اقتضت بعثة سيد الأنبياء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه في الجزيرة العربية، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، ومجادلة هذه الفرق الباطلة عن طريق القرآن العظيم، وقد كان الاستدلال في مجادلتهم بالمسلمات التي هي من بقايا الملة الإبراهيمية، ليتحقق الإلزام ويقع الإفحام)[(١)] وقال في البدور البازغة: (صدق رسول الله، ﷺ، حيث قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**»[(٢)].

ألا ترى أن مشركي مكة كانوا يذعنون بانصرام سلسلة الوجود إلى الله كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(٣)] وما أغناهم ذلك عن الإشراك بالله ـ تعالى ـ، وربما قرع سمعك فيما يسرد من الأخبار أن العلم سيرفع بين يدي القيامة فيتمارى رجلان، يقول أحدهما: إياك ستين ويقول الآخر: إياك سبعين فيرفعان القضية إلى أعلمهم. فيقول: إياك تسعين وأقسم بالذي نفسي بيده إنه قد وقع في آيات آخر، فلست أرى أحداً إلا وفيه الإشراك كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[(٤)] وكفّر الله ـ تعالى سبحانه ـ مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحجاج أنه نصب منصب الألوهية

---

(١) الفوز الكبير ص (٢٦) وانظر الطبعة القديمة ص (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن إسرائيل (٦/ ٤٩٤)، (٣٤٥٦) كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤) ح (٢٦٦٩) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٣) سورة لقمان، الآية: (٢٥).

(٤) سورة يوسف، الآية: (١٠٦).

فجعلوا يستعينون به عند الشدائد.

ولقد علمنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأيمن التحيات فيما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: سمعته يعني رسول الله، ﷺ، يقرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]. قال: «**إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه**»[2]. فقد علمنا أن الشرك ليس بمحصور في العبادة، بل قد يكون بهذا النحو ولعل رجلاً عريض القفا يقول وكيف هذا؟ وما سمعنا رجلاً يقول بذلك! فنقول له: اعلم أن التحريف ليس هو اعتياض لفظ مكان لفظ كما وقف عليه فهوم العامة، بل شأن التحريف أهول من ذلك ـ وأكثر أنواعه وجوداً أن يقلب اللفظ من ظاهر مراده إلى هواه وهواجس نفسه، فقد أشار السيد عليه الصلاة والسلام إلى أنه سيوجد رجال يسمون الخمر بغير اسمها ويسمون الزنا بغير اسمه ثم يقولون ما هذا حرم الله ـ تعالى ـ في كتابه فعليكم به لا بأس ـ ألست ترى أقواماً يقولون إن المسكر الذي يتخذ من العسل وما يماثله ليس بخمر ثم أحلوه، فأولئك الذين فيهم قال رسول الله، ﷺ، ما قال، وأقواماً يقولون إذا وطىء الرجل أمة ابنه فذلك حلال له، فأولئك قوم أركسوا على وجوههم وغرتهم الأماني فسوف يعلمون غداً من الكذاب الأشر، ألست ترى أقواماً يذعنون لأقوالهم ويجدون في صدورهم استحلال ما أحلوه حتى إنهم كادوا يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله ـ تعالى ـ ألست تراهم إذا قيل لهم دعونا من أقوال الناس فهم قد يصيبون وقد يخطئون وعليكم بالكتاب وبما حكاه الصادق المصدوق عليه السلام من أمر الله

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٢) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة (٥/٢١٨) ح (٣٠٩٥) وابن جرير في (١٠/١١٤) والبيهقي في السنن (١٠/١١٦) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال الترمذي: (حديث غريب).

ـ تعالى ـ قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾[(١)]﴾[(٢)] وخطأوا هذا الرأي بل عسى أن يقتلوهم إن استطاعوا، فأولئك هم المشركون حقاً، ولقد اقشعر جلدي حين بلغني ما يسرد في الأساطير عن رجل اعترفوا له بالفضل أنه قال لو تجلى الله ـ سبحانه ـ يوم القيامة على غير صورة فلان ما رأيته فقد حط بالله ـ سبحانه ـ درجته عن فلان فإن صدقت الرواية، فليس بمعذور عند الله تعالى)[(٣)].

* **وقال الإمام إسماعيل الدهلوي** في كتابه تقوية الإيمان وتبعه أبو الحسن الندوي في رسالة التوحيد واللفظ له: استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس:

اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر، وأصبح التوحيد الخالص غريباً، ولكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به، فمن المهم قبل كل شيء أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد، ويعرفوا حكمهما في القرآن والحديث.

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء، والأئمة[(٤)] والشهداء، والملائكة، والجنيات عند الشدائد،

---

(١) في المطبوعة (لمقتدون).
(٢) سورة الزخرف، الآية: (٢٣).
(٣) البدور البازغة ص (١٦٧ ـ ١٧٠).
(٤) يعني أئمة أهل البيت الذين غلت فيهم الشيعة، وأحاطوهم بهالات من التقديس والتعظيم ويعتقدون فيهم العصمة، والاطلاع على الغيب، ويفسرون الإمامة تفسيراً يجعلها مشاركة للنبوة، بل منافسة لها في كثير من الخصائص، وقد تأثر أهل السنة بكثير من العقائد الشيعية في الهند بتأثير الحكام والأمراء، وحكم=

ويصرخون بأسمائها، ويسألون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها قرابين لتسعفهم بحاجاتهم، وتقضي مآربهم، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعاً في رد البلاء، فيسمي بعضهم ابنه بعبد النبي وبعضهم بعلي بخش، وحسين بخش، وبير بخش، ومدار بخش[(١)]، وسالار بخش[(٢)] ولا بأس بما نقوله في الأنبياء من الحب والتقدير، أما إذا عدلناهم بالله واعتقدنا أنهم والله - جل وعلا - بمنزلة سواء، كان ذلك شركاً، لا شك فيه، ولكننا لا نقول بذلك، بل نعتقد بالعكس، إنهم خلق الله وعبيده، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم، (فهما)[(٣)] مما أكرمهم الله وخصهم به، فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن منه ورضاه، فما كان نداؤنا لهم، واستعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند الله دالة ومكانة ليست لغيرهم، قد أطلق أيديهم في ملكه، وحكمهم في خلقه،

= الاختلاط بهم والجهل بالإسلام، قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

(١) هو الشيخ الكبير المعمر بديع الدين المدار الحلبي المكنبوري، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائع الغريبة ما يأباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل القرى في الهند ودخل اسمه في الأمثال السائرة عند عوام الناس، وهو مؤسس الطريقة المدارية التي انحرفت في العهد الأخير، ودخل فيها الشيء الكثير من الخرافات والرياضات البهلوانية، كانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة (٨٤٤هـ). قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) هو السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند، نسجت حوله أساطير كثيرة، وشخصيته لم يسلط عليها الضوء الكافي علميًا وتاريخيًا، ذكره ابن بطوطة في رحلته، وقال إنه فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة، وغزوات شهيرة، مات شهيداً سنة (٥٨٨هـ)، ودفن في مدينة بهرائج في الولاية الشمالية في الهند، قال في «نزهة الخواطر»: بنى على قبره ملوك الهند عمارة سامية البناء، والناس يفدون إليه من بلاد شاسعة، ويزعمون أنه كان عزباً شاباً لم يتزوج، فيزوجونه كل سنة، ويحتفلون لعرسه وينذرون له أعلاماً فينصبونها على قبره، قاله أبو الحسن الندوي.

(٣) هكذا في الأصل لعل الصواب (فهو).

يفعلون ما يشاؤون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله، ووكلاؤنا عنده، فمن حظي عندهم، ووقع عندهم بمكان، كانت له حظوة ومنزلة عند الله، وكلما اشتدت معرفته بهم، اشتدت معرفته بالله، إلى غير ذلك من التأويلات الكاسدة، والحجج الداحضة، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وحديث رسوله وراءهم، وسمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه، وتشبثوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لا تستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية، وعادات جاهلية، وإن كانوا عولوا على كلام الله ورسوله وعنوا بتحقيقه، لعرفوا أنها نفس التأويلات، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي، ﷺ، ويحاجونه بها، ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها فقال في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[1] وقد علمنا من هذه الآية أنه لا يوجد في سماء ولا أرض من يشفع لأحد، وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء إلا بإذن ربهم، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2] فإذا ناداهم أحد، أو صرخ باسمهم، أو لم يناده ولم يصرخ باسمهم، فلا يتحقق إلا ما يريده الله وما يأمر به.

حقيقة شرك أهل الجاهلية وضلالهم:

وكذلك تبين أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي، ﷺ، لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله، ويرونهم مع الله بمنزلة سواء، بل كانوا

(١) سورة يونس، الآية: (١٨).
(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).

يقرون بأنهم مخلوقون لله، ولم يكونوا يعتقدون أبداً أن آلهتهم لا يقلون عن الله قدرة وقوة، وهم، والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم، والنذور التي كانوا ينذرونها لهم، والقرابين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، واتخاذهم لهم شفعاء، ووكلاء فمن عامل أحداً بما عامل به الكفار آلهتهم، وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد، كان هو وأبو جهل في الشرك بمنزلة سواء.

خلال الشرك وأعماله:

فاعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله، ويساوي بينهما، بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، أن يأتي بها لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك، أو الجني الذي يسجد له أو يذبح، أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من الله شأناً، وأصغر منه مكاناً، وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت، والجنيات فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركاً، لذلك وصف الله اليهود والنصارى، الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم، مثلما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف به عباد الأوثان والمشركين وغضب على هؤلاء، الغلاة المنحرفين، كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: (٣١).

وقد ذكر أن جميع الخلق سواءً كانوا علماء أو عباداً، حكاماً أو ملوكاً، كلهم عبيد خاضعون، عاجزون ضعفاء، لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا يملكون إذا بعثهم الله، وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين مستسلمين، طائعين منقادين، يقول الله ـ تعالى ـ في سورة مريم: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾[1]، فظهر أنه هو المتصرف وحده، وأنه لا يملك أحداً غيره ولا يمكنه فيه، وأن الناس يأتون ربهم فرادى لا يمنع أحد آخر، وقد تضافرت الآيات على ذلك وكثرت.

ومن تأمل في آيتين أو ثلاث من الآيات الكثيرة التي سردناها، وغيرها من الآيات التي لم يتسع المجال لذكرها، عرف الفرق بين الشرك والتوحيد، وتجلت له حقيقتهما، وقد آن الأوان لأن نذكر الخلال والأعمال التي خصصها الله بذاته العلية، ولم يأذن لغيره أن يكون له نصيب منها، وهي كثيرة يطول ذكرها، ولكن لا بد أن نخص بالذكر منها ما يستطيع القارىء، الفهم الذكي أن يقيس عليها، ويميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى:

وفي مقدمة هذه الأمور، أنه من شأن الله وحده أن يكون حاضراً وناظراً في كل مكان، يعلم ما دَقَّ وجَلَّ، وبَعُدَ أو دَنا، أو خَفِيَ أو ظَهَرَ، لا تخفى عليه خافية في أي وقت، لا فرق في ذلك بين نور وظلمة، وبين سماوات وأراضين، وبين قمم الجبال، وأغوار البحار، هذا العلم المحيط الشامل لكل زمان ومكان، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، صفة خاصة بالله ـ تعالى ـ لا يشاركه فيها أحد، فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق، ويناديه قائماً وقاعداً، وعن قرب وبعد،

(١) سورة مريم، الآيات: (٩٣ ـ ٩٥).

ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء، ودفع الأعداء، ويختم ختمة باسمه، أو يراقبه ويركز فكره عليه، ويصرف همته إليه، متمثلاً صورته كأنه يشاهده، ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب، أو تمثل صورته، أو قبره، واستحضرهما، علم بذلك وعرفه، وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء، وأنه مطلع على ما ينتابه من مرض وصحة، وعسر ويسر، وموت وحياة، وحزن وسرور، ولا يتفوه بشيء من كلام، وتنطق به شفتاه، ولا يساوره هم من الهموم، ولا يجول بخاطره معنى، إلا وعلم ذلك، واطلع عليه، كان بذلك مشركاً، وكل ذلك يدخل في الشرك.

ويسمى هذا النوع «الإشراك في العلم» وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله، وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي، أو شيخ أو شهيد، أو إمام[١] أو سليل إمام، أو عفريت أو جنية، سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته، أو يعلم أنه منحة من الله، وعطاء منه، وقد استقل بهذا العلم، وأصبح له صفة لا تنفك عنه كل ذلك شرك.

التصرف المطلق بالإرادة، والقدرة لكماله من خصائص الله تعالى:

والشيء الثاني يجب أن يعتقد الإنسان، أن التصرف في العلم بالإرادة، وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء، والبسط والقبض في الرزق، والإفاضة بالصحة والمرض، والفتح والهزيمة، وتسخير القضاء والقدر لإنسان، يكون النصر دائماً حليفه، ويكون محظوظاً لا تزال أموره في إقبال أو بالعكس فتدبر عنه الدنيا، ويلج به الخذلان، وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني، ودفع البلايا، والإغاثة في الشدائد، وإلهاف الملهوف، وإنهاض العاثر، هذه كلها من خصائص الله ـ تعالى ـ لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء، والشهداء

(١) يعني أئمة أهل البيت قاله معرب الكتاب: الشيخ أبو الحسن الندوي.

والصلحاء، والعفاريت والجنيات، فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم، وطلب منه حاجاته، وقرب القرابين والنذور لأجل ذلك، أو استصرخه في نازلة، كان مشركاً، ويقال لهذا النوع «الإشراك في التصرف» سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم، أو يعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - وهبهم هذه القدرة، وخلع عليهم هذه الكرامة.

أعمال العبادة وشعائرها، خاصة بالله تعالى:

والشيء الثالث أن الله - سبحانه وتعالى - خص أعمال التعظيم لنفسه، وهي التي تسمى «عبادة» كالسجود والركوع، والوقوف بخشوع وتواضع (مثلاً يضع يده اليمنى على اليسرى)[١] وإنفاق المال باسم من يعتقد فيه الصلاح أو العظمة، والصوم له، وقصد بيته من أنحاء بعيدة، وشد الرحل إليه بوجه يعرف كل من رآه أنه يؤم بيته حاجًا زائراً، والهتاف باسمه في الطريق كالتلبية، والتجنب من الرفث والفسوق، والقنص وصيد الحيوانات، ويمضي بهذه الآداب والقيود، ويطوف بالبيت، ويسجد له، ويسوق الهدي إليه وينذر النذور هناك، ويكسو ذلك البيت، كما تكسى الكعبة، والوقوف على عتبته، والإقبال على الدعاء والاستغاثة، والسؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة، وبلوغ الأماني، وتقبيل حجر من أحجار هذا البيت والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره، وإنارة السرج والمصابيح حوله تعظيماً وتعبداً، والاشتغال بذاته، والقيام بجميع الأعمال التي يقوم بها السدنة من كنس وإنارة، وفرش وسقاية، وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بئره تبركاً، وصبه على الجسم، وتوزيعه على الناس، وحمله إلى من

---

(١) كما كان يقف السيد بين يدي سادتهم في مجلس الملوك في بلاد العجم. قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

قلت: ومن هذا القبيل ما نرى كثيراً في القبورية الجهلة في مسجد رسول الله ﷺ يضع أحدهم يده اليمنى على اليسرى قائماً بأتم خشوع وخضوع متوجهاً إلى القبر الشريف ويخشعون أكثر من خشوعهم لله في الصلاة.

لم يحضر، والمشي مدبراً عند العودة، حتى لا يولي البيت دبره، واحترام الغابة التي تحيط به، والتأدب معها، فلا يقتل صيدها، ولا يعضد شجرها، ولايختلي خلاها، ولا يرعى ماشية في حماها.

كل هذه الأعمال علمها رب العالمين عباده، وأفردها لنفسه، فمن أتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو لقبر محقق، أو مزور، أو لنصب، أو لمكان عبادة، عكف فيها أحد الصالحين على العبادة والذكر والرياضة، أو لبيت، أو لأثر من آثار أحد الصالحين، يتبرك به، أو شعار يعرف به، أو يسجد لتابوت أو يركع له، أو يصوم باسمه[1] أو يقف أمامه خاشعاً متواضعاً، واضعاً إحدى يديه على الأخرى، أو يقرب له حيواناً، أو يؤم بيتاً من هذه البيوت من بعيد، فيشد إليه الرحل، أو يوقد السرج فيه تعظيماً وتعبداً، أو يكسوه بكسوة (كما تكسى الكعبة) أو يضع على ضريح ستوراً[2]، أو يغرز علماً، أو

(١) يظهر أن بدعة الصوم بأسماء الصالحين والصالحات من الأمة، قد ظهرت في العصر القديم في الهند، وقد يكون الصوم لشخصيات خيالية لا وجود لها، ولهذا الصوم أحكام وآداب في النية والإفطار، وأيام محدودة، ويطلب منه قضاء الحاجات من أولئك الذين يصام باسمهم، والاستعانة بهم، وقد شنع على ذلك الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (المتوفى ١٠٣٤هـ) في رسالة له إلى إحدى الصالحات من أتباعه، وعده إشراكاً في العبادة، (رسالة رقم (٣/ ٤١) رسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد، قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) اعتاد الغلاة في تعظيم الأموات والقبور أن يكسوا ضرائح الأولياء والصالحين بالستور والثياب، ويعاملوها معاملة الأحياء من المشايخ العظماء، قاله أبو الحسن الندوي، وقد ظهرت هذه البدعة في بعض البلاد العربية، يقول الشيخ علي محفوظ الحنفي في كتابه «الإبداع في مضار الابتداع»: «ولكن خدمة الأضرحة سولها لهم الشيطان، ذلك ليفتح لهم باباً من الأرزاق الخبيث، فتراهم إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت لكل عام، أو إذا بلي، يوهمون العوام أن بها من البركة ما لا يحاط به، وأنها نافعة في الشفاء من الأمراض، ودفع الحساد وجلب الأرزاق والسلامة من كل المكارة، والأمن عن جميع المخاوف، فتهافت عليها البسطاء، وهان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها، (الإبداع ص ٩٦ ـ ٩٧).

عوداً باسمه[١] وإذا رجع على أعقابه، أو يقبل القبر، أو يحرك المراوح عليه، ليذب الذباب، كما يفعل الخدم مع أسيادهم الأحياء، أو ينصب عليه سرادقاً، أو يقبل عتبته، ويضع اليمنى على اليسرى، ويتضرع إليه، أو يجلس على ضريح سادناً وقيّماً، ويتأدب مع ما يحيط به من أشجار وآجام، وأعشاب، فلا يتعرض لها بإهانة أو إزالة، إلى غير ذلك من الأعمال والالتزامات، فقد تحقق عليه الشرك، ويسمى «إشراكاً في العبادة» سواءاً اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها، وأنها جديرة بذلك، أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هذه الأشياء، وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم.

۞ علامات التعظيم الدال على العبودية والاستكانة، خاصة بالله تعالى:

الرابع أن الله علم عباده طرقاً يستقيم بها إيمانهم، وتنزل البركة في حياتهم الدنيا، وتتحقق بها مطالبهم، منها النذر لله في الشدة، ونزول البلاء، والنداء باسمه عند كربة وضيق، وافتتاح كل عمل باسمه، والذبح له حين يرزقون ولداً شكراً لله ـ تعالى ـ وتسميتهم بأسماء يتجلى فيها التوحيد والعبودية، كعبد الله، وعبد الرحمن، وهبة الله، وجاد المولى، وعطاء الله، وأمة الله، وعطية الرحمن[٢]، وتخصيص جزء من حواصل المزارع وثمار البساتين باسم الله ـ تعالى ـ وتخصيص جزء من المال، والماشية، ونذره لله ـ تعالى ـ وتعظيم الهدي والقلائد لبيت الله، وامتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه في المأكل، والمشرب، والملبس، واعتقاد أن كل ما يصيبه من خير وشر، ومجاعة، ورخص وغلاء، وصحة وسقم، وفتح وهزيمة، وسعد وشقاء، ومساعدة الحظ وتخلفه، وحزن

---

(١) وهي من عادات الغلاة والجهال في الهند قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية تنطق بالتوحيد، وتنم عن العقيدة الصحيحة كـ «خدا بخش» يعني هبة الله، «الله ديا» يعني عطية الله، غيرناها بأسماء شائعة في بلاد العرب، تسهيلاً للقارىء العربي قاله أبو الحسن الندوي.

وفرح، كله في قبضته، والإحالة إلى مشيئته قبل ذكر إرادته، فيقول سأعمل كذا إذا شاء الله، وتعظيم اسمه تعظيماً تتجلى فيه قدرة الله، وعجز العبيد، فيقول مثلاً ربي، وسيدي، وخالقي، وإذا أراد أن يحلف يحلف باسمه، إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره، فمن أتى بذلك للأنبياء والأولياء والشهداء، والعفاريت والجنيات، مثلاً ينذر لها إذا ألمت به كربة، أو نزلت به ضائقة. أو ينادي بأسمائها عند مرضه أو نزاله أو يفتح عمله بأسمائها وإذا رزق ولداً، نذر لها نذوراً أو سمى أولاده، بعبد النبي، أو «إمام بخش» أو «بير بخش» ويخصص جزءاً من الحبوب أو الثمرات لها، ويقدم لها مما أخرجته الأرض من زروع وثمار، ثم يستعمله في أغراضه ويخصص من المال وقطعان الأنعام، أموالاً ودواباً ثم يتأدب معها فلا يضربها، ولا يزجرها عن العلف والتبن ولا يضربها بعصاً أو حجر أدباً وتعظيماً، ويتمسك بالعادات القديمة، والأعراف الشائعة في الأكل والشرب واللباس، ويتقيد بها كما يتقيد بأحكام الشريعة، فيحرم طعاماً ولباساً لأناس ويحظرهما على طبقة (كالذكور والإناث ويبيعهما لأخرى، فيقول: إن الطعام الفلاني لا يقربه الرجال)[١]، وإن الطعام الفلاني لا تقربه الجواري، ولا تقربه المرأة التي تزوجت بزوج ثان وإن الخبيص الذي يعد باسم الشيخ عبد الحق[٢] لا يأكله من يستعمل النارجيلة[٣] وينسب ما يحدث من خير وشر، وما

---

(١) نوع من الطبخ يطبخ في الهند باسم السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ، يمنع منه الرجال دون النساء، فلا يأكلونه، ولا يقربونه قاله أبو الحسن الندوي.

(٢) يعني الشيخ عبد الحق الدهلوي من كبار المشايخ والمربين ومن أئمة الطريقة الجشتية في الهند، ولد ونشأ في «ردولي» من توابع لكناؤ، وكان له شأن رفيع في التوحيد وتعظيم الشريعة، والمحافظة على الفرائض والسنن، ودعاء الخلق إلى الله، والتجريد والتفريد، توفي سنة(٨٣٦هـ)، وقد اخترع الغلاة والجهال في الهند طعاماً خاصاً يسمونه بـ «زاد الشيخ عبد الحق» يركب من السميد والسكر، وله آداب وقيود يحافظ عليها بشدة. الخبيص: الحلواة المخبوصة وخبص الشيء بالشيء: خلطه. قاله أبو الحسن الندوي.

(٣) يعني الشيشة. قاله أبو الحسن الندوي.

ينتاب من بؤس ورخاء، إلى هؤلاء المشايخ والأولياء، فيقول: إن فلاناً أدركته لعنة فلان، فجن، وفلان طرده فلان فافتقر، وفلان أنعم عليه فلان فساعده الحظ، وحالفه الإقبال، وأصابت الناس المجاعة بنوء كذا، ونوء كذا، وفلان بدأ عمله يوم كذا، وفي ساعة كذا فلم يوفق، ولم يتم، أو يقول: إن شاء الله ورسوله كان كذا، أو يقول: إن شاء شيخي وقع كذا، أو يضفي على من يعظمه أسماء وصفات تختص بالله، وهي من نعوت العظمة والكبرياء، والغنى عن الخلق، والقدرة المطلقة، والجود الذي لا نهاية له، أو القهر والجبروت، مثل المعبود، وأغنى الأغنياء، وإله الآلهة، ومالك الملك، وملك الملوك، أو يحلف بالنبي، أو بعلي، أو بأحد أولاده (الذين يسميهم الشيعة الأئمة الاثني عشر) أو بشيخ، أو بقبره، كل ذلك يتحقق منه الشرك ويسمى «الإشراك في العبادة» يعني أن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظيماً، لا يليق إلا بالله.

وهذه الأنواع الأربعة للشرك، قد جاء ذكرها صريحاً في القرآن والحديث»(١).

بعد ذكر هذه النماذج التي أوردها علماء الحنفية لبيان أن الشرك واقع في هذه الأمة، يتبين لك أن كل هذا يدحض قول من زعم أن الشرك الأكبر لا يمكن أن يظهر في أمة محمد، ﷺ، ويتضح لكل ذي لب أن صوراً متنوعة ومتعددة من الشرك الأكبر قد وقعت وتقع في أمة محمد، ﷺ، ويكفي للتدليل على وقوعه قول النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»**(٢) وفي لفظ **«حتى يعبد فئات من أمتي الأوثان»**.

---

(١) رسالة التوحيد ص (٢٥ ـ ٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ح (٤٢٥٢) وأصله عند مسلم (٤/٢٢١٥) وقال الألباني عنه في تحذير الساجد ص (١٢٠) (على شرط مسلم).

وقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**»[(١)] وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة.

وقوله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَد اللات والعزى..**»[(٢)].

فهذه الأمور المذكورة في الأحاديث وإن لم تقع بظاهرها حتى الآن فإنها واقعة لا شك ولكن قد ظهر في الأمة عبادة المخلوقين من أولياء وغيرهم وصرف العبادة إليهم من ذبح ونذر ودعاء واستغاثة وغير ذلك وهذا شرك أكبر لا ينكره إلا جاحد.

وقد حذر النبي ﷺ من الشرك الذي لا ينتبه إليه كثير من الناس حيث قال: «**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى تُعبد الأوثان (١٣/ ٧٦) ح (٧١١٦) ومسلم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٤/ ٢٢٣٠) ح (٢٩٠٦) كلاهما من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (٤/ ٢٢٣٠) ح (٢٩٠٧) من طريق أبي سلمة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٧٠ ـ ٧١) ح (٢٩٥٤٧) باب التعوذ من الشرك، والبخاري في التاريخ الكبير (٥٨ كنى) جميعهم من طريق رجل من بني كاهل عن أبي موسى الأشعري، قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٣): (رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان).
وأبو يعلى في مسنده (١/ ٦٠ ـ ٦٢) ح (٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦) من حديث حذيفة عن أبي بكر مرفوعاً ومن حديث معقل بن يسار عنه مرفوعاً وذكره الحافظ في المطالب (٣/ ١٨٣) وعزاه إلى مسند إسحاق بن راهويه ورواه أبو بكر المروزي في مسند أبي بكر ص (٥٥) والبخاري في الأدب المفرد ص (١٠٥) من رواية معقل عن أبي بكر مرفوعاً رواه الحكيم الترمذي ص (٣٩٧) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٤) (رواه أبو يعلى عن شيخه عمرو بن الحصين العقلي=

فإن قال قائل: كيف يقر إنسان بالخالق - سبحانه وتعالى - وبالقيامة وبالبعث وبشرائع الإسلام، ثم تطلقون عليه الكفر أو الشرك لكونه معتقداً في مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله أو هاتفاً باسمه داعياً له؟ هذا مع أنهم لا يرضون بتسميتهم مشركين، بل ينفرون من ذلك أشد النفور.

فالجواب أن يقال: إن المسلم قد يطرأ عليه من الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد التأثير في كوكب أو اعتقاد النفع والضر لمخلوق وغير ذلك، أو قد يطرأ عليه أعمال كالسجود لغير الله وغير ذلك فهذه الأمور وما يشاكلها ترفع عنه اسم الإسلام، وتخلع عليه اسم الكفر والشرك ويصير بذلك مشركاً مرتداً، وإلا فكيف كفر الصحابة منكري الزكاة وقاتلوهم وأجمعوا على ردتهم بذلك؟، وما معنى كتاب الردة؟ وما معنى قوله ﷺ: **«لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى خصال ثلاث.. والتارك لدينه..»**[1] وقوله: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[2].

فكيف يقال بعد ذلك أن المسلم لا يقع منه شرك أبداً وأن من اتصف باسم الإسلام لا يمكن أن يطرأ عليه كفر أو شرك ناقل عن اسم الإسلام. وإنما غاية ما يقال إنه لا يطلق على المسلم المعين اسم الشرك والكفر إلا بعد بيان النصوص له وإقامة الحجة عليه بحيث لا يكون له شبهة جهل أو تأوُّل أو غير ذلك، فإن لم يبق له حجة ولم يبق ثم إلا العناد والجحود والمكابرة والإصرار فهو لا شك حينئذ مستحق لاسم الشرك والكفر.

ولا يظنن ظانّ أننا بهذا نتعجل في تكفير الناس الموحدين

= وهو متروك) وقال الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٤) ح (٣٧٣١) صحيح، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٢) من حديث قيس بن حازم عن أبي بكر وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣) ح (٣٧٣٠).

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨) كتاب الديات، ومسلم (٣/ ١٣٠٢) رقم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠) كتاب استتابة المرتدين.

وإطلاق اسم الشرك عليهم فإن ألفاظ الشرك والكفر ألفاظ وردت في الشرع، ولا تطلق إلا بضوابطها الشرعية وكما لا يجوز تكفير المسلم بغير حق، كذلك لا يصح عدم تكفير المشرك فعلاً أو من ارتد عن الإسلام حقاً، وقد وجد في السلف من كفر أناساً بأعيانهم لأنهم استحقوا اسم الشرك والكفر، وإلا فهل يتصور أن نحجم عن إطلاق اسم الكفر عمن قال: أنا أنطق بالشهادتين وأصلي وأصوم، وأزكي وأحج، لكني أقول إن أحمد القادياني رسول من عند الله أو أقول إن روح الإله حلت في جسد السيد البدوي.. إلخ؟

إن الحق أعز وأغلى من كل أحد، ولا ينبغي أن تكون تهمة التكفير سيفاً مسلطاً على رقاب أهل الحق يمنعهم من إطلاق اسم الكفر على من يستحقه، مع تحقق الشروط الشرعية كالعلم من جانب فاعل الشيء وانتفاء الموانع كالإكراه مثلاً.

وللعلامة الألوسي الحنفي كلام في غاية من الدقة والاحتياط في تكفير القبورية عبدة القبور وأصحابها مؤيداً كلامه بتحقيقات الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في عدم التسرع في التكفير إلا بعد إقامة الحجة وإظهار المحجة قال ـ رحمه الله ـ: (وعباد القبور لم يتوقف أحد من أهل العلم ـ الذين يرجع إليهم ـ في كفرهم. غاية ما قالوا لا يقتل حتى يستتاب ولا يُكفَّر حتى تقوم عليه الحجة أو نحو هذا الكلام والمسلمون لم يكفِّرهم أحد من أهل العلم ولشيخ الإسلام نصوص أخرى ننقلها تتميماً للفائدة)[1]. ثم ساق عدة نصوص لشيخ الإسلام في تحقيق هذه المسألة.

ولأبي غدة الحنفي تحقيق مهم في عدم التسرع في التكفير إلا بعد إقامة الحجة على من يرتكب الكفر أو الشرك مؤيداً كلامه بتحقيقات نفيسة لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم من الحنفية وغيرهم.

---

(١) انظر غاية الأماني (١/ ٣٠ ـ ٣٦).

وحاصل كلامه أنه لا يجوز تكفير أهل البدع إلا إذا ارتكبوا كفراً بواحاً وشركاً صراحاً وأنكروا ما هو من ضروريات الدين ويقام عليه الحجة ويتضح له المحجة. فبعد ذلك يحكم بكفره وارتداده وخروجه عن ملة الإسلام[١].

*** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:**

(وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع، يقال هي كفر قولاً يطلق كما دلت على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس بذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن الكريم ولا أنه من أحاديث رسول الله، ﷺ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى تثبت عنده أن النبي، ﷺ، قالها، إلى أن قال: فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢] وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان)[٣].

*** وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:**

«وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد، ﷺ، وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا

---

(١) انظر التتمة الخاصة من تتمات أبي غدة في آخر كتاب الموقظة للذهبي ص (١٤٧ ـ ١٦٥).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٦٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٥).

علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته»[١] ا.هـ.

وقال في موضع آخر: «هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد بالكفر، ولا بفسق، ولا معصية. وذكر أمثلة ثم قال:

وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، إلى أن قال:

والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول، ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يُكفّر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها، ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر، أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً.

وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: **«إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليم فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين. ففعلوا به ذلك فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك فغفر له»**[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٤، ١٥١) كتاب الأنبياء، ومسلم (٤/ ٢١١٠) رقم (٢٧٥٦).

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا أذري بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول، ﷺ، أولى بالمغفرة من مثل هذا»[(١)] ا.هـ.

*** قال الشيخ ابن عثيمين:**

«فإن قال قائل هل تكفّرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟ قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله - تعالى - ورسوله، ﷺ، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنَّة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسّق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله - تعالى - في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه. ففي صحيح مسلم[(٢)] عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»[(٣)].

وفي رواية: «**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[(٤)] وفيه عند أبي

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).
(٢) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩) ح (١١١).
(٣) أخرجه مسلم (١/ ٧٩) رقم (٦٠).
(٤) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩).

ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[١].

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل بالمعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[٢].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾[٣].

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفّر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يتبين له ومن الموانع أن يقع بما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور، منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به فلا يكفر حينئذ.

لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩) ح (١١٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١١٥).

(٣) سورة التوبة، الآيتان: (١١٥، ١١٦).

ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[١]. ومنها أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك. ودليله ما ثبت في صحيح مسلم[٢] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[٣].

ومن هذا يتبين لنا كلام أهل العلم وضوابطهم الشرعية في مسألة التكفير والله أعلم.

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٠٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢١٠٤) كتاب التوبة حديث رقم (٢٧٤٧).

(٣) القواعد المثلى في صفات الله الحسنى (١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩). والحديث أخرجه البخاري (٧/١٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٤/٢١٠٤) رقم (٢٧٤٧).

الخاتمـــة

لقد تعددت نتائج هذا البحث بحسب ما عرض فيه من القضايا.

ومن أهم هذه النتائج:

١ ـ أن لعلماء الحنفية جهوداً مشكورة في الرد على أهل البدع القبورية وبيان الشرك وأنواعه ووسائله ومظاهره في بعض المجتمعات الإسلامية.

٢ ـ أن كثيراً من المسلمين يجهلون حقيقة التوحيد لذا وقعوا في أنواع الشرك من حيث لا يشعرون.

٣ ـ أن مفهوم الشرك عند بعض المسلمين هو عبادة الحجر والشجر والصنم فقط لذا أشركوا مع الله في الطاعة والانقياد والمحبة والعبادة وما حصل ذلك منهم إلا لجهلهم بحقيقة العبودية والشرك.

٤ ـ أن الشرك بكل صوره ومظاهره ليس إلا امتهاناً للإنسان وإذلالاً له حيث يلزمه الخضوع للمخلوقات والعبودية للأشخاص وهم لا يملكون ضرًا ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولاحياة ولا نشوراً.

٥ ـ أن الشارع احتاط أعظم الحيطة من كل قول وفعل وقصد يكون شركاً أو وسيلة إلى الشرك.

وفي الختام:

فهذا جهد المقل فلا بد من خلل وهفوة فإن التقصير والعيب من صفات المخلوقين فرجائي من القارىء الكريم التماس العذر لكل نقص وهفوة.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقنا جميعاً لهدي كتابه والسير على سنة رسوله، صلى الله وسلّم على نبينا محمد والله من وراء القصد.

وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيان الشرك ووسائله

عنـــد
علماء المالكية

تأليـــف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء، الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

ثم أما بعد:

فمنذ أن أشرقت أنوار الحق ببعثة النبي، ﷺ، وأذن الله تعالى باكتمال الدين الحق، ساء ذلك أعداء الله على اختلاف نحلهم، فاليهود الذين كانوا يرقبون بعثته، ﷺ، كفروا به وأنكروا نبوته وناوؤوه، والفرس والروم رأوا في دعوته تهديداً لسلطانهم الظالم، فناصبوه العداء، ومن بعد ذلك جحافل التتر الجرارة التي اكتسحت رقعة واسعة من بلاد الإسلام، ثم الحملات المتكررة للصليبيين الحاقدين على بلاد الإسلام، والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا بصور متنوعة، كل هؤلاء وغيرهم حاربوا دين الله عز وجل وما زالوا، وقد لجأوا إلى أساليب خبيثة في ذلك الصراع منها تظاهر بعضهم بالدخول في الإسلام حتى يكيد له من داخله، وهؤلاء شر الأصناف وضررهم أعظم الأضرار، ومن هؤلاء الذين زينوا لجهال هذه الأمة الشرك من جديد في ثوب التعظيم للمقبورين من الصالحين، كما هو واقع ومشهود عند كثير من المنتسبين للتصوف، وعباد القبور من الجهال الموجودين في معظم أقطار الإسلام، فهؤلاء قد بدلوا دين الله تعالى، وأحيوا ميتاً من الشرك، وبعثوه من جديد ينخر في جسد الأمة مبعداً لها عن دين الله عز وجل، وقد حسنوا ذلك للعوام بوسائل متعددة كبناء القباب على القبور وتزويقها، وإيقاد السرج وغير ذلك، وجعلوا لها سدنة هم في حقيقة أمرهم كهنة للأوثان، يغرون الناس بدعائها وطلب الحوائج منها، واخترعوا الحكايات العجيبة التي تبين قدرتهم المزعومة، وإمكاناتهم الخارقة، فأغروا الناس بذلك، وألفوا لهم الكتب ودبجوا لهم القصائد، ووضعوا لهم أحاديث مختلفة، كل ذلك لإغرائهم وتزيين الكفر لهم قبحهم الله تعالى.

ثم إن هذا الداء قد استشرى وعم معظم أقطار الإسلام إلاَّ ما ندر، ولم ينج ذلك القليل إلا بفضل الله تعالى، ثم بجهود الصالحين من العلماء العاملين وغيرهم ممن حفظ الله بهم الدين، وأتم بهم المنة، غير أن عامة البلدان قد فتك بها هذا الداء الوبيل فتكاً ذريعاً

أفضىٰ الأمر بالكثيرين منهم إلى الوقوع في الشرك الصريح الناقل عن الملة، فطلبوا الحوائج من غير الله، ولجأوا إليه في جلب النفع، ودفع الضر، وتجاوز الأمر ذلك حتى بلغ ببعضهم إلى درجة تعظيم شجرة أو حجر، وعادوا كما كان أهل الجاهلية الأولىٰ، وشدت الرحال إلى الأضرحة، واكتظت خزائنها بالأموال، وكثر عندها الاختلاط، وضجوا بالصريخ يستغيثون بالمقبورين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إن بعض مدّعي العلم قد زين لهم مثل هذه الشركيات وحسّنها لهم وشجّعهم عليها مما شجّع العامة على الوقوع فيها انخداعاً بأدعياء العلم هؤلاء، حتى لقد انقسم المنتسبون إلى العلم بإزاء تلك الشركيات ثلاثة أقسام:

الأول: مؤيّد لتلك الشركيات مشجّع عليها، داع إليها، مؤلّف في نصرة مذهبه لذلك؛ ولا سيما إن كانت له منافع مادية من وراء ذلك.

الثاني: عالم بضلال هؤلاء، وبطلان ما هم عليه، لكنه كاتم للحق جبناً، أو رغبة أو رهبة أو غير ذلك، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

الثالث: عالم بالحق، صادع به، قائم في محاربة هذه البدع الشركية والخرافات العقدية يدعو الناس إلى التوحيد الصافي، وإلى ما كان عليه رسول الله، ﷺ، وأصحابه وتابعوهم، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرجو إلا وجه الله ـ عز وجل ـ.

وهم قلة رغم اختلاف مذاهبهم في الفروع حتى ظهر من كل المذاهب الأربعة من نصر الدين وحذر من الشرك ودعا الناس إلى التوحيد.

وقد قدمنا طرفاً من كتاب مستقل، يوضح طرفاً من جهود بعض علماء الحنفية في التحذير من الشرك ووسائله، وها نحن نقدم اليوم بعضاً من جهود علماء المالكية في هذا المضمار، ثم نتبعه إن شاء الله تعالى ببيان جهود علماء الشافعية حسبما ييسر الله ـ تعالى ـ وما كان في الوسع المزيد.

المالكية: هم المنتسبون في الفروع إلى إمام المدينة مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ.

وهو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني الحميري، إمام دار الهجرة، أحد رؤساء المتقين وكبير المثبتين[١]، وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين المشهورين، مولده ونشأته ووفاته بالمدينة النبوية، وكان رحمه الله صلب الدين، متباعداً عن الولاة والسلاطين، صداعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، وكان جامعاً بين الفقه العميق والنظر الثاقب والدراية التامة بحديث النبي، ﷺ، مهيباً عالماً ثبتاً، «وقد اعتد في مذهبه بعمل أهل المدينة حيث اعتبر أنهم متمسكون بما رأوا عليه آباءهم وأجدادهم الذين صحبوا النبي، ﷺ، وعاينوا أحواله وقلّدوه في أمور دينه، فاعتد كذلك بما هم عليه من أمور الدين»[٢] وقد انتشر مذهبه في كثير من أقطار الإسلام بعد المدينة، فانتشر في مصر وشمال إفريقيا والأندلس وغرب إفريقيا، وما زال المذهب الرسمي في عدد من أقطار الإسلام حتى يومنا هذا، وقد توفي رحمه الله بالمدينة سنة ١٧٩هـ بعد أن بذل معظم سني حياته لخدمة الدين، بفروعه المتعددة رحمه الله وأجزل مثوبته[٣].

وقد قسمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية.

الثاني: أنواع الشرك عند علماء المالكية.

الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء المالكية لحماية جناب التوحيد.

---

(١) تقريب التهذيب (٢/٢٢٣/٨٥٩).

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص (٤٤٧) دار إحياء التراث العربي.

(٣) لترجمته انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٤٣ ـ ١٢١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٥ ـ ٩). طبقات الحفاظ للسيوطي ص (٩٥، ٩٦).

الرابع: نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبَّله مني وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحـــث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية

قال القاضي عياض في (مشارق الأنوار) مادة (ش ر ك):

ذكر الشركة بفتح الشين وكسر الراء، والشرك في البيع وغيره معلوم، وقوله فيه شرك بكسر الشين من الاشتراك والشرك والشركة والاشتراك واحد، والشرك أيضاً النصيب، والشرك أيضاً الشريك، قاله الأزهري في تفسير: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ فأشركته في ماله كذا لهم، يقال: شركته وأشركه وأشركته وأشركه. اهـ[١].

وقال ابن عاشور في بيان معنى الشرك اصطلاحاً: «إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلٰهية وفي العبادة»[٢].

وقال ابن عطية: «الذين كفروا في هذا الموضع هم كل من عبد شيئاً سوى الله قال قتادة هم أهل الشرك خاصة»[٣].

قال الميلي المالكي: «وكما لا تقتضي الشركة لغة تساوي الشركاء في الحصص، لا يقتضي الشرك شرعاً مساواة الشريك لله في جميع صفاته أو في صفة منها، بل يسمى المرء مشركاً عند الشارع

---

(١) مشارق الأنوار (٢/ ٢٤٨).
(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢).
(٣) المحرر الوجيز (٦/ ٣).

بإثباته شريكاً لله ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلاً، فأمّا حكايته تعالى عن المشركين قولهم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1]. فالتسوية قولهم فيه تسوية في الطاعة والانقياد، لا في القدرة على الخلق والإيجاد، فهي كآية البقرة: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

إنَّ الله جلَّ وعلا، لا يقبل أن يُشرَكَ به الأبرار ولا الفجّار، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا يرضىٰ شركة عظيم في القدر والمنزلة، كمن أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا شركة عظيم في الخلق والحجم، كالشمس والقمر، وسائر الكواكب، وقد ردَّ القرآن كل شرك، كيفما كان اعتباره من القوة والضعف.

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ؟﴾. هذا بياننا للشرك الشرعي، فإن كان فيه طول فإنا نقصد فيما نبسط إفهام العامة وإفحام المعاندين[2].

ولقد عرف الإمام مالك الطاغوت بأنه: «كل ما عبد من دون الله»[3].

والطاغوت هو كل ما طغا وتجاوز الحد، ونعلم أن الإسلام لا يصح للعبد إلا بأن يكفر بالطاغوت أولاً كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[4]

(١) سورة الشعراء، الآيتان: (٩٧، ٩٨).
(٢) رسالة الشرك ص (٦٤ ـ ٦٥).
(٣) فتح المجيد ص (٥٦٦).
(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١)، فلا بد للمسلم أن يكفر أولاً بكل طاغوت معبود من دون الله، أو مطاع في معصية الله، أو متحاكم إليه دون حكم الله، أو معظم دون الله، هذا الكفر بالطاغوت ينبغي تحقيقه قبل الإيمان بالله تعالى إذ محال أن يجتمع إيمان بالله وبالطاغوت في قلب إنسان.

بل إن هذه الطواغيت تأتي يوم القيامة فتتبرأ من عبادها الذين عبدوها من دون الله كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾(٢).

فالواجب على المسلم الكفر بالطاغوت والبراءة من أهله ومعاداتهم وبغضهم حتى يرجعوا إلى الله تعالى ويتوبوا إليه بالإسلام، كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه وقومه: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(٣).

فمن خلال كلام الإمام مالك رحمه الله يتّضح أن الطاغوت عنده يشمل كل ما عبد من دون الله، فالهوى طاغوت، والشيطان طاغوت، والشجر المعبود طاغوت، والحجر طاغوت والحاكم المبدل طاغوت، ومن أمر الناس بطاعته في معصية الله طاغوت، وهكذا كل ما عبد من دون الله، غير أن مالكاً رحمه الله قيدها في بعض الروايات فقال، (وهو راض) حتى لا تشمل من عبدوا دون رضاهم: كالمسيح، وأمه، والعزير، وغيرهم عليهم السلام.

---

(١) سورة النحل، الآية: (٣٦)..
(٢) سورة البقرة، الآية: (١٦٦).
(٣) سورة الممتحنة، الآية: (٤).

المبحث الثاني
أقسام الشرك عند بعض علماء المالكية

والشرك هو ضد التوحيد كما سلف، فالواجب على المسلم أن يعرف الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر، الظاهر والخفي، حتى يتجنبها كلها فيسلم له دينه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة هذه الأنواع والحذر منها ومن منافذها ومداخلها، وسد الطرق الموصلة إليها.

قال الإمام الحافظ ابن العربي المالكي:

«الشرك على أقسام، ويعود ذلك إلى قسمين: قسم في الاعتقاد، وقسم في العمل، فإن كان الشرك في الاعتقاد[١]، فلا خلاص ولا قصاص، وإن كان الشرك في العمل[٢] رجي الخلاص»[٣].

(١) كاعتقاد وجود إله مكافىء لله تعالى، أو اعتقاد ربوبية غيره، أو اعتقاد شبيه له في أسمائه وصفاته وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير واستحقاق العبادة وغير ذلك والأدلة أكثر من أن تحصىٰ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: (١١)].

(٢) ليس كل شرك في العمل يرجى الخلاص من وباله، إذ أن صرف العبادة لغير الله تعالى هو شرك في العمل، لكنه يقوم على أساس شرك في الاعتقاد، وهذا لا يرجى منه الخلاص، ولعل الشيخ رحمه الله يقصد أمور الشرك الأصغر غير المكفرة: كالحلف بغير الله، أو يسير الرياء وغير ذلك، وبهذا فلا إشكال في المسألة.

(٣) عارضه الأحوذي (١٠/١٠٦).

قال الميلي المالكي:

«وأقسام الشرك، قد استوفتها آية سبأ. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾. فجعلت الآية أقسام الشرك أربعة، ونفتها كلها، ولنضع لكل قسم اسماً يمتاز به.

الأول: شرك الاحتياز، فنفى سبحانه أن يكون غيره مالكاً لشيء يستقل به، ولو كان في الحقارة مثقال ذرة في العالم العلوي، أو في العالم السفلي[١].

الثاني: شرك الشياع، فنفى سبحانه أن يكون لغيره نصيب يشاركه فيه كيفما كان هذا النصيب، في المكان والمكانة[٢].

---

(١) كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر، الآية: (١٣)] وكما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان، الآية: (٣)] وكما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة النحل، الآية: (٧٣)] وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [سورة العنكبوت، الآية: (١٧)]. قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «تيسير الكريم المنان» (٤/٢٢١) عند الآية (٧٣) من سورة النحل: (يخبر الله تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقاً من السموات والأرض، فلا ينزلون مطراً، ولا رزقاً، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئاً، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض، ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان به قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل له وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون، فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله وشبهوها بمالك الأرض والسموات، الذي له الملك كله والحمد كله والقوة كلها) اهـ.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ =

الثالث[١]: شرك الإعانة، فنفى جل شأنه أن يكون له ظهير ومعين من غير أن يملك معه، كما يعين أحدنا مالك متاع، على حمله مثلاً.

الرابع[٢]: شرك الشفاعة، فنفى تعالى أن يوجد من يتقدّم بين يديه يدل بجاهه ليخلص أحداً بشفاعته، فهو تعالى لم يقبل من أقسام الشركة حتى ضعفها وأخفاها، وهي الشركة بالجاه في تحصيل السلامة والنجاة، إلا بعد الإذن للشفيع، وتعيين المشفوع له. وحينئذ لا تكون في الشفاعة رائحة الشركة، بل الشفاعة كغيرها من وجوه النفع، هي: لله وحده، ولم يخرج عن الآية شيء من أقسام الشركة لأن الشريك إما في الملك، وإما في التصرف.

= وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٦٥)] فلا يوجد مخلوق يشارك الله تعالى في شيء لا في أفعاله، ولا صفاته، ولا حقوقه ولا غير ذلك. وبما أنه المتفرد بالخلق، فإنه المتفرد بالملك والأمر والتصريف واستحقاق العبادة، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: (٥٤)].

(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سورة سبأ، الآية: (٢٢)]، فليس لله تعالى ظهير ولا معين في تصريف ملكه، فإن الملوك المخلوقين هم الذين يستعينون بغيرهم في إدارة شؤون ملكهم لعدم قدرتهم على الانفراد بتدبيره غير أن هذا منتفٍ في حق الله تعالى، بل إن وجود هذا الشيء علامة نقص، وصفته، والله تعالى متفرد بصفات الكمال، متنزه عن صفات النقص.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: (٢٨)] وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [سورة الزمر، الآية: (٤٤)] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سورة سبأ، الآية: (٢٣)] فإن الملوك المخلوقين إنما يقبلون شفاعة الشافعين لحاجتهم إليه في تدبير أمر ملكهم وتصريفه، ولا يحبون ردها خوفاً من فقد ودّ الشفعاء ومعونتهم لكن الله تعالى مستغن عن الظهير والمعين، متفرّد بالخلق والتكوين والتدبير والتصريف، لهذا لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له، أما غير ذلك فلا، فالشفاعة إذاً ملك لله تعالى، وهو الآذن فيها، وهكذا نرى أن الآية اشتملت على نفي الشرك بجميع صوره ودرجاته، فسبحان الله!

والأول: إما أن يختار قسطه، وإما أن يكون على الشياع.

والثاني: إما أن يعين المالك، وإما أن يعين أحداً عند المالك، فتلك الأقسام الأربعة مرتبة ترتيبها في الآية. وتلك الأقسام على ظهورها من الآية، لم أر من أعرب عنها هذا الإعراب.

بعد هذا البيان نلحظ أن الشيخ رحمه الله لم يعرج على الكلام عن شرك الألوهية، وتوحيد الألوهية هو أصل دين الإسلام، وهو الذي وقعت لأجله الخصومة بين الرسل وأقوامهم، وهو الذي به بعثت جميع الرسل كما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[١].

وهذا قصور منه ـ رحمه الله تعالى ـ حيث اهتم ببيان الشرك فيما يتعلق بأمر الربوبية، وأهمل الكلام عن الشرك في الألوهية والعبادة، وكان الأولى التركيز عليه حيث إن شرك عامة الأمم في باب الألوهية وليس الربوبية.

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

المبحث الثالث
سد الذرائع الموصلة إلى الشرك
عند علماء المالكية

قبل أن نشرع في بيان الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية نبين معنىٰ الذرائع كما هي في كتبهم.

قال الشاطبي: «حقيقة الذرائع التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة»[(١)].

وقال القرطبي: «الذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع»[(٢)].

وجاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك: كتجصيص القبور[(٣)] وتعليتها[(٤)]،

---

(١) الموافقات: (٤/ ١٩٨).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٥٨).

(٣) لما أخرجه مسلم وغيره قال: **«نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنىٰ عليه بناء»** ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع المدونة (١/ ١٨٩) كتاب الكافي لابن عبد البر (١/ ٢٨٣)، وتنوير المقالة (٣/ ٤٠) والثمر الداني (٢٣٠) وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).

(٤) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر: قال: **«نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص=**

والكتابة عليها[١]، والبناء عليها[٢]، واتخاذها مساجد[٣]، واستقبالها للدعاء[٤]، والسجود عليها[٥]، والصلاة عليها[٦]، وشدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة[٧].

= القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنىٰ عليه بناء». ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه من هذه القضايا راجع المدونة (١/ ١٨٩) وتنوير المقالة (٣/ ٤٠) والثمر الداني ص (٢٣٠) وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(١) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ: «**نهىٰ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها**» ولمعرفة موقف الإمام مالك رحمه الله وكثير من أتباعه راجع فتح المجيد ص (٣٢٣).

(٢) لما أخرجه مسلم عن جابر قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف مالك وأتباعه راجع المدونة (١/ ١٨٩) المعيار المعرب (١/ ٣١٧، ٣١٨) وتنوير المقالة (٣/ ٣٩)، والثمر الداني (٢٣١)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، فتح المجيد ص (٣٢٣)، تيسير العزيز الحمد ص (٣٢٣، ٣٢٤)، والكافي لابن عبد البر (١/ ٢٨٣).

(٣) قال النبي ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ـ يحذر ما صنعوا**» متفق عليه، وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**» أخرجه مسلم وغيره.

ولمعرفة موقف المالكية في التمهيد (١/ ١٦٨، ٥/ ٤٥)، والمنتقى (٧/ ١٩٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠)، شرح موطأ مالك للزرقاني (٤/ ٢٣٣، ١٢/ ٣٥١)، وتيسير العزيز الحميد ص (٣٤٠)، والمنتقىٰ (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٤) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا عليها**».

ولمعرفة موقف المالكية راجع كتاب صيانة الإنسان ص (٢٦٤)، وفتح المنان ص (٣٥٨ ـ ٣٥٩) وتيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨).

(٥) ولمعرفة موقف المالكية راجع التمهيد (٦/ ٣٨٣، ١/ ١٦٧، ٥/ ٤٥).

(٦) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ، قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**»، ولمعرفة موقف المالكية راجع: مقدمة ابن رشد ص (١٧٤)، والتمهيد (١/ ١٦٧، ٥/ ٢٥، ٦/ ٢٨٣)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٧٩).

(٧) لقول النبي ﷺ: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...**».

ولمعرفة موقف المالكية ارجع إلى المعلم (١٢/ ٨٢) وشرح الزرقاني لمختصر خليل (٣/ ٩٣) وتيسير العزيز الحميد (٣٦١) وشرح الزرقاني للموطأ (١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

قال القرطبي: «التمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وقد دلّ على هذا الأصل الكتاب والسنة»[1].

وقال كذلك: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، ﷺ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قِبلَة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»[2].

وقال الإمام مالك: «أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبنىٰ عليها»[3].

وقال ابن أبي شامة: «كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار في المدينة ما عدا قباء وأحد»[4].

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ: «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرىٰ بذلك وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى»[5].

وقال القرطبي: «وقال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/٥٧ ـ ٥٨).
(٢) قرة عيون الموحِّدين ص (١٣٦).
(٣) المدونة (١/١٨٩).
(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص (٩٦، ٩٧)، وكتاب ابن وضاح رقم (١١٣).
(٥) تيسير العزيز الحميد ص (٣٤٠).

يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[١].

وقال ابن رشد: «إن فات ـ يعني صلاة الجنازة ـ لم يصل عليه لئلا يكون ذريعة الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[٢].

وقال ابن رشد كذلك: «كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة»[٣].

قال القرطبي في شرح حديث النبي ﷺ **«لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»** أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدِّي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذَّر النبي ﷺ عن مثل ذلك، وسدّ الذرائع المؤدِّية إلى ذلك[٤].

إلى أن قال: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً، فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشبهاً بمن كان يعظِّم القبور ويعبُدها»[٥].

وقال الإمام مالك: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي، ﷺ، يدعو ولكن يسلم ويمضي» ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط، وإسناده صحيح كما في صيانة الإنسان[٦].

وقال أيضاً في المبسوط: «لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي، ﷺ، ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).
(٢) مقدمة ابن رشد ص (١٧٤).
(٣) فتح المجيد ص (٣٢٣)، ولعله يقصد ما يسمى اليوم بشاهد القبر وهو رخام يكتب عليه اسم الميت وتاريخ وفاته وغير ذلك. والله أعلم.
(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).
(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨١).
(٦) ص (٢٦٤) فتح المنان ص (٣٥٨).

قيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيّام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده»[1].

وأما الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال: «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله، ﷺ، قال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾[2].

ثم قال: فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرّفة»[3].

أما الحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال لمالك: «يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة بل استقبله، واستشفع به يشفعه الله فيك»[4].

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: «فهذه الرواية ضعيفة أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد»[5].

---

(١) فتح المنان ص (٣٥٨).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (٢).

(٣) انظر: صيانة الإنسان ص (٢٥٥) وفتح المنان ص (٣٥٩).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨).

(٥) تيسير العزيز الحميد ص (٣٥٨).

* وأما ما روى ابن زبالة وهو في أخبار المدينة عن عمر بن هارون عن سلمة بن وردان وهما ساقطان قال: «رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو»[(١)] فالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد.

وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[(٢)] فهو والله أعلم باطل، فإن هذه لم يذكرها أحد من الأمة فيما أعلم، ولم يذكر أحد منهم أنه استحبّ أن يسأل بعد الموت لا استغفاراً ولا غيره، وكلامه المنصوص وأمثاله ينافي هذا، قاله صاحب فتح المنان[(٣)].

وقال القرطبي: «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة - رضي الله عنها - أن أم حبيبة وأم سلمة - رضي الله عنهن - ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله، ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**» أخرجه[(٤)] البخاري ومسلم.

قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله - عز وجل - عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم

(١) تيسير العزيز الحميد ص (٣٥٩).
(٢) سورة النساء، الآية: (٦٤).
(٣) ص (٣٦٠).
(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٧) ح (١٣٤١) في الجنائز باب بناء المسجد على القبر، ومسلم (١/ ٣٧٥) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها، فحذر النبي، ﷺ، عن مثل ذلك، وشدد النكير والوعيد على من فعل ذلك»[1].

وقال ابن الحاج في المدخل: «لا يجوز الطواف حول الأضرحة فإنه لا يطاف إلا بالبيت العتيق وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود»[2].

وقال الطرطوشي: «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي، ﷺ، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنة عليهم..

قال: وكان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[3].

وقال الطرطوشي: «قال عمر بن الخطاب: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها»[4].

---

(١) تفسير القرطبي (٢/٥٨).
(٢) المدخل كما في المشاهدات المعصومية ص (٧٣).
(٣) كتاب الحوادث والبدع (٢٩٤ ـ ٢٩٥).
(٤) كتاب الحوادث والبدع (٣٠٨ ـ ٣٠٩).

المبحث الرابع
نماذج من الشرك
التي حذَّر منها علماء المالكية

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر، ودعاء[(١)] غير الله والاستغاثة بغير الله[(٢)]، والنذر لغير الله[(٣)]،

---

(١) لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (٥)] وقول النبي ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**» وللمزيد من التعرف على أقوال المالكية انظر: «رسالة الشرك» للميلي ص (١٩٢). التحرير والتنوير (٢٤/ ١٨١، ٢٦/ ١١).

(٢) قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم ...﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)] وقال: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ ...﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (١٧)]. التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥، ٢٦/ ٣٩).

(٣) قال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ...﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)] فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى، التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤٨)، وانظر تيسير العزيز الحميد ص (٢٠٧)، رسالة الشرك للميلي ص (٢٦٨)، ولا يجوز النذر لولي أو نبي أو غيرهما، وإلا فإن هذا شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى، لا كما يفعله كثير من الجهال بالنذر لقبر البدوي أو الحسين أو الجيلاني أو غيرهم، فإن هذا شرك بالله تعالى ولا يسوغ أي تأويل لذلك الفعل أو محاولة التلاعب باللفظ والقول بأن «النذر لله والثواب للولي» فهذا كلام باطل لا يستجيزه عقل صريح.

والذبح لغير الله[١]، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرف في الكون مع الله[٢]، أو اعتقاد أن أحداً يعلم الغيب[٣]، أو الحلف بغير الله[٤] أو اعتقاد أن للكواكب تأثيراً في إنزال المطر[٥] والتوكُّل على غير الله[٦].

قال ابن العربي: «مقامات الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله

---

(١) لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٦٢)]، فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله، ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.
وانظر: مختصر خليل (٣/ ١٣٠) وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٤).

(٢) وهذا شرك في الربوبية وقد نفى الله تعالى كل أنواع التصرف لغيره بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، الآيتان: (٢٢، ٢٣)]. وقد سبق الكلام على هذه الآية بالتفصيل في المبحث الثاني. وانظر: شرح الموطأ للزرقاني (١/ ٣٤٧) وشرح الموطأ للباجي (١/ ٣٣٤). والتحرير والتنوير (٢٢/ ١٨٥ ـ ١٩١).

(٣) لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝﴾ [سورة الجن، الآية: (٢٦)] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].
وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٣٨، ٧٣٩) وتفسير القرطبي (١/ ٢٩٠) ورسالة الشرك للميلي ص (١٣٧).

(٤) لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وفي لفظ: «فقد كفر» وانظر التمهيد (١٤/ ٣٦٦، ٣٦٧) وتفسير القرطبي (١٠/ ٤٠) وشرح الصغير للدرديري (٢/ ٢٠٣) وتفسير القرطبي (١٠/ ٤٠) و ((٦/ ٢٧٠، ٢٧١) والمقدمات لابن رشد (٣٠٨، ٣٠٩) وشرح رزق على متن الرسالة (٢/ ١٥) والمعلم (٢/ ٢٤٠). شرح الزرقاني على مختصر خليل (٣/ ٥٣) كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي (١/ ٤٤٨).

(٥) المنتقى شرح موطأ مالك (١/ ٣٣٤)، وشرح الزرقاني لموطأ مالك.

(٦) لقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٢)] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٥٩).

لا أمارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبىٰ لاطلاع الغيب من أمارات الساعة، والأربع سواها لا أمارة عليها، فكل من قال: إنه ينزل الغيث غداً فهو كافر، أخبر عنه بأمارات ادَّعاها أو بقول مطلق، ومن قال: إنه يعلمُ ما في الرحم، فهو كافر...

وأما من ادَّعى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجميلة أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريبة في كفره أيضاً. فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا: يؤدَّب ويسجن، ولا يكفر. أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنَّه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل، حسب ما أخبر الله سبحانه في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[(١)] لحسابهم له، وإخبارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم، وأما أدبُهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق العلم بالغيب المستأنف ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره، فتتشوش عقائدهم في الدين وتتزلزل قواعدهم في اليقين، فأدبوا حتى يُسِرُّوا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا»[(٢)].

وقال ابن عبد البر: «لا يجوز الحلف بغير الله ـ عز وجل ـ في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجمَع عليه وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثاً شديداً أنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «**من حلفَ بغير الله فقد أشرك**» ذكره أبو داود[(٣)] وغيره.

---

(١) سورة يس، الآية: (٣٩).

(٢) أحكام القرآن (٢/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩).

(٣) أحمد (٢/ ٣٤ ـ ١٢٥)، والترمذي (٤/ ١١٠) ح (١٥٣٥) في النذور والأيمان، وأبو داود (٣/ ٥٧٠)، ح (٣٢٥١) في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء، وابن حبان (٦/ ٢٧٨) ح (٤٣٤٣) والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن جميعهم من=

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»**[(١)] . . . »[(٢)].

وقال ابن رشد: «والمحظور أن يحلف باللات، والعزى، والطواغيت، أو بشيء مما يعبد من دون الله تعالى لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والتعظيم لهذه الأشياء كفر بالله تعالى»[(٣)].

وقال القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾[(٤)] أي ذكر عليه غير اسم الله تعالى، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل فالوثني يذبح للوثن، والمجوسي للنار، والمعطل لا يعتقد شيئاً فيذبح لنفسه، ولا خلاف بين العلماء أن ما ذبح المجوسي لناره، والوثني لوثنه لا يؤكل. . . ومنه إهلال الصبي واستهلاله وصياحه عند ولادته، وقال ابن عباس وغيره: المراد ما ذبح للأنصاب والأوثان. . . وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر عن النية التي هي علة التحريم ألا ترىٰ أن عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ راعىٰ النية في الإبل التي نحرها غالب أبو الفرزدق فقال: إنها مما أهلَّ لغير الله به فتركها الناس، قال ابن عطية: ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سئل عن امرأة صنعت للُعبها عرساً فنحرت جَزُوراً، فقال الحسن: لا يحل أكلها فإنها إنما نُحرت لصنم»[(٥)].

= طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١١٦٧) ح (٦٢٠٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣٤/٥٦٩) ح (٣٢٤٨) في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١٤/٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(٣) مقدمات ابن رشد ص (٣٠٩).

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٧٣).

(٥) تفسير القرطبي (٢/٢٢٣ ـ ٢٢٤).

جاء في المدونة كما في شرح الزرقاني لمختصر خليل: «سوق الهدايا لغير مكة ضلال»[١].

وقال الميلي: «دعاء غير الله... فهو شرك صريح وكفر قبيح، وله نوعان: أحدهما غير الله مع الله، كالذي يقول: يا ربي، ويا شيخي، يا ربي وجدي، يالله وناسه، يالله وسيدي عبد القادر، وسمعت كثيراً يحكون أنهم كثيراً ما يسمعون فلاناً يقول: يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي، ويوسف هذا من أولاد ابن الدرويش إحدى فصائل أولاد العباد... وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح لأن الداعي عطف غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة، وهي تقضي مشاركة ما بعدها في الحكم، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء.

النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول: يا رجال الدالة، يا دوان الصالحين، وإطلاق الشرك على هذا النوع باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يبرأ منه في العقد فكأن الله في كلامه مضمر»[٢].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: «قد نُهي عن النذر، وندب إلى الدعاء، ويظهر به التوجه إلى الله ـ تعالى ـ والتضرُّع له، وهذا بخلاف النذر، فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول، وترك العمل إلى حين الضرورة»[٣].

قال ابن عبد البر: «يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد»[٤].

---

(١) شرح مختصر خليل للزرقاني (٣/ ١٣٠).
(٢) رسالة الشرك ص (١٩٢).
(٣) تيسير العزيز الحميد ص (٢٠٧).
(٤) التمهيد (١/ ١٦٨).

وقال ابن عبد البر: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة. أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله، ﷺ، على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضىٰ من الأمم: كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال ﷺ: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً»** يصلىٰ إليه، ويسجد نحوه، ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله، ﷺ، يحذر أصحابه، وسائر أمته الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها، وذلك الشرك الأكبر فكان النبي، ﷺ، يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم[(١)].

وقال الميلي: (مساواة هذه الأمة لمن قبلها في حكم السنن الإلٰهية:

إنَّ ما وقع فيه العرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدِّين، وبالغوا في التبرُّك بالصالحين، فإن الله يقول: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾. وعلماء الاجتماع يقولون: «التاريخ يعيد نفسه»، والمتكلمون يحكمون بأن «ما جرىٰ على المثل يجري على المماثل» فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدِّين إلى جهالة المشركين، فمحاولة تبرئتهم من الشرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل.

صور من الوثنية الحاضرة:

ألست ترى في أوساطهم قباباً تبذل في شيدها الأموال، وتشد لزيارتها الرحال، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من

---

(١) التمهيد (٥/ ٤٥).

الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بدور تنعت بدار الضمان تشتري ضمانتها بالأثمان؟ أم لم تجتمع بذرية نسب للمرابطين إعطاؤها بقوة غيبية. أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدِّسون بصفتهم مرابطين أو طريقيين هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات، أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدَّت الناس عن اتباع السنة المطهرة. والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره، وتعدد مظاهره وآثاره»[١].

وقال: «وإذا قيل للناس أن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان، قالوا إنكم تسبون الصالحين! يا إخواننا افهموا لغة العرب والذين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء، فإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم، وكل من عبده فهو هالك. وليس كل معبود من دون الله هالكاً. قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى ولي صالح.

تعيين مكان في النذر:

وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية، فلو فرضنا أحداً نذر لها شيئاً فهو عاص بالوفاء به. فإن أضاف إليه التقرُّب من صاحبها فهو مشرك.

وقد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات، الأموال والثياب والحيوانات والشموع والبخور والأطعمة وسائر المتمولات، ويعتقدون أن نذرهم سبب يقربهم من رضىٰ المنذور له وأن لذلك المنذور له دخلاً في

---

(١) رسالة الشرك للميلي (١٠٨).

حصول غرضهم، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقاً بمن نذروا له واشتدت خشيتهم منه، وبذلوا أقصىٰ طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعويض الغنم بالظباء. فالعرب مع أصنامهم أقل هيبة من هؤلاء مع أوليائهم، وإن تساوى الفريقان في حق من ألهوه أكثر من اعتبار حق الإلٰه الحق، ذلك أن جاهليتنا على شدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لا يبالي مع ذلك بالصلاة أو بالزكاة أو بهما معاً، ومن صلّى وزكّىٰ لا ينكر على تاركهما ما ينكره على من تراخىٰ في زيارة شيخ طريقة، أو إقامة زردة أو أداء وعدة، وكذلك ما حكاه القرآن عن العرب في آياته: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾[(١)] . . .»[(٢)].

وقال: «إن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية، أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة. وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله، جلّ جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ـ عز وجل ـ حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[(٣)].

وقال: «وقد يعبرون عن هذا الضرب من التبرك بالاستمداد من أرواح الصالحين، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم، يتصرفون في العالم، ويقضون حاجات قاصديهم، ويستدل مستدلهم بما ورد في حياة الأرواح مما قدّمنا أصحه وأصرحه. فيتخذون المزارات يبنون

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٠٠).
(٢) رسالة الشرك للميلي ص (٢٦٨).
(٣) رسالة الشرك للميلي ص (٢٦٨).

عليها البناءات ويرون أن روح الصالح فلان هنالك، إما لأنه دفن هنالك أو جلس به، بل تجد بناءات كثيرة على مزارات عديدة كلها منسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد ـ رحمه الله ـ، وهو لم يعرف تلك الأمكنة ولا سمع بها. وهذه المزارات الجيلانية تجدها غربي وطن الجزائر أكثر منها في شرقه. أما أن يكون للصالح الواحد قبران فهذا نعرفه لغير الصالح. وأشهرهم بوطننا الشيخ محمد بن عبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا. ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والمسح بالحيطان وكل ما يضاف إلى ذلك المكان»(١).

وقال: «نهىٰ الرسول، ﷺ، عن الحلف بالمخلوق فأبىٰ أكثر الناس إلا الحلف به. وأغلظ في النهي حتى بلغ به نهي الشرك والكفر فأجروا هذه اليمين على ألسنتهم أكثر من اليمين بالله. وأمر من حلف بالله أن يصدق. فتلاعبوا باليمين الشرعية واحترموا اليمين الشركية»(٢).

وقال ابن عاشور عن خطورة الشرك: «أكبر الاعتداء إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم، لأن من حقه أن يفرد بالعبادة اعتقاداً وعملاً وقولاً، لأن ذلك حقه على مخلوقاته، ففي الحديث: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»**(٣)، إلى أن قال: وذلك أن الشرك جمع بين الاعتراف لله بالإلٰهية والاعتراف لغيره بالربوبية أيضاً ولما كان الاعتراف لغيره ظلماً كان إيمانهم بالله مخلوطاً بظلم»(٤).

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص (٢٤٤).

(٢) رسالة الشرك للميلي ص (٢٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله (١٣/٣٤٧)، ح (٧٣٧٣) من حديث معاذ بن جبل.

(٤) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي يسر وأعان على إتمام هذا الكتاب، فله وحده المنة والفضل، وقد توصَّلت إلى نتائج أجملها فيما يلي:

أولاً: أن كلام المتقدمين كمالك وأصحابه الأوائل عن الشرك وأنواعه ووسائله قليل، لأن بدع القبورية لم تكن قد انتشرت بعد، وإنما كانوا يتكلَّمون في بعض هذه المسائل عرضاً إذا وردت في النصوص بخلاف ما عليه المتأخرون من المالكية فقد بسطوا القول في تلك المسائل كما هو ظاهر من النماذج المتقدمة من نصوصهم.

ثانياً: أن للعلماء جهوداً مشكورة لحماية جناب التوحيد، ومحاربة البدع القبورية، وسد ذرائع الشرك ومنافذه.

ثالثاً: أن البدع القبورية قد أفسدت عقائد كثير من الناس وأوقعتهم في الشرك الأكبر.

رابعاً: أن الشارع احتاط فسد كل وسيلة تؤدِّي إلى الشرك، فحرَّم كل ما يحدث عند القبور مما من شأنه أن يفسد عقائد الناس.

خامساً: أن الشرك إذلال وإهانة للإنسان، لأنه تعبيد الإنسان لمخلوق ضعيف مثله، كما أنه يفتح باباً واسعاً للأساطير والخرافات.

وفي الختام فهذا جهد المقل، وقوى الإنسان محدودة قاصرة، ورجائي من القارىء الكريم التماس العذر في كل نقص وهفوة،

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعاً لهدي كتابه والسير على سنة رسوله ﷺ.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيان الشرك ووسائله

عند

علماء الشافعية

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

أما بعـد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن للتوحيد آثاراً رائعة واضحة في حياة الإنسان والمجتمع، وثماراً يانعة لها أجمل التأثير وأعظمه فمنها:

١ ـ إخراج الإنسان من عبودية غير الله:

لأن التوحيد هو تعبيد الإنسان لخالقه ـ سبحانه وتعالى ـ وحده، والشرك تعبيد الإنسان لمخلوق مثله لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ولا يملك موتاً ولاحياة ولا نشوراً. التوحيد تحرير لعقل الإنسان من الخرافات، وتحرير لضميره ونفسه من الذل والخنوع، وتحرير لحياته كلها من تسلط الطغاة والمتألهين، وهذا ما علمه المشركون من معنىٰ (لا إله إلا الله) فناصبوا الرسل العداء وحاربوهم.

٢ ـ ضبط السلوك والعمل على اتزانه:

لأن المسلم يتحرك في كل أفعاله ولحظات حياته لاكتساب مرضاة الله تعالى، وذلك في كل أحواله، فنفسه غير مشتتة بين آلهة متعددة يحاول إرضاءها كلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[(١)]، فالأول هو الذي يعبد آلهة متعددة يتحير في اكتساب رضاها كلها، والثاني لا يعبد إلا إلٰهاً واحداً.

٣ ـ إيجاد النفس الآمنة القوية:

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(٢)] فالمؤمن دائماً يتوكَّل على الله تعالى ويلتجىء إليه

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٢٩).

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: (٨١، ٨٢).

ويعلم أنه مالك الملك، فيفيض ذلك في نفسه أمناً وثقة بالله وتوكلاً عليه وطمأنينة إليه، وكيف لا وهو يرى أن البشر لا يملكون شيئاً إنما الله تعالى هو مالك الملك وحده، وانظر إلى قول نوح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[١]. وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[٢].

فهذه النفوس وصلت لذلك القدر من الثقة والاطمئنان والأمن بسبب إدراكها لقدرة الله تعالى وعظمته، وحقارة شأن المخلوقين وكونهم ليس لهم من الأمر شيء.

٤ ـ إرساء مبدأ المؤاخاة والمساواة:

فالإسلام دين التوحيد، جعل الناس جميعاً خاضعين لربهم ـ عز وجل ـ، لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ولا يستعبد بعضهم بعضاً، إنما كل الناس متساوون في الإنسانية والبشرية، وكل الموحدين متساوون في الحقوق والواجبات، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح، فلا تمايز باللون، ولا بالجنس، ولا بالمهنة ولا بغير ذلك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣].

---

(١) سورة يونس، الآية: (٧١).
(٢) سورة هود، الآيتان: (٥٥، ٥٦).
(٣) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

أضرار الشرك ومفاسده

وبمقابل آثار وثمرات التوحيد هذه نجد مفاسد وأضراراً للشرك تضادها كما على النحو التالي:

١ ـ إهانة الإنسان:

وذلك بعبادته لغير الله ـ تعالى ـ، مخلوقاً مثله لا ينفع ولا يضر، يتخذه معبوداً مطاعاً، وهو مخلوق مثله ليس له من الأمر شيء، بل أحياناً يعبد أشياء أحط منه: كالبقرة، والشجر، والحجر، وغير ذلك، فهل يليق بالإنسان العاقل المكرم أن يكون كذلك، وهل هناك إهانة أشد من ذلك!

٢ ـ تسويغ الخرافات:

وذلك بأن يعتقد الإنسان النفع والضر لغيره من المخلوقات، وينسج حولها الخرافات والأساطير والخزعبلات، بما لا يتفق مع عقل الإنسان ولا يسوغ أن يقبله وجدانه.

٣ ـ الشرك أظلم الظلم:

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]. وقال

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٤).

ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]. وأي ظلم أعظم من أن يخلقك الله ثم تعبد غيره؟ أو أن يرزقك ثم تشكر غيره؟

وهو ظلم للنفس كذلك لأنه حرمان لها مما فيه سرورها ونعيمها وحياتها من التوحيد. وتحميل لها من العذاب ما لا طاقة لها به: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢].

٤ ـ الشرك مبعث المخاوف:

لأن المشرك لا ثقة له بالله تعالى ولا توكُّل له عليه، فهو متقلِّب بين الأوهام والخرافات، والخزعبلات، يخاف من كل شيء، يخاف على حياته، على رزقه، على كل شيء ويخاف من كل شيء، فبؤساً لها من حياة!

٥ ـ إشاعة السلبية في الحياة الإنسانية:

فالشرك يجعل من صاحبه معتمداً على غيره من الشفعاء والوسطاء، كما يعتقد النصارى في المسيح عليه السلام، ولا يعتمد على نفسه بعد الله تعالى، فيعطل كثيراً من إمكانياته وملكاته.

٦ ـ دخول النار:

فالشرك أعظم الأسباب الموجبة لدخول النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٣].

والتوحيد من أعظم أسباب دخول الجنة، إذاً المشرك ليس له مصير إلا النار، لأن ذنبه هذا لا ترجى له المغفرة أبداً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) سورة لقمان، الآية: (١٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (١١٧).
(٣) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[١].

فهذه بعض مفاسد الشرك وآثاره السيئة على النفس الإنسانية في دنياها وأخراها، ومما هو معلوم أن الشرك هو أكثر الأشياء التي حذَّر منها القرآن، وأقام البراهين والآيات على بطلانها، وبيَّن القرآن لعن فاعلها والحكم له بالنار على وجه القطع، وذكر القرآن من مفاسد الشرك وآثاره على الإنسان الشيء الكثير، وحذَّر منه بما لا مزيد عليه.

ولهذا فقد أردت أن أبين طرفاً من جهود علماء الشافعية في بيان الشرك ووسائله وصوره وذرائعه وغير ذلك حسبما وقفت عليه من مصادرهم.

والشافعية: هم المنتسبون في الفروع إلى الإمام البحر الجبل رأس الطبقة التاسعة والمجدد لأمر الدين على رأس المائتين[٢] وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين في مسائل الفروع، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي ٢٠٤هـ وقد انتشر مذهبه في العراق والشام ومصر والحجاز واليمن وغير ذلك، وما زال المذهب الرسمي في بعض البلاد الإسلامية إلى اليوم، فرحمه الله وأجزل له المثوبة.

هذا وقد قسَّمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: في تعريف الشرك عند بعض علماء الشافعية.

المبحث الثاني: في بيان أنواع الشرك عند بعض علماء الشافعية.

المبحث الثالث: في بيان وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية لحماية جناب التوحيد.

المبحث الرابع: في بيان نماذج من الشرك حذر منها علماء الشافعية.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).

(٢) انظر تقريب التهذيب (٢/ ١٤٣/ ٣١).

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب جميع المسلمين، وأن يجعله في ميزاننا يوم القيامة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء الشافعية

قال الأزهري الشافعي: «قال الله - عز وجل - مخبراً عن عبده لقمان الحكيم أن قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

والشرك أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾، لأن معناه لا تعدل به غيره، فتجعله شريكاً له، وكذلك قوله: ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[2]. لأن معناه عدل به ومن عدل بالله شيئا من خلقه فهو مشرك لأن الله واحد لا شريك له ولا ند ولا نديد»[3].

وقال الراغب الأصبهاني: «الشرك العظيم هو إثبات شريك لله تعالى يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر»[4].

وقال المناوي: «الشرك: إسناد الأمر المختص بواحد إلى من

(١) سورة لقمان، الآية: (١٣).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٥١).
(٣) تهذيب اللغة (١٠/١٦).
(٤) الموطأ ص ٤٥٢.

ليس معه أمره»[١].

وقال العلامة علي السويدي الشافعي في بيان الشرك والتحذير من خطره: «اعلم أعاذني الله وإيَّاك من الشرك والكفر والضلال، وأمدنا بالتوفيق لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال، أن الشرك يضاد التوحيد، فهما لا يجتمعان، كما أن الكفر يضاد الإيمان، وأنهما ضدان، فإذا قيل: هذا موحد، فمعناه أنه يعتقد الوحدانية لله وغير مثبتٍ له شريكاً، ولا يكون موحداً التوحيد المطلوب حتى يتخلَّى عن كل ما فيه شرك للمعبود، وضده المشرك الذي يحصل منه الشرك ولو ببعض أنواعه: بأقواله، أو أحواله، أو أفعاله، أو اعتقاده، أو معاملاته، أو بوفاقه وتحسينه، أو برضاه لقوله أو سماعه... ولما كانت الجاهلية قد أشركوا في عبادتهم ما استحسنوه بفساد عقولهم مقلدين لذلك الضلال المبين من أصولهم فعكفوا على عبادة أصنام، وأوثان، وأشجار، وتماثيل، وقبور، ونُصب، وصخور متبركين بها، راجين شفاعتها عند خالقها، ملتجئين إليها مستمسكين بما زعموه من أنهم محسبون عليها. وقد تشعبت من شجرة هذا الشرك الخبيث فنون ضلالات، وابتدعت من هذا الأصل الباطل فروع جهالات من التطير، والحلف بما تألهوه، وتعليق الرقىٰ والتولة والتمائم لجلب ودفع ما أرادوه فشركوا بين الخالق والمخلوق بالحب والرجاء والخوف والالتجاء والمنع والعطاء والتقريب والإقصاء ثم لم تزل تعم تلك الجهالة وتشتعل بينهم نيران الضلالة حتى اتخذوا لهم من الأديان ما لم يأذن به الله فسيبوا السوائب، وحموا الحام، ووصلوا الوصائل، ولم يزالوا في جهالة جهلاء، ومخالفة عمياء حتى أرسل الله نبيه المصطفىٰ، ﷺ، مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً... فصدع، ﷺ، بالتفريد والتجريد اللذين هما حقيقة التوحيد وحتَّم عليهم توحيده سبحانه عن هذا الشرك، الذي بيَّنه في كتابه المُنزَّل بضرب

---

(١) التوقف للمناوي ص ٤٢٨.

الأمثال وإقامة البراهين على الوجه البارع المفصَّل، فلذلك ترى القرآن والحديث مشحونين بذكر الشرك والمشركين أكثر من ذكر الكفر والكافرين وكان التعرض للشرك في ذلك الزمان وبعده في زمن الصحابة والتابعين هو المعروف المشهور وقد بلغ الغاية في الاشتهار والظهور ثم لما اندرست قواعد الشرك باندراس أهله، وظهرت شعائر الدين القويم بظهور فروعه من أصله، لم تكد ترى أحداً يتعرَّض للشرك وأحواله، ولا يلوث لسانه بذلك القذر في جميع أقواله، فلذلك ترىٰ العلماء قد أطنبوا في أبواب الردة ـ والعياذ بالله ـ من ذكر المكفرات، وأعرضوا عن المشرّكات»[١].

وبعد هذا البيان نلحظ أن الشرك في الألوهية لم يذكر، مع أن توحيد الألوهية هو أصل دين الإسلام، وهو الذي وقعت لأجله الخصومة بين الرسل وأقوامهم، وهو الذي بعثت به جميع الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٢].

(١) العقد الثمين ص ١٨ ـ ١٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

المبحث الثاني
بيان أنواع الشرك عند بعض علماء الشافعية

قال الراغب الأصبهاني: «وشرك الإنسان في الدين ضربان أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى وذلك أعظم كفر... والثاني: الشرك الخفي والنفاق»(١).

قال العلامة علي السويدي الشافعي: اعلم أن الشرك إما أن يكون في الربوبية وإما في الألوهية، والثاني إما أن يكون في الاعتقاد وإما في المعاملة الخاصة برب العباد، وهذا الثاني الذي يتفرع منه شرك العبادة منقسم إلى أقوال وأفعال، وفي كل منهما يكون الشرك الأكبر غير المغفور، والأصغر المغفور، وكلامنا الآن في الشرك الأكبر الذي أوجب الله سبحانه علينا التحرز منه، ولا يكمل توحيد العبد إلا بعد معرفته الشرك بأنواعه وأسبابه، كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

ولأجل الحذر من هذا الخطر كان، ﷺ، يستعيذ منه مع أنه أعلم الناس بالله، وأشدّهم خشية من الله، كما ورد عنه، ﷺ، في قوله: «**اللهم إنّي أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأعوذ بك**

---

(١) المصدر نفسه (ص١٢٣).

أن أشرك بك شيئاً وأنا لا أعلم» إلى غير ذلك من دعائه، وخاصة نداثه، وقد استعاذ منه أيضاً خليل الله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ وكان أبناؤه أنبياء مرسلين، وإذا كان هذا خاتم النبيين وهذا خليل رب العالمين قد استعاذا منه، وطلبا التحرُّز بالله عنه، وخشيا وقوعهما فيه، وهما أفضل الرسل، فكيف بغيرهما كائناً من كان... فالشرك في الربوبية لم يقل به أحد من الكفّار، ولا قال أحد بوجود خالقين واجبي الوجود، وإن حصل من بعض الكفّار التعطيل في الربوبية كتعطيل فرعون وأضرابه، وأما الشرك في الألوهية فهو أنواع بحسب تألُّه المتألهين، ولم يقل أحد أن للعالمين إلٰهين متماثلين متكافئين إلا الثنوية، وأما الوثنية العابدون ما سوى الله فإنهم لا يقولون بالتعدد وإن أطلقوا عليها اسم الآلهة»[(١)].

وقال في موضع آخر: «وجماع الأمر أن الشرك نوعان: شرك في الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبيراً وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة»[(٢)(٣)].

وقال أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي مقراً كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشرك نوعان: أكبر وأصغر، فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، ومن خلص من الأكبر ولكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل

---

(١) المفردات ص ٤٥٢.

(٢) العقد الثمين في بيان مسائل الدين ص (١١٩، ١٢٠).

(٣) من الأدلة على أن دعاء غير الله شرك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)]. وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم، الآيتان: (٤٨، ٤٩)]. فالدعاء عبادة وصرفه لغير الله إشراك بالله تعالى غيره.

النار، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به... فالشرك الأكبر: كالسجود[١] والنذر لغير الله[٢]، والأصغر: كالرياء[٣] والحلف بغير الله[٤] إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله»[٥].

---

(١) ودليل على أن السجود لغير الله تعالى شرك، قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الحجر، الآية: (٩٨، ٩٩)].
وقول النبي ﷺ: **«لو كنت آمراً أحداً بالسجود لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**.

(٢) ودليل النذر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]. وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [سورة الإنسان، الآية: (٧)].

(٣) ودليل الرياء قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: (١٤٢)].

(٤) ودليل الحلف قوله ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك»**.

(٥) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران ص (٣٨، ٣٩).

المبحـــث الثالـــث
وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية حماية لجناب التوحيد

جاء عن الإمام الشافعي وأتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور[١] وتعليتها[٢]، والبناء عليها[٣] والكتابة عليها[٤]، وإسراجها[٥]، واتخاذها مساجد[٦]، والصلاة

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء**». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وكثير من أتباعه في هذه القضايا راجع المهذب (١/٤٥٦) وروضة الطالبين (١/٦٥٢) والمجموع (٥/٢٦٦). والسراج الوهاج (١/١١٤)، وشرح مسلم للنووي (٧/٣٧، ٣٨) والعقد الثمين ص (١٨٦).

(٢) ولمعرفة موقف الشافعية انظر: روضة الطالبين (١/٦٥٢) والزواجر (١/١٩٥).

(٣) لمعرفة موقف الشافعي رحمه الله تعالى وأتباعه انظر المهذب (١/٤٥٦)، روضة الطالبين (١/٦٥٢)، والمجموع (٥/٢٦٦) والسراج الوهاج (١/١١٤)، وشرح مسلم للنووي (٧/٣٠٧).

(٤) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ: «**نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها**» ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم (١/٢٧٨) روضة الطالبين (١/٦٥٢)، المهذب (١/٤٥١)، والمجموع (٥/٢٦٦)، والسراج الوهاج (١/١١٤) والعقد الثمين ص (١٨٦).

(٥) لقول النبي ﷺ: «**لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**». ولمعرفة موقف الشافعية انظر الزواجر (١/١٩٤) فتح المجيد ص (١٨٦).

(٦) قال النبي ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم**=

إليها[١]، واستقبالها للدعاء[٢] والطواف بها[٣] والقعود عليها[٤]، وتقبيلها ومسحها باليد[٥]، وأن يضرب عليها مظلة[٦]، أو أن يقول والله وحياتك[٧] أو يقول ما شاء الله وشئت[٨].

= مساجد» يحذر ما صنعوا. متفق عليه.
وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**». أخرجه مسلم وغيره، ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه، انظر: الأم (١/ ٢٧٨)، شرح مسلم للنووي (٥/ ١١ - ١٤) والزواجر (١/ ١٩٤).

(١) لما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم (١/ ٤٦)، وشرح مسلم للنووي (٧/ ٣٨)، والزواجر (١/ ١٩٤).

(٢) تقدم ذكر الدليل في الفقرة السابقة ولمعرفة موقف الشافعية، راجع الموضوع (٨/ ٢٥٧).

(٣) قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]، فالطائف بقبر إنما يشبهه في الحقيقة ببيت الله الحرام الذي يطوف به المسلمون. ولمعرفة موقف الشافعية راجع المجموع (٨/ ٢٥٧)، الزواجر (١/ ١٩٤)، وتطهير الجنان ص (٣٧).

(٤) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «**نهىٰ رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنىٰ عليه بناء**».
ولمعرفة موقف الشافعية انظر شرح مسلم للنووي (٧/ ٣٧).

(٥) من المعروف أن الله تعالى لم يشرع لنا تقبيل بقعة معينة سوى الحجر الأسود، ولم يشرع لنا مسح شيء واستلامه سوى الحجر والركن اليماني، أما فعل هؤلاء عند القبور فهو من الغلو الموقع في الشرك والبدع الغليظة لأنه مساواة بين المشاعر المقدسة وبين القبور، وهذا فعل من ضلوا ويحسبون أنهم مهتدون.
ولمعرفة موقف الشافعية، انظر المجموع (٨/ ٢٥٧).

(٦) تقدّم ذكر الدليل في الفقرات السابقة. ولمعرفة موقف الشافعية انظر: المجموع (٥/ ٢٦٦).

(٧) لقول النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**». انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٠١).

(٨) لقول النبي ﷺ: «**أجعلتني لله ندًا**»، لمن قال له «ما شاء الله وشئت». انظر: تفسير ابن كثير الشافعي (١/ ١٠١).

وقال الشافعي: «وأكره أن يبنى على القبر مسجد وأن يسوىٰ أو يصلىٰ عليه وهو غير مسوى أو يصلى إليه»[(١)].

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «يكره أن يجصص القبر وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبنى عليه»[(٢)].

وقال أيضاً: «ورأيت من الولاة من يهدم ما بني فيها ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك ولأن في ذلك تضييقاً على الناس»[(٣)]. «وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً، مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»[(٤)].

وقال النووي: «ويكره تجصيص القبر والبناء والكتابة عليه ولو بني في مقبرة مُسبّلة هدم»[(٥)].

وقال ابن حجر المكي الهيتمي: «الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها... ثم قال: تنبيه: عَدّ هذه ستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية، كأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ القبر مسجداً منها واضح لأنه - يعني النبي، ﷺ، لعن من فعل ذلك، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية: «**يحذر ما صنعوا**»[(٦)] أي

---

(١) الأم (١/ ٢٧٨) ولعله لا يقصد بالتسوية تسوية القبر بالأرض فإنها مأمور بها لكن لعله يقصد جعل القبر مستوى الأسطح والحواف وغير ذلك بحيث لا يكون فيه نتوءات ولا بروز والله أعلم.

(٢) المجموع (٥/ ٢٦٦).

(٣) المجموع (٥/ ٢٦٦).

(٤) المهذب (١/ ٤٥٦).

(٥) السراج الوهاج (١/ ١١٤).

(٦) البخاري (٧/ ٧٤٧) ح (٤٤٤٣) في المغازي باب مرض النبي ﷺ، مسلم=

يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فيلعنوا كما لعنوا، واتخاذ القبر مسجداً، معناه الصلاة عليه أو إليه، وحينئذ فقوله: والصلاة إليها مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر معظماً من نبي أو ولي كما أشارت إليه الرواية: «**إن كان فيهم الرجل الصالح**[(١)]...» ومن ثمَّ قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء... ومثلها مثل: الصلاة عليه، والتبرك والإعظام، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهرة ظاهر من الأحاديث المذكورة، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر: كإيقاد السرج عليه تعظيماً له وتبركاً به، والطواف به كذلك، وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرَّح في الحديث المذكور آنفاً بلعن من اتخذ على القبر سرجاً، وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري وثناً يعبد بعدي**»[(٢)] أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو بنحوه إلى أن قال: فإن أعظم المحرَّمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناءها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي، ﷺ، لعن فاعله، ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية الرسول، ﷺ، لأنه نهىٰ عن ذلك وأمر، ﷺ، بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على القبر ولا

= (١/ ٣٧٧)، ح (٥٣١) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عبيد الله بن عبد الله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً.

(١) مسلم (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٢) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد (٢/ ٢٢٦) من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ومالك مرسلاً (١/ ١٧٢) ح (٨٥) وعبد الرزاق في المصنف مرسلاً (٨/ ٤٦٤) من طريق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد المهري.

يصح وقفه ونذره»[١].

وقال النووي: «ولا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ويكره لصاق البطن والظهر بجدار القبر قاله أبو عبيد الله الحليمي وغيره، قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه من حضره في حياته ﷺ.

هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم كذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم... ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[٢].

وقال البغوي: «يكره أن يضرب على القبر مظلة لأن عمر ـ رضي الله عنه ـ رأىٰ مظلة على قبر فأمر برفعها وقال: دعوه يظله عمله»[٣].

وجاء في المنهاج وشرحه لابن حجر ما ملخصه: «ويكره تجصيص القبر والبناء عليه... والكتابة عليه للنهي الصحيح عن الثلاثة، سواءً كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه أو في غيره، نعم بحث الأذرعي حرمة كتابة القرآن للامتهان بالدوس والتنجيس بصديد الموتىٰ عند تكرار الدفن ووقع المطر وندب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين لا سيما بقبور الأنبياء والصالحين... قال: ليس العمل عليه الآن فإن أئمة المسلمين من المشرق للمغرب مكتوب على قبورهم، فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف ويرد بمنعه هذه الكلية وبفرضها فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٩٥).
(٢) المجموع (٨/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).
(٣) المجموع (٥/ ٢٦٦).

المسبلة كما هو مشاهد لا سيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد علموا بالنهي عنه، فكذا هي، فإن قلت: هو إجماع فعلي وهو حجة كما صرَّحوا به قلت: ممنوع بل هو أكثري إذ لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذين يرون منعه، وبفرض كونه إجماعاً فعليًا فعمل حجيته كما هو ظاهر عند صلاح الأزمنة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعطّل ذلك منذ أزمنة، ولو بني نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر إلى أن قال: وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة[١] مصر من البناء حتى قبة إمامنا الشافعي ـ رضي الله عنه ـ التي بناها بعض الملوك، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للإمام[٢].

وقال البيضاوي: كما في حاشية السيوطي على سنن النسائي: «لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ويتوجهون إليها تعظيماً لشأنهم ويجعلونه قبلة يتوجهون في الصلاة والدعاء نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم الله ومنع المسلمين من مثل ذلك وأصل الشرك إنما حدث من تعظيم القبر والتوجه إليه»[٣].

وقال السويدي الشافعي: فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع، ويكتبون عليها الآيات القرآنية، ويعملون لها التوابيت من خشب الصندل والعاج، ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العقيان والفضة الخالصة، ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيرها، وعلقوا عليها قناديل الذهب، وبنوا عليها قباباً من الذهب أو الزجاج المنقوش، وزخرفوا أبوابها، وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفاً عليها من اللصوص، كل ذلك مخالف لدين الرسل، وعين المحادَّة لله ورسوله، فإن كانوا متبعين فلينظروا

---

(١) هي المكان الذي يقبر فيه.
(٢) كما في العقد الثمين ص (١٨٦).
(٣) حاشية سنن النسائي (٢/ ٤٢).

إليه، ﷺ، كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب، وينظروا إلى قبره الشريف وما عملت الصحابة فيه»[١].

وقال النووي: «إنما نهىٰ النبي، ﷺ، عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدّى ذلك إلى الكفر كما جرىٰ لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله، ﷺ، حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ مدفن رسول الله، ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد ويؤدّي إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يمكن أحد من استقبال القبر»[٢].

وجاء في الباعث في إنكار البدع والحوادث ص ١٠٣: «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البراء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها».

شبهة وجوابها: لقد استدل القبورية على جواز بناء المساجد على القبور بقصة أصحاب الكهف حيث اتخذ قومهم عليهم مسجداً وأجاب عن هذه الشبهة الحافظ ابن كثير بجوابين:

الأول: أن هذا عمل الكفار والمشركين فليس بحجة.

والثاني: على فرض أن هذا عمل المسلمين ولكن هم غير محمودين في هذا العمل[٣].

---

(١) العقد الثمين ص (١٨٥).
(٢) شرح صحيح مسلم (٥/ ١٣ ـ ١٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨).

المبحث الرابع
نماذج من الشرك
التي حذَّر منها علماء الشافعية

جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وبعض أتباعه النهي عن أنواع الشرك الأكبر والأصغر: كالدعاء والاستغاثة بغير الله(١) والسجود

(١) لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)]. ولقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (٥)]. وقول النبي ﷺ: «**إنَّ الدعاء هو العبادة**».

ولمزيد من التعرُّف على أقوال الشافعية: انظر الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر المكي ص (٩٥، ٧١) والعقد الثمين، وتطهير الجنان ص (٣٨).

وأما ما حكى بعضهم عن الشافعي أنه قال: «إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب» قال الألوسي الحنفي: هذا كذب معلوم كذبه عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن عند عهد الشافعي معروفاً وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟ ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا عند قبر غيره، ثم إن الشافعي قد صرَّح في بعض كتبه بكراهة=

لغير الله[١]، والركوع لغير الله[٢]، والنذر لغير الله[٣]، والذبح لغير الله[٤]

= تعظيم القبور خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت بطرق أهل الحديث فكيف بالمنقول عن غيره. ومنها ما قد يكون صحابي قاله أو فعله باجتهاد يخطىء ويصيب أوقال بشروط وقيود كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرّف النقل عنه كما أن النبي ﷺ: لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها من حجها للصلاة عندها والاستغاثة بها ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها». فتح المنان ص (٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(١) لقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: (٤٣)]. ولمعرفة موقف الشافعية انظر روضة الطالبين (٧/ ٢٨٣، ٢٨٤)، والجمل على شرح المنهج (٥/ ١٢٤) ومغني المحتاج (٤/ ١٣٦)، والإعلام بقواطع الإسلام (٩٥، ٦٣، ١٩، ٩٣، ٩٨، ٢٠، ٢١)، وتطهير الجنان ص (٣٧).

(٢) لقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[سورة آل عمران، الآية: (٤٣)] ولمعرفة موقف أئمة الشافعية. انظر الجمل على شرح المنهج (٥/ ١٢٤).

(٣) لقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]. فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى.

ولمزيد التعرف على أقوال الشافعية انظر: المجموع (٨/ ٤٣٥)، ومغني المحتاج (٤/ ٣٧١)، وتطهير الجنان ص (٣١، ٣٧)، والعقد الثمين ص (٢١٩)، وفتح المجيد ص (٢١٣)، وقرة عيون الموحدين ص (٩٦، ٨٦).

(٤) لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: (١٦٢)].

فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

ولمعرفة أقوال أئمة الشافعية انظر: روضة الطالبين (٧/ ٢٨٤)، والزواجر (١/ ١٦٧)، والعقد الثمين ص (٢٢٢)، وتطهير الجنان ص (٣٧).

أو اعتقاد أن أحداً يعلم الغيب[١] والحلف بغير الله[٢] وقول ما شاء الله وشئت[٣]، واعتقاد أن السحر له تأثير بذاته[٤].

قال الشافعي: «ومن حلف بشيء غير الله جل وعز مثل أن يقول الرجل: «والكعبة، وأبي، وكذا وكذا مكان، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: لعمري لا كفارة عليه، وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت**»[٥] أخبرنا ابن عيينة، قال: حدَّثنا الزهري، قال: حدَّثنا سالم عن أبيه قال: سمع النبي، ﷺ، عمر يحلف بأبيه فقال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا**

(١) لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الجن، الآية: (٢٦)]. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].
ولمعرفة أقوال الشافعية: انظر الإعلام بقواطع الإسلام ص (٦٩، ٧١)، العقد الثمين، البغوي (٤/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(٢) لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وفي لفظ: «**فقد كفر**».
ولمعرفة أقوال الشافعية: انظر الأم (٧/ ٦١) المجموع ص (١٩، ٢٢٧ ـ ٢٢٨)، شرح السنة (١٠/ ٩)، إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (٤/ ١٤٤)، حلية العلماء (٧/ ٢٤٦)، ومغني المحتاج (٤/ ٣٢٤)، والجمل على شرح المنهج (٥/ ٢٨٨)، وفتح الباري (١١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

(٣) لقول النبي ﷺ: «**أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده**» وذلك لمن قال له ما شاء الله وشئت.
ولمعرفة موقف الشافعية انظر: شرح السنة (١٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٤) لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: (١١٦)] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [سورة طه، الآية: (٦٩)]. وانظر موقف الشافعية في كتاب الإعلام بقواطع الإسلام ص (٩٨).

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٠) ح (٦٦٤٦) في الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم في الأيمان (٣/ ١٢٦٦) ح (١٦٤٦) باب النهي عن الحلف بغير الله، والنسائي (٧/ ٤) في الأيمان باب الحلف بالآباء وأبو داود (٣/ ٥٦٩) ح (٣٢٤٩)، في الأيمان باب في كراهية الحلف.

بآبائكم قال عمر ـ رضي الله عنه ـ والله ما حلفت بها بعد ذلك»[١] وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: فكل من حلف بغير الله كرهت له وخشيت أن تكون يمينه معصية»[٢].

وقال ابن حجر الهيتمي المكي: «الكبيرة السابعة والستون بعد المائة: الذبح باسم غير الله على وجه لا يكفر به، بأن لا يقصد تعظيم المذبوح له، كنحو التعظيم بالعبادة والسجود إلى أن قال: وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول باسم الله واسم محمد أو محمد رسول الله بجر اسم الثاني أو محمد إن عرف النحو فيما يظهر أو يذبح كتابي لكنيسة أو لصليب أو لموسى أو لعيسى ومسلم لكعبة أو لمحمد، ﷺ، أو تقرب بالسلطان أو غيره أو للجن فهذا كله يحرم المذبوح وهو كبيرة»[٣].

وقال الرافعي في شرح المنهاج: «وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب أو الواقع قصود العامة ـ تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء، ويستجلب بها النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السرُج والزيت، ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٥٧٠) ح (٣٢٥٠)، في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء، والنسائي كتاب الأيمان باب الحلف بالآباء (٧/ ٤) ح (٢٧٦٦) وابن ماجه في الكفارات (١/ ٦٦٧) ح (٢٠٩٤) من رواية سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه.

(٢) كتاب الأم (٧/ ٦١).

(٣) الزواجر (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

من شفاء مريض، أو قدوم غائب، أو سلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازات، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل، عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرَّم سواءً انتفع به هناك منتفع أم لا»[(١)].

وقال النووي: «إذا نذر المشي إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، وهي: المسجد الحرام، والمدينة، والأقصىٰ لم يلزمه ولا ينعقد نذره عندنا»[(٢)].

وقال ابن حجر المكي في شرح المنهاج: «لا يقول باسم الله واسم محمد» قال ابن حجر: «يحرم عليه ذلك للتشريك لأن من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه فقط كما في اليمين باسمه نعم إن أراد الذبح باسم الله والتبرك باسم محمد كره فقط»[(٣)].

وقال أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي: «أي لا ينذروا لغير الله، ولا يطوفوا بغير البيت العتيق، فلا يجوز النذر للأولياء ولا للصالحين ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني، والحسين، والبدوي، والدسوقي، وغيرهم فإن هذا شرك لا مراء فيه، وكثير من المبتدعين الجاهلين ينذر للصالحين، وبعضهم يرسل أموالاً.. للسدنة ولتعمير القباب كما يفعل ذلك الكثير من الهنود والباكستانيين بنذرهم لعبد القادر الجيلاني، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين فإنهم ينذرون أموالاً بقبور أهل البيت في

---

(١) فتح المجيد ص (٢١٣).

(٢)(٣) المجموع (٨/ ٤٧١).

النجف وكربلاء وخراسان وقم، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور للطواف بها، والاستغاثة بساكنيها وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسماوات، وكذلك لا يجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء، بل يستغفر الله، ويتوب إليه، ويأتي بالشهادتين لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شرك، ومن وقف عقاراً أو حيواناً على قبور الأولياء فوقف باطل، أو وصَّىٰ لها فوصيته باطلة، وذلك العقار أو الحيوان لا زال على ملك صاحبه، نسأل الله لنا ولهم التوفيق.

وقول بعضهم: إن النذر لله والثواب للولي كلام باطل وضلال عاطل فأيُّ شيء أدخل الولي هنا؟! إن كان قصده الصدقة فليتصدَّق على الفقراء عن نفسه وعن أبويه وأقاربه، وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي! والأمور بخواتيمها فقد يكون ظاهره صديقاً، وباطنه زنديقاً، ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر، فإذا أنكرت عليهم قالوا الذبح لله والثواب للولي، وليس القصد من هذا إلا التلبيس وقلب الحقائق، وهم لم يقصدوا إلا الولي. على أن العلماء قد صرَّحوا أن لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله للحديث عن ثابت بن الضحّاك قال: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ، فقال: **«هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟»** قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: **«أوف بنذرك، فإنه لا وفاء للنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»**[(١)] . . .»[(٢)].

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤم به من الوفاء بالنذر (٣/ ٦٠٧) ح (٣٣١٣) والبيهقي في السنن (١٠/ ٨٣) والطبراني في الكبير ح (١٣٤١) من حديث ثابت بن الضحاك وصححه الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٨٠).

(٢) تطهير الجنان ص (٣١ ـ ٣٢).

وقد أجاب أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي عن شبهات القبورية وهي:

الأولى: قول بعض الجاهلين: إن هؤلاء - يعني القبوريين - يقرون بالخالق، ويعتقدون بشرائع الإسلام وبيوم الجزاء، وغاية ما هنالك أنهم يتوسلون بهؤلاء الصالحين، ولا يرضون بلقب الشرك، بل ينفرون منه، فكيف يمكن أن يقال: بأنهم مشركون؟

الثانية: أن المشركين كان كفرهم من أجل إنكارهم للربوبية لا من حيث صرف العبادة لغير الله مستدلين بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[١] وبقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾[٢].

أجاب بما يأتي:

الجواب عن الشبهة الأولى: قال: فالجواب عن تسميتهم مشركين أن الكفر والشرك شعب وأنواع كما أن الإيمان له شعب، فإذا ما أتىٰ بكثير من شعب الإيمان وأتى معه بشيء من شعب الشرك، فيقال له: مشرك، مثلاً لو صلَّى وصام واعتقد بالرسالة والقيامة واتصف بالزهد ومكارم الأخلاق لكنه اعتقد في كوكب بأن له تأثيراً، أو أن بيده نفعاً أو ضرًا، أو اعتقد في ملك أو رسول ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله فنسميه مشركاً، وإن أتىٰ بتلك الأعمال الصالحة، وإلا فما معنى كتاب الردة، ولا يلزم أن يحكم على أحد بكفر أو شرك إلا إذا أتى بجميع خصاله وأنواعه، وتوسلهم لاعتقادهم بأنهم مذنبون وهؤلاء أقرب عند الله فيوسطونهم بينهم وبين الإله، هذا هو شرك العرب بعينه... وأما تشهدهم بالشهادتين فهو منتقض بأعمالهم المنافية لهما كالحدث بعد الوضوء وإقرارهم بالخالق لا يفيد لأن المشركين كانوا مقرين بالربوبية ولم يدخلهم في الإسلام.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٦٠).

(٢) سورة الرعد، الآية: (٣٠).

وأما قول من يقول بأن مشركي العرب كانوا منكرين للبعث.
فالجواب: أن هذا الاعتقاد من جملة المكفرات، والرسول، ﷺ، كفَّرهم وأباح دماءهم لأمور كثيرة، أعظمها عبادتهم للأوثان ومنها إنكارهم للبعث، ولا يقبل من الإنسان أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، بل واجب عليه أن يذعن معتقداً بكل ما أتىٰ به القرآن وجاء به الرسول، ﷺ، ويعمل بهما، فمن آمن ببعض ولم يؤمن بالبعض الآخر فهو كافر، كما قال الله ـ تعالى ـ مخبراً عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً﴾ ولا ينفعهم مجرد النطق بكلمة الشهادتين حتى يعمل بمقتضاها من البراءة مما يعبد من دون الله، وصرف جميع العبادات كائنة ما كانت إلى الله... ولكن هل يحكم على الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة المتلوثة بتلك الخصال المنافية للتوحيد بالشرك والكفر؟ مع أنها مؤمنة بالله والرسول، وآتية بسائر الشرائع؟

الجواب: يقال هذا العمل شرك وكفر، مثلاً كالسجود للولي والطواف بقبره أو النذر له، ولكن الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة لا نبادرها بالتكفير بل الواجب تبليغها بآيات القرآن وأحاديث الرسول، ﷺ، المبينة للشرك والمحذرة عنه، وأن ليس لصاحبه نصيب من الجنة، وأن هذه الأعمال هي شرك فإذا أصر الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة وعاندت ولم تقبل، فعند ذلك يحل عليها إطلاق الشرك أو عليه إن كان فرداً معيناً وليكن الشخص ذا تفرقة بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر، كالرياء فإنه شرك أصغر، والسجود والنذر لغير الله أكبر...، فإن قيل يلزم من كلامكم تكفير الأكثرية من الأمة المحمدية حيث إنهم يعلمون ما تقولون بأنه شرك مثل النذر للأولياء والنحر لهم:

فالجواب:

أولاً: أن القول بالعموم مغاير للقول بالخصوص.

ثانياً: غلبة الجهل، وقلة العلم بالتوحيد والسنة المطهرة، ومعرفة الشرك وأقسامه وذرائعه في كثير من الأماكن والبلدان هو المانع من الحكم بالشرك على المعين إلا من بلغته النصوص وقامت عليه الحجة ثم أصر معانداً فذاك يحكم عليه بالشرك»[١].

الجواب عن الشبهة الثانية: «**أن الآية الأولى**: فيها استفهام عن الرحمن، والاستفهام عن الشيء لا يكون جحداً له، على أننا لو قلنا استفهام إنكاري فإنه إنكار للتسمية بالرحمن لا غير، كما يوضحه كتابه صلح الحديبية، **والآية الثانية**: فيها الكفر بالرحمن، والكفر بالشيء لا يكون إنكاراً له تقول لمن فعل فعلاً كفرياً: كفر فلان، وهذا يدل على أنه منكر للرب، على أنه معارض بالآيات المنبئة عن اعترافهم بالربوبية»[٢].

ومن هنا يتبين لنا مدى تحذير علماء الشافعية من الشرك وعاقبته الوخيمة في الدنيا والآخرة، والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ص (٣٧، ٤٠).

(٢) المصدر السابق نفسه ص (٤٤).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي أعانني على الفراغ من هذا الكتاب، وإنما كان ذلك بمنّه وفضله فله الحمد، ومن أهم النتائج المستفادة من هذا الكتاب:

١ ـ أن كلام الشافعي ومتقدمي أصحابه وكان قليلاً فيما يتعلق بالبدع القبورية، وذلك لأنها لم تكن منتشرة في عهده، بخلاف المتأخرين من أتباعه الذين كثر كلامهم في هذا الباب.

٢ ـ أن كثيراً من علماء الشافعية لهم جهود مشكورة في سد منافذ الشرك وحماية جناب التوحيد.

٣ ـ أن بدع القبور كانت وبالاً على كثير من الناس حيث أوقعتهم في الشرك الأكبر.

٤ ـ مدى احتياط الشارع في الحفاظ على التوحيد، وتحريمه لكل الوسائل المفضية إلى الشرك ومنها ما يتعلق بتعظيم القبور.

٥ ـ مدى إهانة الشرك للإنسان بتعبيده لغير الله، وإفساده لعقله بما يجيزه من الأساطير والخرافات.

وهذا جهد المقل وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، وعذراً للقراء عن أي تقصير، فالضعف سمة ابن آدم.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بيان الشرك ووسائله

عنـــد
علمـــاء الحنـابلـــة

تـأليــف:
د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فهذا هو الكتاب الرابع من سلسلة (بيان الشرك ووسائله).

وكان الأول من بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنفية، بينما كان الثاني عن نفس الموضوع عند المالكية، على حين كان الكتاب الثالث عن نفس الموضوع عند الشافعية.

وهذا الكتاب الرابع: يتعلق ببيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة، وقد التزمت بألا أذكر فيه شيئاً من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا تلميذه العلامة ابن القيم، ولا كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولا أحد من أبنائه، وذلك رغبة مني في بيان اهتمام الحنابلة بهذه المسائل الخطيرة، وعدم انحصار المتكلمين فيها فيمن سبق ذكرهم، إذ إنهم من أشهر من تكلم في هذه المسائل وأكثرهم تطرقاً إليها حتى ليكاد بعض الجهال ينسب إليهم مسائل العقيدة هذه فيقال: الوهابية.. وما شاكل ذلك.

ومن الدلائل الواضحة على اغترار كثير من الناس بما قيل في حق أئمة الدعوة وما نسب إليهم، قول محمد رشيد رضا[١] ـ رحمه الله ـ: (كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخَضَدت شوكتهم، وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي[٢]

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ولد وتعلم في طرابلس الشام ومات في القاهرة سنة (١٣٥٤هـ) انظر الأعلام (٦/ ١٢٦) ومعجم المؤلفين (٩/ ٣١٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي مفتي الحنفية في عهد محمد علي خديوي الكبير توفي سنة (١٢٣٧هـ) انظر الأعلام (٣/ ٣٠٤) ومعجم المؤلفين (٥/ ١٣٣).

وتاريخ الاستقصا[١] في أخبار المغرب الأقصى، فعلمت منهما أنهم هم الذين كانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من أهلها... إلخ)[٢].

والحنابلة هم المنتسبون إلى مذهب الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل في الفروع، وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، وكان ـ رحمه الله ـ صلب الدين، متباعداً عن الولاة والسلاطين صادعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، توفي ـ رحمه الله ـ سنة **٢٤١**هـ بعدما ابتلي بالمحنة فصبر فرفع الله بذلك ذكره، وجعله للعلماء إماماً وقدوة.

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء الحنابلة.

الثاني: أنواع الشرك عند هؤلاء العلماء.

الثالث: وسائل الشرك التي حذروا منها لحماية جناب التوحيد.

الرابع: نماذج من الشرك والتي ذكروها وحذروا منها.

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

---

(١) الاستقصاء مؤلفه أحمد بن خالد الناصري الدرعي السَّلاوي مؤرخ وباحث توفي سنة (١٣١٥هـ) انظر الأعلام (١/ ١٢٠). ومعجم المؤلفين (١/ ٢١٤).

(٢) مقدمة كتاب صيانة الإنسان ص (٨).

المبحث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء الحنابلة

وقبل الشروع في بيان الشرك وتعريفه عند بعض علماء الحنابلة، فإننا نبين معنى الشرك في اللغة فنقول: الشرك لغة: شَرِكَ: أي صار شريكاً له نصيب في الشيء ومصدرها: شِرْك، وشَرِكة، ومِشْركة وأشركه في أمره: أدخله فيه، وشاركه: كان شريكه، وشرَّك بينهم: جعلهم شركاء.

أما عند علماء الحنابلة، فقد اختلفت عباراتهم في تعريف الشرك وإن كان مضمونها واحداً.

فقد قال ابن رجب: «جعل المخلوق في منزلة الخالق فعبده وتأله، فهو وضع الأشياء في غير موضعها، وأكثر ما ذكر في القرآن وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(١)]»[(٢)].

وقال في تعريف الشرك الأصغر موضحاً أنه الرياء: «وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة لأن الرياء هو الشرك الأصغر،

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨١).

والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره»[(١)].

وأشار إلى المراد بالشرك الخفي وذلك في قوله: «فإن جميع النعم من الله وفضله.. فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقاد أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله فهو شرك خفي»[(٢)].

وقال مفتي الحنابلة في مكة في وقته الشيخ أبو بكر بن محمد عارف خوقير: «فالشرك تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية التي تفرد بها سبحانه وتعالى، وبعبارة أخرى: هو اعتقاد أن لغير الله أثراً فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة، وأن لشيء من الأشياء سلطاناً عما خرج عن قدرة المخلوقين»[(٣)].

وقال أيضاً: «وهو أن يجعل لغيره معه تدبيراً، فالربوبية منه سبحانه لعباده، والتأله من عباده له تعالى».

وقال أبو بكر بن محمد بن الحنبلي: «الشرك هو أعظم داء يبتلى الإنسان به، وهو أن يجعل المرء ندًّا لله، وهو عكس التوحيد، لذلك أنصح نفسي وكل مسلم ومسلمة أن يعرف الشرك ليجتنبه، حيث يقول ربنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[(٤)].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٥)]»[(٦)].

---

(١) التخويف من النار ص (٢٢٣).
(٢) لطائف المعارف ص (٧٠).
(٣) كتاب (ما لا بد منه) ص (٣٠).
(٤) سورة النساء، الآية: (٤٨).
(٥) سورة المائدة، الآية: (٧٢).
(٦) العقيدة في صفحات (٣٩).

المبحث الثاني
أقسام الشرك عند بعض علماء الحنابلة

الشرك ضد التوحيد، والواجب على المسلم أن يعرف أنواع الشرك صغيره وكبيره، الظاهر منه والخفي، كي يجتنبها فيسلم له دينه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة هذه الأنواع، ووسائلها وما يفضي إليها، وسد منافذها.

وكما هو واضح من تعريف ابن رجب السابق للشرك وذلك في المبحث الأول، يتضح أن الشرك عنده ثلاثة أنواع: أكبر، أصغر، خفي.

وقد بسط القول في تفصيل بيانها أبو بكر بن محمد بن الحنبلي فقال:

«**أولاً: الشرك الأكبر**: وهو النوع الذي يوجب الخلود في النار، والخروج عن ملة الإسلام، ومنه أنواع ستة سنطرحها فيما يلي إن شاء الله:

١ ـ **شرك الدعاء**: وهو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء لطلب الرزق أو شفاء مرض أو غير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ

مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[١].

٢ ـ **شرك النية والإرادة والقصد**: وهو العمل الصالح للدنيا فقط، لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[٢].

٣ ـ **شرك المحبة**: وهو محبة أحد الأولياء كمحبة الله[٣] لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٤].

٤ ـ **شرك الطاعة**: وهو طاعة العلماء والمشايخ في المعصية مع استحلال ذلك لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[٥].

٥ ـ **شرك الحلول**: وهو اعتقاد أن الله تعالى حلّ في مخلوقاته كعقيدة ابن عربي الصوفي المدفون بدمشق وغيره.

٦ ـ **شرك التصرف**: وهو اعتقاد أن بعض الأولياء لهم تصرف في الكون، يدبرون أموره كالأقطاب والأبدال مع أن الله تعالى يسأل المشركين الأقدمين قائلاً: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[٦] ا.هـ.

وقبل أن ننتقل من الكلام على أنواع الشرك الأكبر يجدر بنا أن نلفت النظر إلى عدم الوقوع في هذا الأمر الخطير وهو أن يقول

---

(١) سورة يونس، الآية: (١٠٦).
(٢) سورة هود، الآيتان: (١٥، ١٦).
(٣) الكلام غير دقيق وكان الأولى أن يقول: «محبة غير الله كمحبة الله» وذلك لعموم الآية في الباب.
(٤) سورة البقرة، الآية: (١٦٥).
(٥) سورة التوبة، الآية: (٣١).
(٦) سورة يونس، الآية: (٣١)، وكلامه بتمامه من كتاب العقيدة ص (٤٠، ٤١).

القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا. حيث إن من قال هذا وهو معتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر لأنه أشرك في الربوبية، وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر لأنه نسب نعمة الله إلى غيره.

ثانياً: **الشرك الأصغر**: وهو لا يخرج صاحبه من الملة، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارىء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»[1].

وسنضرب بعض الأمثلة لبيان بعض أنواع الرياء جملة وتفصيلاً:

١ ـ **الرياء اليسير**: وهو التصنع للمخلوق كالمسلم الذي يعمل لله ويصلي لله ولكنه يحسّن صلاته وعمله ليمدحه الناس، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2]، وقال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في**

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥١٤) كتاب الإمارة رقم (١٩٠٥).

(٢) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[١].

٢ ـ ومن أنواع الرياء:

(أ) الرياء البدني: ويكون بإظهار النحول والاصفرار ليرى العباد بذلك شدة الاجتهاد، وغلبة خوف الآخرة، ويقرب من هذا خفض الصوت، وإغارة العينين وإظهار ذبول الجسم ليدل بذلك على أنه مواظب على الصوم.

(ب) الرياء من جهة الزي: كإبقاء أثر السجود على الوجه، وارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء فيرتدي هذا اللباس ليقال عالم.

(جـ) الرياء بالقول: وهو على الغالب رياء أهل الدين بالوعظ والتذكير، وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس، وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن ونحو ذلك.

(د) الرياء بالعمل: كمراءاة المصلي بطول القيام، وتطويل الركوع والسجود وإظهار الخشوع والمراءاة بالصوم والغزو والحج، والصدقة ونحو ذلك.

(هـ) الرياء بالأصحاب والزائرين: كالذي يتكلف أن يستزير عالماً أو عابداً ليقال إن فلاناً قد زار فلاناً، ودعا الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الدين يترددون عليه.

إذاً الرياء يعد من الشرك الأصغر، ولذلك الحلف بغير الله يعد من الشرك الأصغر، ولذلك فإن النبي ﷺ يقول: **«من حلف بغير الله**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/٤٢٨، ٤٢٩) وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٢٣/ ١٥٥٥).

فقد كفر أو أشرك»(١).

ثالثاً: الشرك الخفي: وقد فسره ابن عباس - رضي الله عنهما - بقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، ومثله لولا الله وفلان، والصحيح أن تقول: لولا الله ثم فلان، وما شاء الله ثم شئت، وأيضاً: أعوذ بالله وبك، ومثله توكلت على الله وعليك. ولكن الصحيح أن تقول: أعوذ بالله ثم بك، توكلت على الله ثم عليك، وما شابه ذلك.

وعن أبي سعيد مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**(٢) **وكفارة الشرك الأصغر والخفي، أن يقول الرجل: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»**(٣) ا.هـ.

قلت: يلاحظ من تقسيمه هذا للشرك أنه جعل الرياء شركاً أصغر كما فعل ابن رجب، ومن أهل العلم من جعل الشرك الأصغر الحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت ونحوه، والخفي هو الرياء ولا مشاحة في ذلك، فبكلٍ وردت الأدلة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٦٩، ٨٦) وأبو داود كتاب الأيمان والنذور باب كراهية الحلف بالآباء (٣/٥٧٠) ح (٣٢٥١) والترمذي كتاب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (٤/١١٠) ح (١٥٣٥) والبيهقي في السنن (١٠/٢٩) والحاكم في المستدرك (١/١٨) جميعهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر ولفظه عند الترمذي والبيهقي **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»** ولفظه عند الحاكم **«من حلف بغير الله كفر»** قال الترمذي على أثره «هذا حديث حسن» وقال الحاكم: «هذا حديث على شرط الشيخين فقد احتج بمثل هذا الإسناد» وأقره الذهبي في التلخيص.

(٢) ابن ماجه (٢/١٤٠٦)، (٤٢٠٤) في الزهد باب الرياء والسمعة من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه مرفوعاً وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٥٠٩/ ٢٦٠٧).

(٣) العقيدة في صفحات (٣٩، ٤٣، ٤٥).

ويلاحظ أنه قد أغفل أنواعاً من الشرك كالشرك في الخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك.

وكان الأولى إما أن يجمل فيقول شرك العبودية وإما أن يفصل فيذكر كل أنواع العبادة وما ينافيها من الإشراك بالله فيها.

وقسم العلامة أبو بكر محمد بن عارف خوقير مفتي الحنابلة في مكة، قسم الشرك إلى ستة أقسام:

١ ـ **شرك الاستقلال**[١]: وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس.

٢ ـ **شرك تبعيض**: وهو تركيب إله من آلهة كشرك النصارى.

٣ ـ **شرك تقريب**: وهو عبادة غير الله ليقرب إليه زلفى. (هذا هو بيت القصيد).

٤ ـ **شرك تقليد**[٢]: كشرك متأخري الجاهليين.

٥ ـ **شرك أسباب**[٣]: بإسناد التأثير للأسباب العادية نفسها بدون قدرة الله كما للفلاسفة والطبيعيين كقولهم: مطرنا بنوء الكوكب.

٦ ـ **شرك أغراض**: وهو العمل لغير الله، وحكم هذا المعصية فقط كما ذكره البعض[٤] ا.هـ.

---

(١) لا يوجد شرك الاستقلال. راجع شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (١٩) فإن المجوس لم يشركوا شرك الاستقلال ولا يوجد أحد في العالم أشرك في هذا النوع من الشرك فهذا خطأ مشهور يجب التنبه له.

(٢) الأولى في تفسير شرك التقليد: أن يقال (شرك التقليد اتباع العلماء والأمراء في أمر يخالف الشرع مع ظهور الحجة).

(٣) للأشعرية ههنا خطأ فاحش في نسبة التأثير إلى الأسباب وهو قولهم إن القول بالقوة المودعة في الأشياء شرك.
انظر متن الخريد أرجوزة أحمد الدردير ضمن مجموعة المتون ص (٦٠٩).

(٤) انظر كتاب ما لا بد منه ص (٣١).

قلت: ويظهر من هذا التقسيم أن المؤلف لم يستوعب أقسام الشرك التي جاءت في النصوص الشرعية، بل ركز على الشرك في الربوبية والألوهية ولم يشر إلى الشرك في الصفات، وقد نجد بعض العلماء يركز على جانب معين لشيوع الخطأ والزلل فيه والبعض يركز على جوانب أخرى، ولا مشاحة.

المبحـــث الثالـــث
وسائل الشرك التي حذر منها بعض علماء الحنابلة

لقد اهتم الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ أشد الاهتمام بمسألة سد الذرائع، وذلك ثابت عنه كما قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «والتمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب الإمام مالك وأصحابه، وأحمد بن حنبل»(١).

وجاء عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وبعض أتباعه النهي عما هو من وسائل الشرك. كتجصيص القبور والبناء عليها(٢)، وتعليتها(٣)،

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٥٧، ٥٨).

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء. قال ابن قدامة في المغني «ولأن ذلك من زينة الدنيا فلا حاجة بالميت إليه» ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذا الباب انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩) الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٣) المقنع (١/ ٢٨٥) المعتمد (١/ ٢٤٩) المغني (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٣) يدل على تحريم ذلك الحديث السابق، وحديث أبي الهياج الأسدي الذي أخرجه مسلم والنسائي وغيرهما أن عليًا رضي الله عنه قال له: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته» وفي لفظ: ولا صورة. وللتعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٣٨) المبدع (٢/ ٢٧٢) المعتمد (١/ ٢٤٩)=

والكتابة عليها[١]، واتخاذها مساجد[٢]، واستقبالها للدعاء[٣]، والسجود عليها، والصلاة عندها[٤]، وتقبيلها[٥]، وتبخيرها[٦]، وإسراجها[٧]،

= والمغني (٣/ ٤٣٥) قال ابن قدامة: «المشرف ما رُفع كثيراً بدليل قول القاسم في صفة قبر النبي ﷺ وصاحبيه لا مشرفة ولاطئة».

(١) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ **«نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها»**.
ولمزيد من الفائدة راجع: المقنع (١/ ٢٨٥) الكافي (١/ ٢٧٠) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المبدع (٢/ ٢٧٣) المعتمد (١/ ٢٤٩) والمغني (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٢) لقوله ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: **«ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»** أخرجه مسلم.
وانظر: الكافي (١/ ٢٦٧) كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١/ ٢٥٠) والمغني (٢/ ٤٧٥).

(٣) لما أخرجه أبو يعلى الموصلي عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وحدثه بقوله عليه الصلاة والسلام: **«لا تتخذوا قبري عيداً...»** وحسنه السخاوي في القول البديع ص (١٥٥) وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠، ١٥١).

(٤) للحديث الذي أخرجه مسلم وغيره عن النبي ﷺ: **«لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها»**. وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠، ١٥١) المبدع (٢/ ٢٧٤) والمغني (٣/ ٤٤١) قال ابن قدامة: «ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها.

(٥) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١/ ٢٤٩) المغني (٥/ ٤٦٨).

(٦) انظر: المعتمد (١/ ٢٤٩).

(٧) للحديث الوارد: «لعن رسول الله ﷺ، زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما قال ابن قدامة في المغني: «ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ من فعله، ولأن فيه تضييعاً للمال وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام».
ولمزيد من الاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤١) والمبدع (٢/ ٢٧٤) والمعتمد (١/ ٢٥٠) والمغني (٣/ ٤٤٠).

والجلوس عليها[١]، ووضع الفسطاط والخيمة عليها[٢]، وكسوة القبر[٣]، والطواف به[٤]، والاستشفاء بتربته من الأمراض[٥] والتمسح به[٦]، وشد الرحل إليه[٧].

---

(١) للحديث المتقدم في رقم (١) وانظر الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٤) كشاف القناع (٢/ ١٣٩، ١٤٠)، والمغني (٣/ ٤٤٠) وذكر لأحمد أن مالكاً يتأول حديث النبي ﷺ أنه نهى من يجلس على القبر أي للخلاء فقال: ليس هذا بشيء لم يعجبه رأي مالك.
والجلوس عليها ليس من أسباب الشرك بل النهي عن الجلوس عليها لأجل توهين المقبور فالأولى أن يقال: والجلوس عندها؛ وهو العكوف والمجاورة عند القبور.

(٢) انظر: المبدع (٢/ ٢٧٣) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المغني (٣/ ٥١٦) كره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاط وأوصى أبو هريرة حين حضره الموت أن لا تضربوا عليّ فسطاط.

(٣) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩).

(٤) إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)] فمن طاف بغير البيت الحرام فقد شبهه بالبيت الحرام وذلك تعظيم لما لم يأذن الله بتعظيمه، وتشريع في الدين بما لم يأذن به الله ومفضاة إلى الإشراك بالله تعالى وتبديل دينه.
ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٥) إن الشافي هو الله تعالى، وطالب الشفاء ينبغي له أن يطلبه من الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة لطلب الشفاء، والمستشفي بالتراب - تراب المقبور - مبتدع ما لم يأذن به الله، معتقد للشفاء والبركة بما لم يرد في شأنه دليل شرعي، ويخشى عليه من الإشراك بالله حيث إنه بذلك معتقد لإمكانية التأثير نفعاً وضرًّا في التراب ومن ثم في المقبور نفسه، وهذا شرك خطير، وللاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٦) لأن في ذلك تشبيهاً للقبر بالحجر الأسود الذي شرع الله تعالى مسحه، وهذا شرع في الدين بغير إذنه تعالى، ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٥٠) والمغني (٥/ ٤٦٧).

(٧) شد الرحال محرم لغير المساجد الثلاثة وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**». متفق عليه.
وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٢١١) كشاف القناع (٢/ ١٥٠). المغني (٣/ ١١٧).

المبحث الرابع
نماذج من الشرك التي ذكرها وحذر منها علماء الحنابلة

جاء عن الإمام أحمد وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر: كدعاء غير الله(١)، والاستغاثة بغير الله(٢)، والنذر لغير الله(٣)، والحلف بغير الله(٤)، والتوكل على غيره(٥)، والسجود

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [سورة يونس، الآية: (١٠٦)]. وانظر: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(٢) قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)]، ولمزيد من التعرف على أقوال الحنابلة راجع المصادر السابقة.

(٣) إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)]، والنذر عبادة، والعبادة لا تنبغي إلا لله، فالنذر لغير لله إشراك به سبحانه. وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥١) المعتمد (٢/ ٥٠٣، ٥٠٤).

(٤) لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» أخرجه أحمد (٢/ ٦٧، ١٢٥) وغيره وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٦٧ و ٦٤) المقنع (٤/ ٢٠١) الإفصاح (٢/ ٣٢٠، ٣٢٣) الكافي (٤/ ٣٧٦) الفروع (٦/ ٣٤٠) والمعتمد (٢/ ٤٨٣، ٤٨٤).

(٥) قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: (١١)]. وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: (٢٣)]. =

لغير الله[١]، والذبح لغير الله[٢]، واعتقاد أن أحداً غير الله يعرف الغيب[٣]، أو اعتقاد أن لأحد غير الله تصرفاً في الكون[٤]، أو اعتقاد أن الكوكب له تأثير والتقرب إلى الكواكب[٥].

قال في الإقناع وشرحه: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر إجماعاً لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام»[٦].

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي[٧]: «إن من يعظم

= فالتوكل على غير الله صرف للعبادة لغيره تعالى وهذا شرك به ـ عز وجل ـ، وللاستزادة ارجع إلى: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(١) قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: (٤٣)]، فالسجود لغير الله إشراك به سبحانه وصرف للعبادة لغيره ـ عز وجل ـ، وانظر: المبدع (٩/ ١٧٢) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) الفروع (٦/ ١٦٥) كشاف القناع (٦/ ١٦٩).

(٢) قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [سورة الكوثر، الآية: (٢)]، وانظر: الكافي (١/ ٤٧٩، ٤٨٢) المغني (٨/ ٥٦٨) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٠).

(٣) لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[سورة الجن، الآية: (٢٦)]. وللاستزادة من أقوال الحنابلة ارجع إلى: المقنع (٤/ ١٦٢) كشاف القناع (٦/ ٦٩) المعتمد (٢/ ٤٤٩) والمغني (١٢/ ٣٠٥).

(٤) قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، الآيتان: (٢٢، ٢٣)] وانظر: المقنع (٤/ ١٩٥) المغني (١٢/ ٣٠١).

(٥) لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**» أخرجه البخاري ومسلم.
والتقرب إلى الكواكب هو تقرب لغير الله تعالى باعتقاد أن له نفعاً وضرًا وتأثيراً وهذا من أكفر الكفر. وانظر: الإفصاح لابن هبيرة (٢/ ٢٢٦) والمغني (١٢/ ٣٠١).

(٦) (٦/ ١٦٨).

(٧) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي وكنيته أبو الوفاء، =

القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر افعل لي كذا فهو كافر بهذه الأوضاع ومن دعا ميتاً وطلب قضاء الحوائج فهو كافر»[(١)].

وقال أيضاً: «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى»[(٢)].

وقال أيضاً في كتاب الفنون: «لقد عظم الله الحيوان لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره وتوقر أوامره وعظم عرضك بإيجاب الحد بقذفك وعظم مالك بقطع يد مسلم في سرقته وأسقط شطر الصلاة في السفر لأجل مشقتك وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدًّا لرمقك وحفظاً لصحتك وزجرك عن مضارك بحد عاجل ووعيد آجل، وخرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن لك مع هذا الإكرام أن يراك على ما نهاك منهمكاً، ولما أمرك تاركاً وعلى ما زجرك مرتكباً وعن داعيه معرضاً، ولداعي عدوه فيك مطيعاً يعظمك وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت، وهو حط رتبة عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع عن سجدة يسجدها لأبيك، هل عاديت خادماً طالت خدمته لك لترك صلاة، هل

= قال عنه الذهبي (الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة) توفي سنة (٥١٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣ ـ ٤٥١).

(١) كتاب «حكم الله الواحد الصمد».

(٢) عقيدة الموحدين ص (٦٤).

نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي ما فإن لم تعترف اعتراف العبد للمولى، فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المساوي المكافي. ما أفحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان، بينا هو بحضرة الحق سبحانه وملائكة السماء سجود له، ترامى به الأحوال والجهات إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لشمس أو لقمر، أو لصورة ثور خار، أو لطاير صفر، ما أفحش زوال النعم وتغير الأحوال بعد الكور، لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن يرى إلا عابداً لله في دار التكليف أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها»[1].

قال ابن رجب[2]: «إن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإلٰه هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ـ عز وجل ـ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر[3] والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله

---

(١) كتاب الفنون كما في عقيدة الموحدين ص (٦٤، ٦٥).

(٢) هو زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد رجب عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب قال عنه ابن العماد: «الإمام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب» توفي سنة (٧٩٥هـ).
شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).
والدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

(٣) كما ورد في الحديث: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»** أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) وابن أبي شيبة في الإيمان (٤٦) والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وغيرهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً وصححه=

أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء[(١)]، وعلى الحلف بغير الله[(٢)]، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان[(٣)]، وكذلك قوله: ما لي إلا الله وأنت وكذلك ما يقدح في التوحيد، وتفرد الله بالنفع والضر، كالطيرة[(٤)]، والرقى المكروهة[(٥)]، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون[(٦)]، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام

= الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٦٠/ ٤١٤٣).
وكما ثبت: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» أخرجه البخاري (١/ ١٣٥) ح (٤٨) في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله من حديث أبي وائل عن ابن مسعود مرفوعاً، وأخرجه كذلك مسلم وغيره.
وورد أيضاً: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» أحمد (١/ ١٢٥) وأبو داود (٣/ ٥٧٠) والترمذي (٤/ ١١٠) والحاكم (١/ ٥٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٧/ ٦٢٠٤).

(١) كما ورد في الحديث: «**من صلى يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك**» أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) والطبراني في الكبير (٧/ ٣٣٧) والحاكم (٤/ ٣٢٩) وصححه كلهم من حديث شداد بن أوس.

(٢) راجع التخريج السابق تحت رقم (١).

(٣) كما قال النبي ﷺ، لمن قال له: «ما شاء الله وشئت. قال: **أجعلتني لله عدلاً، لا بل ما شاء الله وحده**» أحمد (٣/ ٢٥٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح وأخرجه ابن ماجه (١/ ٦٨٤). والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤).

(٤) كما في مثل قوله ﷺ: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**» أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠). والطبراني وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٥/ ٦٢٦٤) وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً.

(٥) كما في الحديث: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (٤/ ٢١٢) وابن ماجه (٢/ ١١٦٧) والحاكم (٤/ ٢١٧) وصححه من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٦) كما أتى في الحديث: «**من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» أحمد (٢/ ٤٢٩). والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣١/ ٥٩٣٩).

التوحيد وكماله[١].

إلى أن قال: فمن أحب شيئاً مما كرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه الله[٢]، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[٣]، قال الليث عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٤]، قال: «لا يحبون غيري».

وفي صحيح الحاكم[٥] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: **«الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»**[٦]، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٧]، وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله، وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاة

---

(١) قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية، الآية: (٢٣)].

(٢) وفي الحديث: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»** أبو داود (٥/ ٦٠) ح (٤٦٨١) في السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والضياء وغيرهما من حديث أبي أمامة مرفوعاً.
وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٤) (٥٩٦٥).

(٣) سورة محمد، الآية: (٢٨).

(٤) سورة النور، الآية: (٥٥).

(٥) في إطلاق ذلك اللفظ تجوز كبير فإن كتاب الحاكم فيه الصحيح وغير الصحيح.

(٦) الحاكم (٢/ ٢٩١) من حديث عروة عن عائشة وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي في تلخيصه: عبد الأعلى قال الدارقطني ليس بثقة. وصحح أوله الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣/ ٣٧٣٠).

(٧) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

على ذلك والمعاداة فيه من الشرك الخفي»[١] ا.هـ.

وقد ذكر العلامة (أبو بكر بن محمد خوقير)[٢] في كتابه (ما لا بد منه) نماذج من الشرك التي حذر منها النبي، ﷺ، لحماية جناب التوحيد وهي:

١ - الرقى والتمائم من غير القرآن[٣].

٢ - التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه[٤].

---

(١) كلمة الإخلاص. ضمن مجموعة الرسائل الكمالية (١٨/١٩/ ٢٢: ٢٣).

(٢) هو أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر بن محمد بن علي خوقير المكي الكتبي الفقيه الحنبلي ولد بمكة سنة (١٢٨٢هـ) وتوفي بها سنة ١٣٤٩هـ.
انظر: ترجمته في الأعلام (٢/ ٧٠) ومعجم المؤلفين (٣/ ٧٣).

(٣) وفي الحديث: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**» سبق تخريجه.
وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «التعليق كله يكره والرقى ما كان من القرآن فلا بأس به». وانظر مسائل الكوسج (٢/ ١٦٩).
وقال في علاج المجنون من الصرع بالرقى والعزائم: «ما أحب لأحد أن يفعله، وتركه أحب إلي» راجع الأحكام السلطانية ص (٣٠٨).

(٤) التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه من ذرائع الشرك وقد قال النبي ﷺ لما أراد الصحابة اتخاذ شجرة يعلقون فيها أسلحتهم مثل المشركين. فقال لهم: «**الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة..**» أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٥) ح (٢١٨٠) في الفتن باب ما جاء لتركبن سنن.. وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٤٨) ح (٦٦٦٧) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٥٩) والحميدي في مسنده (٢/ ٣٧٥) ح (٨٤٨) وابن جرير في التفسير (٩/ ٤٥) والطيالسي (١٣٤٦) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧) رقم (٧٦) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ١٢٤) رقم (٢٠٤، ٢٠٥) والطبراني في الكبير وغيرهم جميعهم من حديث أبي واقد الليثي مرفوعاً وهو حديث صحيح.
وقد أنكر الإمام أحمد على من مسح جسده بيده - أي جسد الإمام - ثم مسح جسده بها يتبرك بذلك، فغضب وقال: عمن أخذتم هذا، وأنكره إنكاراً شديداً.
وانظر طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٨) المنهج الأحمد (١/ ٤٢٨).

٣ ـ الذبح لغير الله[(١)].

٤ ـ النذر لغير الله تعالى[(٢)].

٥ ـ الاستعاذة بغير الله تعالى[(٣)].

٦ ـ الاستغاثة بغير الله تعالى ودعاء غيره[(٤)].

٧ ـ الاستشفاع بغيره (بمعنى طلب الشفاعة من الغير)[(٥)].

٨ ـ الغلو في الصالحين بالإطراء[(٦)].

---

(١) وقد قال النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله...**» أخرجه مسلم (٣/ ١٥٦٧) ح (١٩٧٨) في الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله من حديث أبي الطفيل عن علي وأخرجه غيره.
وقد منع الإمام أحمد أكل ما ذبح لغير الله وشدد في ذلك، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (١٢٩، ١٣١).

(٢) من المعلوم أن النذر عبادة، ولا ينبغي أن تصرف العبادة إلا لله تعالى وقد قال ـ عز وجل ـ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [سورة الإنسان، الآية: (٧)]، وقال: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [سورة الحج، الآية: (٢٩)].

(٣) الاستعاذة هي الالتجاء والتحصن، ولا تجوز إلا في حق الله عز وجل، وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ [سورة النحل، الآية: (٩٨)]، وقال أيضاً: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [سورة فصلت، الآية: (٣٦)]. وقالت مريم عليها السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [سورة مريم، الآية: (١٨)].

(٤) لا تجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [سورة الأنفال، الآية: (٩)]. وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: (١٧)]، وكذلك لا يدعى غير الله تعالى، فإن الدعاء هو العبادة كما ثبت، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [سورة غافر، الآية: (٦٠)].

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ، الآية: (٢٣)]، وقال أيضاً: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ [سورة الزمر، الآية: (٤٤)].

(٦) كما نهى النبي ﷺ عن إطرائه فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى**=

٩ ـ عبادة الله عند قبر رجل صالح(١).

١٠ ـ السحر والكهانة(٢).

١١ ـ النشرة والتطير(٣).

١٢ ـ الاستسقاء بالأنواء(٤).

١٣ ـ محبة غير الله كمحبته والخوف منه(٥).

= ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» أخرجه الخباري (٦/ ٥٥١) ح (٣٤٤٥) في أحاديث الأنبياء باب قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ من حديث ابن عباس عن عمر مرفوعاً، فلما حرم إطراء النبي ﷺ، حرم في حق غيره من باب أولى.

(١) ويرد في هذا الباب أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك واتخذ قبور الأنبياء مساجد وهي ثابتة في الصحيحين وغيرهما.

(٢) قال الله تعالى في السحر: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٠٢)]، والكاهن وهو الذي يدعي علم الغيب كافر لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [سورة النمل، الآية: (٦٥)].
وقد سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: الكاهن شر أو الساحر؟ قال: كلٌّ شرٌّ. أورده الخلال في أحكام أهل الملل ص (٢٠٨)، وسئل ـ رحمه الله ـ عن الساحر فقال: إذا عرف بذلك فأقر يقتل. وانظر مسائل عبد الله بن أحمد ص (٤٢٧) وأحكام أهل الملل ص (٢٠٧) وقال: الكاهن يدعي الغيب والساحر يعقد، راجع أحكام أهل الملل (٢٠٨).

(٣) وقد ورد في الحديث: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». سبق تخريجه، والتطير هو التشاؤم بشيء معين كيوم معين أو طير معين أو رقم معين أو غير ذلك.

(٤) وفي الحديث: «وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» أخرجه البخاري (٢/ ٣٨٨) ح (٨٤٦) في الأذان باب يستقبل الإمام الناس، مسلم (١/ ٨٣، ٨٤) ح (٧١) في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، كلاهما من حديث عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد الجهني مرفوعاً وهو حديث قدسي.

(٥) محبة غير الله كمحبته من الشرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [سورة البقرة، الآية: (١٦٥)]، =

١٤ ـ الرياء وإرادة الدنيا بالعمل[١].

١٥ ـ طاعة العلماء والأمراء في معصية الله أو تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم[٢].

١٦ ـ اتخاذ الأضداد[٣].

١٧ ـ الحلف بغير الله[٤].

١٨ ـ قرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق كنحو: ما شاء الله وشاء فلان[٥].

= وكذلك الخوف من غير الله تعالى كمخافة الله شرك كذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة، الآية: (٤٤)]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: (١٧٥)].

وأما الخوف الطبيعي مع اعتقاد أن النفع والضر بيد الله وحده فإنه ليس بشرك ولا شيء فيه. وقد قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [سورة القصص، الآية: (٢١)].

(١) وفي الحديث: «من صلى يرائي فقد أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك» سبق تخريجه، وقد قال تعالى في حق من أراد الدنيا بعمله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود، الآيتان: (١٥، ١٦)].

(٢) قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة التوبة، الآية: (٣١)]، وذلك لأنهم أحلوا لهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحل الله فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم إياهم من دون الله تعالى، وفي الحديث: «إنما الطاعة في المعروف» متفق عليه من حديث علي مرفوعاً.

(٣) وهم من يضادون الله تعالى في حكمه أو شرعه أو أمره أو غير ذلك فيسويهم بالله تعالى ويطيعهم.

(٤) وفي الحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» سبق تخريجه.

(٥) وقد قال النبي ﷺ لمن قال له ذلك: «أجعلتني لله عدلاً؟ قل ما شاء الله ثم شئت» سبق تخريجه كذلك.

١٩ ـ سب الدهر(١).

٢٠ ـ التسمي بقاضي القضاء(٢).

٢١ ـ الهزل بشيء فيه ذكر الله(٣).

٢٢ ـ الاستشفاع بالله على أحد من خلقه.. ا.هـ(٤).

(١) وقد ورد في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» متفق عليه من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) وذلك لأن قاضي القضاة هو الله تعالى، لا راد لقضائه، وقد جوّز بعض العلماء إطلاقها مقيدة كأن يقال: قاضي قضاة اليمن، أو نحو ذلك.

(٣) قال تعالى: ﴿قَوۡمٌ يَفۡرَقُونَ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: (٦٥، ٦٦)]. فالاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أمر خطير جدًا.

(٤) وفي الحديث: «.. إنه لا يستشفع بالله على أحد...» أخرجه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في قصة طويلة، لكنه حديث فيه ضعف.

راجع الكلام في كتاب (ما لا بد منه) ص (٢٧، ٢٩).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات إذ وفق للفراغ من وضع هذا الكتاب، وذلك في بيان الشرك ووسائله عند عدد من علماء الحنابلة، وذلك تمام لما سبق من الكتابة عن الموضوع نفسه عند علماء المذاهب الثلاثة الأخرى (الحنفية ـ المالكية ـ الشافعية).

ونظراً لما سبق ذكره في المقدمة من التزامنا بعدم النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ ابن عبد الوهاب وأئمة الدعوة، وذلك حتى لا يظن أحد أنهم وحدهم الذين تكلموا في هذه المسائل، ولو نقلنا عنهم فيما ذكر لطال الموضوع جدًّا وتشعب فإنهم قد أفردوه بالأجزاء والمصنفات الكبيرة، ثم إن فشو البدع في التعليم والتصنيف حتى صار لفظ: «أهل السنة والجماعة» لقباً ينتحله أهل البدع والمذاهب المنحرفة في مسائل الاعتقاد وغيره، بل تراهم يحتكرونه لأنفسهم، أما الحنابلة وأهل الحديث فهم تيميون[1] ووهابيون[2] ـ بزعمهم ـ ورموهم بالخروج والمروق والتجسيم والحشوية حتى أصبح كثير من العوام يشاركون في إطلاق هذه الألفاظ على أهل السنة بسبب ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة، ومناصرة

(١) نبذهم بالتيميين. انظر براءة الأشعريين لابن مرزوق (١٦٩، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩) والتوسل بالنبي له (١٠٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦).

(٢) انظر المعيار المعرب (١١/١٦٨).

الملوك والحكام لأهل البدعة، وابتدع أهل البدع قاعدة لإقرار ما هم عليه بتقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، واختراع محاسن لها ـ أي لتلك البدع ـ ككونها علامة على حب الأنبياء والصالحين وتعظيمهم والتبرك بهم، وهذا عين الغلو الذي فعله أهل الكتاب، فقال تعالى لهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾(١)، وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾(٢)، فليس في الدين بدعة حسنة وسيئة، بل إن كل بدعة ضلالة كما ثبت عن النبي، ﷺ، ففشت البدع وكثرت لما ذكر من الأسباب، وذلك لأن بعض الحكام ناصروا البدع إرضاء للعوام الجاهلين ثم أيدها بعض المعممين المقلدين إرضاءً للحكام وللعامة، فخفي وجه الحق حتى كاد يندرس، وعمت البدعة حتى أصبحت هي السنة، وأصبح أهل السنة غرباء بين الناس وأصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً وأصبح أهل البدع يحتجون على دعاة السنة بمخالفة السواد الأعظم والخروج عليه بدعوى أن الأكثرية على هذه البدع، ونسوا أن الجماعة ما كان على الحق ولو واحداً فقط كما قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

والحمد لله الذي هيأ لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، ويظهر معالم الحق المندرسة ويقمع البدع وأهلها، أهل الزيغ والضلال، ويرد على تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، هذا ومن المعلوم أن أصحاب السهم الأكبر في هذا المضمار هم علماء الحنابلة، لذلك سماهم بعض الجهال متشددين بينما هم داعون إلى السنة متبعون لها محاربون للبدع والخرافات والشرك، سواءً في مسائل الأضرحة والقبور، أو النذر والاستغاثة والطواف بها والتبرك بترابها وطلب الشفاء من أصحابها وغير ذلك مما يشبهه واتباعاً لهدى النبي، ﷺ، حيث سد منافذ الشرك كلها، وحذر منها ومما يوقع فيها ويجر إليها من الأقوال والأفعال.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٧).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٧١).

فلكل ذلك أوليت اهتماماً لإخراج هذه السلسلة التي ختمت بهذا الكتاب، والله أسأل القبول والحسن في القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. أبو عبد الرحمن

محمد بن عبد الرحمن الخميّس

القســم الرابــع

شرح ثلاث رسائل للإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب التميمي في التحذير من الشرك وبيان التوحيد وهي:

١ ـ رسالة الطاغوت

٢ ـ رسالة التوحيد

٣ ـ رسالة القواعد الأربع.

الشرح الميسر لثلاث رسائل

من رسائل الشيخ
محمد بن عبد الوهاب التميمي

الرسالة الأولى:

معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

الرسالة الثانية:

تفسير كلمة التوحيد

الرسالة الثالثة:

القواعد الأربع

الرسالـــة الأولى

معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

الفصـــل الأول
أول واجب على الإنسان

اعلم - رحمك الله تعالى - أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

[illegible]

(فَرَضَ) أوجب ﴿الطَّاغُوتَ﴾ فاعول من طغى، وهو كل من تجاوز حَدَّه وطغى.

الشرح:

بدأ الشيخ - رحمه الله - رسالته ببيان أول شيء افترضه الله - تعالى - على الإنسان، وذلك أخذاً من كتاب الله - تعالى -.

وذلك الفرض هو: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله - تعالى -، كما قال - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

فأول شيء: الكفرُ بالطاغوت، وهو: (كل ما عُبِد من دون الله

---

(١) سورة النحل، الآية: (٣٦).

راضياً بالعبادة)، وخلعُ كل الآلهة التي تُعبَد من دون الله ـ تعالى ـ، من شجر وحجر، وشمس وقمر، ومَلَك وبشر، وغير ذلك، فهي لا تستحق العبادة من دون الله ـ تعالى ـ، لأنها لا تملك شيئاً من الأمر.

ثم بعد ذلك: إخلاص الدين كله لله ـ تعالى ـ، وعبادته وحده، وإثبات استحقاقه لها دون غيره.

وهذا الواجب ـ الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ـ هو حقيقة معنى (لا إله إلا الله)، فإنها نفي وإثبات، (لا إله) تنفي استحقاق العبودية عن غير الله ـ تعالى ـ، وهذا هو الكفر بالطاغوت، و (إلا الله) تثبت العبودية لله ـ تعالى ـ وحده دون غيره.

وبهذا يتبين أول واجب على العبد، فإنه ليس «النظر العقلي» ولا غيره ـ كما زعم طوائف من المتكلمة وغيرهم ـ، وإنما هو ما ذُكِرَ من الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله ـ تعالى ـ.

الخلاصة

١ ـ أول واجب على العبد: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله ـ تعالى ـ.

٢ ـ الطاغوت: كل ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

٣ ـ زعم طوائف من المتكلّمة أن النظر العقلي هو أول واجب على المكلَّف وقولهم هذا باطل.

المناقشة

س ١ : ما أول واجب على الإنسان؟ اذكر الدليل.

س ٢ : ما معنى كلمة (الطاغوت)؟

....

س ٣: بَين حقيقة معنى (لا إله إلا الله)، وما المقصود بأنها نفي وإثبات؟

س ٤: من الذي خالف في أول واجب على المكلَّف؟ وما مذهبهم؟

الفصل الثاني

معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله

فأما صِفَة (الكفر بالطاغوت) فهو: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتُكَفِّر أهلها وتعاديهم.

الشرح

أما صِفَة (الكفر بالطاغوت) فهي: أن يعتقد الإنسان بطلان عبادة غير الله - تعالى -، كما قال - عز وجل -: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾(١).

وأن يترك الإنسان هذه العبادة فلا يقرَبها، ولا يشرك فيها مع الله أحداً، وأن يبغض الكفر وعبادة الطاغوت ويكرهها، كما قال - تعالى -: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾(٢).

وأن يحكم على أهلها بالكفر، ويعاديهم فلا يواليهم ولا يحبهم، ولا يناصرهم.

---

(١) سورة الحج، الآية: (٦٢).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٧).

وأما معنى (الإيمان بالله) فهو: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتُخلِصَ جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه.

وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سَفِه نفسَه من رغِبَ عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

ومعنى (الإيمان بالله ـ تعالى ـ): أن يعتقد المرء أن الله ـ تعالى ـ هو الإله المعبود المستحق للعبادة دون سواه، فلا مستحق للعبادة غيره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾(١).

وكذلك يخلص جميع أنواع العبادة لله ـ تعالى ـ، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ودعاء، ونذر، وتوكل، ورغبة، ورهبة، وغيرها، فينفيها عن كل معبود غيره، ويخلصها لله وحده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾(٢).

فلا يجوز صرف نوع منها أو شيء منها لغير الله، وإلا فهو مشرك.

اللغة

(سَفِهَ) استغفل وأساء إلى نفسه وظلمها (الأسوة) القدوة ﴿بَدَا﴾ ظهر.

---

(١) سورة الحج، الآية: (٦٢).

(٢) سورة الزمر، الآية: (١٤).

....

الشرح

ويدخل في الإيمان بالله: محبة أهل الإخلاص لله ـ تعالى ـ وأهل التوحيد، وموالاتهم بمحبتهم ونصرتهم ومودتهم، وكذلك بغض أضدادهم من أهل الشرك ومعاداتهم، وترك موالاتهم، وقد قال ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله»**(١).

وهذا الذي سبق بيانه هو ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، التي قال الله ـ تعالى ـ عنها: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾(٢).

وقد بيّن الله ـ تعالى ـ موقف إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن تبعه من المؤمنين من أقوامهم وأهلهم الكفار، فقال مؤكداً أن هذه هي الأسوة التي يجب علينا التأسي بها، والاقتداء بها: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ . . .﴾(٣).

فتبرَّأُوا منهم، وكفَرُوا بهم وبما يعبدون من دون الله، وصرَّحوا لهم بالعداوة والبغضاء وقطع المودة، حتى يخلصوا الإيمان لله ـ تعالى ـ، ويفردوه بها دون غيره، ويخلعوا هذه الآلهة الباطلة.

الخلاصة

١ ـ صِفَة (الكفر بالطاغوت) هي: اعتقاد بطلان عبادته، وتكفير أهلها ومعاداتهم.

---

(١) أخرجه
(٢) سورة البقرة، الآية: (١٣٠).
(٣) سورة الممتحنة، الآية: (٤).

٢ ـ من (الإيمان بالله): إخلاص العبادة له، ومحبة أهل الإيمان وموالاتهم.

٣ ـ هذان الأصلان هما أصل ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

المناقشة

س ١: ما أصل ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ؟

س ٢: تكلَّم بإيجاز عن صِفَة (الكفر بالطاغوت).

س ٣: هل هناك علاقة بين الإيمان بالله وبين محبة أهل الإيمان وموالاتهم؟

الفصـــل الثالـــث
معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

(الطاغوت) عام، فكل ما عُبِدَ من دون الله ورضِيَ بالعبادة من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله؛ فهو طاغوت.

و (الطواغيت) كثيرة، ورؤوسهم خمسة.

الأول: (الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله).

الشرح:

يشير ـ رحمه الله ـ إلى أن كلمة (الطاغوت) عبارة عن أنواع معينة، فهي عامة، وليست خاصة بشخص معين أو ذات معينة، بل كل ما عُبِدَ من دون الله، أو اتُّبِعَ من دون الله، أو أُطِيعَ في معصية الله ورسوله، ورضِيَ بتلك العبادة، وبهذه الطاعة والاتباع؛ فهو طاغوت.

وهؤلاء (الطواغيت) المتَّصفون بهذا الوصف كثيرون، لأن هذا الوصف ـ كما قلنا ـ عام، لا ينحصر في ذات معينة، ولكن أعظم هذه الأنواع خمسة: هي رؤوس الطواغيت:

الأول: (الشيطان).

والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾.

الثاني: (الحاكم الجائر، المغير لأحكام الله ـ تعالى ـ).

والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾.

فإنه أعظم من دعا إلى عبادة غير الله، وهو راضٍ بأن يُعبَدَ من دون الله ـ تعالى ـ، بل إنه يدعو إلى ذلك، والدليل على أنه قد عُبِدَ من دون الله قول الله ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾[1].

فصرَّح القرآن بأنهم عبدوا الشيطان، وذلك بطاعتهم له من دون الله ـ تعالى ـ، واتباعهم له.

الألفاظ

أعهد: أوصي.

(الجائر) الظالم.

الشرح

والرأس الثاني من رؤوس (الطاغوت) الخمسة، هو:

---

(١) سورة يس، الآية: (٦٠).

الثالث: (الذي يحكم بغير ما أنزل الله).

والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

(الحاكم الظالم، الذي يغيِّر ويبدل في حكم الله ـ تعالى ـ).

كما فعلت اليهود، وذلك إما انتقاصاً من حكم الله ـ تعالى ـ، أو تفضيلاً لغيره عليه، استحواذاً من الشيطان على ذلك الحاكم المبدل المغير.

ومما يدل على هذا النوع الآية الكريمة المذكورة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾[1] فوصف دعواهم الإيمان بأنها زعم، تكذيباً من الله تعالى لهم في ذلك لأنهم أرادوا التحاكم إلى غير الله، إعراضاً منهم عن حكم الله ـ تعالى ـ، وذلك بعد أن أُمِروا بالكفر بالطاغوت وعدم التحاكم إليه، ولكن الشيطان استحوذ عليهم فأضلّهم عن صراط الله.

فهذا النوع الثاني من رؤوس الطاغوت: (كل حاكمٍ، ظالمٍ، مبدل لحكم الله ـ تعالى ـ، مستبدل به غيره).

الثالث: والنوع الثالث من رؤوس الطاغوت، هو:

(الذي يحكم بغير ما أنزل الله ـ تعالى ـ).

كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: (٦٠).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٤).

الرابع: (الذي يدّعي علم الغيب من دون الله).

الدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

وسواء كان قاضياً، أو ملِكاً، أو رئيساً، أو غيره.

فكل من حكم بغير ما أنزل الله ـ تعالى ـ عامداً عالماً، معتقداً جوازه، أو أفضليته أو مماثلته لحكم الله؛ فهو طاغوت، وإن زعم ما زعم، فإن الله ـ تعالى ـ قد كفَّره.

غير أن بعض السلف لم يكفِّر من حكم بغير ما أنزل الله في قضية مثلاً: لقرابة أو رشوة ونحوها، مع أنه يحكم أصلاً بما أنزل الله ويقضي به بين الناس، فهو لم يحكم بغيره مطلقاً.

الكلمات

﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ لا يَطَّلع ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّن واضح.

الشرح

الرابع: أي: النوع الرابع من رؤوس الطاغوت الخمسة:

(من ادّعى علم الغيب من دون الله تعالى).

فإن الله ـ تعالى ـ قد انفرد بعلم الغيب عن خلقه، فقال ـ عز وجل ـ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[1].

---

(١) سورة الجن، الآيتان: (٢٦ ـ ٢٧).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

الخامس: (الذي يُعبَد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة).

والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[١].

فالله ـ تعالى ـ منفرد بعلم الغيب، لا يطّلع عليه أحد بغير إذنه ـ تعالى ـ، ولا يعلم الخلق شيئاً من علم الغيب، ولا ما يكون في غدٍ.

فمن ادّعى علم الغيب لنفسه أو لغيره كَفَرَ بالله ـ تعالى ـ وأشرك به فيما لا ينبغي إلا له ـ تعالى ـ وحده.

الشرح:

الخامس: أي: الرأس الخامس والأخير من رؤوس الطاغوت:

(من عُبِدَ من دون الله ـ تعالى ـ وهو راضٍ بذلك).

وهذا يجمع تحته أنواعاً كثيرة، والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٥٩).

....

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾[1].

فهذا حكم من الله ـ تعالى ـ على ذلك الطاغوت الذي دعا لعبادة نفسه، ونَصَّب نفسَه إلهاً من دون الله ـ تعالى ـ، كما فعل فرعون ـ عليه لعنة الله ـ، وكما فعل غيره.

فهذه الرؤوس الخمسة التي ذُكِرَت هي أهم رؤوس أنواع الطاغوت، وله أنواع أخرى كثيرة.

الخلاصة

١ ـ (الطاغوت) هو: كل ما عُبِدَ وأُطِيعَ من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

٢ ـ أنواع (الطاغوت) كثيرة، وأهمها الأنواع الخمسة المذكورة.

المناقشة

س ١: هل كلمة (الطاغوت) معناها عام أم خاص؟

س ٢: ما هي أهم رؤوس الطاغوت؟

س ٣: ما هو الدليل على أن الشيطان طاغوت؟

س ٤: ما حكم من يَدَّعي علم (الغيب)؟ اذكر الدليل.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٩).

الفصـــل الرابــع
الكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

اللغــة:

﴿اسْتَمْسَكَ﴾ بالغ في التمسك ﴿انفِصَامَ﴾ انفصال (الغي) الزيغ والضلال.

الشــرح:

والإيمان بالله ـ تعالى ـ لا يكون إلا بعد الكفر بالطاغوت أولاً، إذ لا يجتمع الإيمان والشرك بالله في قلب واحد، فإنهما نقيضان، فيخلع عبادة غير الله أولاً، ثم يثبت العبادة لله وحده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٦).

الرشد: دين محمد ﷺ.

والغي: دين أبي جهل.

والعروة الوثقى: شهادة ألا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله ـ تعالى ـ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.

فبدأ بالكفر بالطاغوت أولاً، ثم الإيمان بالله؛ بياناً وتأكيداً لما ذكر.

والرشد: هو دين محمد ﷺ؛ دين التوحيد، وإفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة، وإخلاص الدين له.

والغي: هو دين أبي جهل؛ الإشراك بالله ـ تعالى ـ، وصرف العبادة إلى غيره، واتخاذ الأنداد من دونه.

والعروة الوثقى: هي شهادة (ألا إله إلا الله)، فهي نفيٌ وإثبات، (لا إله) تنفي استحقاق أي نوع من أنواع العبودية عن غير الله ـ تعالى ـ، فإنهم لا يستحقونها، إذ ليس لهم من المُلك شيء، (إلا الله) إثبات لأن الله ـ تعالى ـ مستحق لجميع أنواع العبادة على اختلافها، لأنه المتفرد بالخلق والملك والتصرف، فكان مستحقاً لكل أنواع العبادة دون غيره.

الخلاصة

١ ـ الكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان.

٢ ـ الرشد: هو التوحيد. والغي: هو الشرك.

٣ ـ (لا إله إلا الله) متضمنة للنفي والإثبات.

....

المناقشة

س ١ : أيها يسبق أولاً: الكفر بالطاغوت أم الإيمان بالله؟

س ٢ : اذكر معنى ما يأتي: (الرشد ـ الغي ـ العروة الوثقى)؟

س ٣: ما معنى القول بأن (لا إله إلا الله) نفيٌ وإثبات؟

الرسـالة الثانيـة
تفسير كلمة التوحيد

مقدمـــة المؤلـــف

سبب تأليف الكتاب

بسـم الله الرحمـن الرحيـم

الحمد لوليه، والصلاة والسلام على نبيه.

سئل الشيخ محمد - رحمه الله تعالى - عن معنى (لا إله

(الحمد) الثناء على الجميل الاختياري (الصلاة) لغةً: الدعاء.

بدأ الشيخ - رحمه الله - بالبسملة تبركاً باسم الله - تعالى -، وجرياً على عادة أهل العلم في البدء باسم الله - تعالى - في كل عمل.

ثم ثَنَّى بالحمد لله - تعالى - فقال:

(الحمد لوليه) أي: الحمد لصاحب النعمة ووليها، والمنعم بها المستحق لأن يُحمَد عليها، كما قال - تعالى -: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: (٢).

إلا الله)، فأجاب بقوله:

فهو المستحق للحمد ظاهراً وباطناً، لنِعَمِه على خلقه، ولصفاته البالغة غاية الجمال والكمال، وأفعاله الدالة على كمال الحكمة والعلم.

ثم أتبع الحمد بذكر الصلاة والسلام على نبي الله ﷺ، فقال:

(والصلاة والسلام على نبيه) أي: محمد، ﷺ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1].

ثم عطف على ذلك: ذِكر السبب الباعث على وضع هذه الرسالة..

فقد سئل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من قِبَل بعض أهل زمانه عن معنى كلمة التوحيد، كلمة (لا إله إلا الله).

فأجاب ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ على هذا السؤال بقوله:

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٦).

الفصـــل الأول
معنى كلمة التوحيد ومنزلتها

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم ـ عليه السلام ـ كلمة باقية في عَقِبِه لعلهم يرجعون.

(الفارقة) الفاصلة (الوُثقى) الوثيقة (عَقِبِه) ذريته.

بدأ الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بذكر منزلة هذه الكلمة، فذكر أنها الفارقة بين الكفر والإسلام، وذلك أنا أُمِرنَا بالكَفّ عن المشرك إذا قالها حتى يتبين لنا حقيقة أمره، وقد قاتل النبي ﷺ الناس لأجل هذه الكلمة، وظَلَّ طيلة دعوته يدعو الناس إليها.

وهي كلمة التقوى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[1].

قالوا: «هي كلمة (لا إله إلا الله)».

---

(١) سورة الفتح، الآية: (٢٦).

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين

وهي العروة الوثقى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[1].

وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[2].

وهي التي جعلها إبراهيم ـ عليه السلام ـ كلمةً باقيةً في عَقِبه لعلهم يرجعون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[3].

اللغة

(الدرك) الدرجة (بُغض) كراهية (مخلصاً) صادقاً.

الشرح

ثم بَيَّن ـ رحمه الله ـ أنه ليس المراد تكليف العباد بها: النطق بها فقط مع الجهل بمعناها، أو ترك العمل بمقتضاها.

وبيَّن أن المنافقين يقولونها ـ (لا إله إلا الله) ـ، وعلى الرغم من ذلك فإنهم تحت الكفار في النار، في أسفل دركاتها وأخسّ طبقاتها، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٦).
(٢) سورة لقمان، الآية: (٢٢).
(٣) سورة الزخرف، الآية: (٢٨).

يقولونها وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد: قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً».

وفي رواية: «خالصاً من قلبه»، وفي رواية: «صادقاً من قلبه»، وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعبَد من دون الله».

ٱلنَّارِ﴾[1].

فهم في أَحَطِّ درجاتها وأسفلها، وذلك على الرغم من أنهم يصلون مع النبي، ﷺ، ويتصدَّقون ويجاهدون ويصومون.

وهكذا هم في كل زمان ومكان، يظهرون الإسلام، ويتظاهرون بأفعال المسلمين، وهم في حقيقة أمرهم كفار مشركون.

والمطلوب: أن يقولها المرء بلسانه، مع معرفة معناها بقلبه، واعتقاد ما دَلَّت عليه من إفراد الله بالوحدانية والعبودية، ومحبة هذه الكلمة، ومحبة أهلها، لأنهم أهل التوحيد والإيمان، وبُغض من خالفها من أهل الشرك والفسوق والعصيان ومعاداتهم، كلٌّ بحسب مخالفته، يبغَض ويعَادى بقدر ما خالفها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2].

وقد بَيَّن النبي ﷺ أنه ليس المقصود مجرد قولها فقط، كما قال: «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً».

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٤٥).

(٢) سورة المجادلة، الآية: (٢٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفيٌ وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله

فلم يقتصر على مُجرّد القول، بل اشترط الإخلاص في قول هذه الكلمة.

❀ ❀ ❀

المعنى

(الإلهية) كونه معبوداً أو مستحقاً للعبودية.

الشرح

وفي رواية أنه قال: «خالصاً من قلبه».

فاشترط الإخلاص من القلب، وهذا يتضمن: تمام العلم بمعناها.

وكذلك قوله: «صادقاً من قلبه».

وفي قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعبَد من دون الله».

فلم يقِف عند حَدِّ القول فقط، إنما اشترط الكفر بما يُعبَد من دون الله، وخلع الأنداد والنظراء، والتبرؤ منهم، فكل هذا من تمام الصدق في هذه الكلمة.

وكثير من هذه الأحاديث تدل على جهل الناس بحقيقة معناها، حيث ظنوا أن المطلوب: قولها فقط، والحق أنها نفيٌ وإثبات: فهي

ـ سبحانه وتعالى ـ من المرسلين حتى محمد، ﷺ، ومن الملائكة حتى جبريل، فضلاً عن غيرهما من الأنبياء والصالحين، وإثباتها لله ـ عز وجل ـ.

نفيٌ لاستحقاق العبودية عما سوى الله ـ تعالى ـ، من المرسلين، ولا حتى إمامهم وخيرهم محمد، ﷺ، ومن الملائكة، ولا حتى كبيرهم جبريل ـ عليه السلام ـ، وهذا نفي الألوهية عنهم، ومن باب أولى عن غيرهم ـ أيضاً ـ من الملائكة والأنبياء والصالحين، وإثبات استحقاق هذه العبودية لله ـ تعالى ـ دون خلقه، لأنه ـ تعالى ـ هو الخالق الرازق المدبر المتصرف، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[1].

الخلاصة

١ ـ كلمة (لا إله إلا الله) هي الفارقة بين الإسلام والكفر، وهي العروة الوثقى.

٢ ـ لا يكفي التلفظ بها دون فهم معناها، ودون العمل بمقتضاها.

٣ ـ كلمة (لا إله إلا الله) نفيٌ للعبودية عما سوى الله ـ تعالى ـ وإثباتها لله وحده.

المناقشة

س ١: ما هي العروة الوثقى؟ وما هي كلمة التقوى؟

---

(١) سورة الحج، الآية: (٦٢).

....

س ٢: لماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار؟

س ٣: ما معنى القول: بأن (لا إله إلا الله) نفيٌ وإثبات؟

الفصـــل الثانـــي
معنى الألوهية الثابتة للَّه وحده

إذا فهمتَ ذلك؛ فتأمّل الألوهية، التي أثبتها الله ـ تعالى ـ لنفسه، ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما، أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل..

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا: (السّر) و (الولاية)، و (الإله) معناه: الولي الذي فيه السّر، وهو الذي يسمونه (الفقير والشيخ). وتسمية العامة: (السيد)، وأشباه هذا.

وذلك أنهم يظنون أن الله ـ عز وجل ـ جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجيء الإنسان إليهم، ويرجوهم، ويستغيث

اللغة

(منزلة) مكانة (يلتجيء) يحتمي ويعوذ (يرجو) يؤمل (يزعم) يَدّعي.

الشرح

هنا بَيَّن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ معنى الألوهية التي أثبتها الله ـ تعالى ـ لنفسه، ونفاها عن جميع خلقه، حتى عن رسوله المصطفى

بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله.

فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم، الذي يسميهم الأوّلون: (الآلهة)، والواسطة: هو الإله.

فقول الرجل: (لا إله إلا الله) إبطالٌ للوسائط.

وإذا أردتَ أن تعرف هذا معرفة تامة، فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله، ﷺ، وقتلهم، وأباح أموالهم، واستحل نساءهم؛ كانوا مُقرِّين لله ـ سبحانه ـ

محمد، ﷺ، وعن جبريل المختار من الملائكة الأصفياء، فهم لا يملكون مثقال حبة من خردل، إذ ليس لهم من الأمر شيء، ولا مثقال حبة من خردل.

فهؤلاء الذين يسميهم هؤلاء المبتدعة المشركون في زمان الشيخ ـ وبعده ـ، يسمونهم: الوسائط، هم أنفسهم الذين كان المشركون الأولون يعبدونهم ويسمونهم آلهة.

فأما شهادة (لا إله إلا الله) فهي إبطالٌ لهذه الوسائط، لأن فيها إفراداً لله ـ تعالى ـ بكل أنواع العبودية، وصرف هذه العبادات له وحده دون من سواه.

اللغة

(مُقِرِّين) معترفين (جليلة) عظيمة (شاهدون) مقرُّون ومعترفون.

الشرح

والذي يوضِّح هذا بجلاء أمران:

بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولايحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾.

وهذه المسألة عظيمة جليلة مهمة، وهي: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شاهدون بهذا كله، ومقرُّون به، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم.

وكانوا ـ أيضاً ـ يتصدقون، ويحجون، ويعتمرون، ويتعبَّدون، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله ـ عز وجل ـ.

ولكن الأمر الثاني هو الذي كَفَّرَهم، وأحَلَّ دماءهم وأموالهم،

الأول: أن يعرفَ المرءُ أن هؤلاء الكفار الذين قاتلهم رسول الله، ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وسبى نساءهم، لم يكونوا مشركين في أمر الربوبية، بل كانوا موحِّدين في ذلك، مقِرِّين بأن الله ـ عز وجل ـ هو المتفرِّد وحده بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والتدبير، والتصريف، وغير ذلك، فليس لأحد غيره شيء من الملك أو الأمر، ومما يدل على أنهم كانوا مقرِّين بذلك قول الله ـ تعالى ـ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾(١).

فهم مقرُّون بأن كل هذا ليس إلا من عند الله فقط، وهو القادر على ذلك كله، الفاعل له دون غيره.

وهذا أمر في غاية الأهمية، وهو: أن هؤلاء الكفار قد أقرُّوا

---

(١) سورة يونس، الآية: (٣١).

وهو: أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية هو: أن لا يُدعى ولا يُرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل.

فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك.

وتمام هذا: أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين ـ مثل: الملائكة، وعيسى وأمه، وعزير، وغيرهم من الأولياء ـ.

فكفروا بهذا، مع إقرارهم بأن الله ـ سبحانه ـ هو الخالق، الرازق، المدبِّر.

إذا عرفتَ هذا عرفتَ معنى (لا إله إلا الله).

بكل أفعال الربوبية وخصائصها إقراراً حقيقياً، ورغم ذلك لم يصيروا مسلمين بهذا الإقرار، ولا حرمت دماؤهم ولا أموالهم به، بل قاتلهم، ﷺ، واستباح ذلك منهم، كما هو متواتر عنه ﷺ.

وكانوا ـ كذلك ـ يتصدَّقون، ويحجُّون البيت، ويعتمرون ويتعبَّدون الله، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله ـ تعالى ـ، لعلمهم أنه حرَّمها، ولأنهم كانوا يعرفون أن الله ـ تعالى ـ شديد العقاب، ويخافونه، ويحذرون معاجلته لهم بالعقوبة، ولكن رغم ذلك لم يعصم ذلك دماءهم وأموالهم.

وعرفتَ أن من دعا نبياً أو ملكاً، أو نَدَبه، أو استغاث به؛ فقد خرج من الإسلام.

وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

معاني الكلمات

(نَدَبَه) استصرخه.

الشرح

بل الأمر الثاني هو الذي كَفَّرهم، وأَحَلَّ دماءهم وأموالهم ونساءهم.

وهذا الأمر الثاني هو: أن هؤلاء الكفار لم يشهدوا ولم يقرُّوا لله ـ تعالى ـ بتوحيد الألوهية، وهو: استحقاق العبادة له دون غيره.

ومن هذا التوحيد:

أن لا يُدعى غير الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨﴾[1].

ولا يُرجى غير الله ـ تعالى ـ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[2].

ولا يُستغاث بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾[3].

---

(١) سورة مريم، الآية: (٤٨).
(٢) سورة الإسراء، الآية: (٥٧).
(٣) سورة الأنفال، الآية: (٩).

....

وكذلك لا يُذبح لغيره، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾[١].

ولا يُنذر لغيره، فإن النذر عبادة لا تنبغي إلا لله ـ تعالى ـ.

فلا يُصرف شيء من هذه العبادات لغيره ـ عز وجل ـ، لا ملك مقرَّب، ولا نبي مُرسَل.

وكل من صرف شيئاً ولو يسيراً من هذه العبادات، فدعا غير الله، أو استغاث به، أو نذر له، أو ذبح له، أو رجاه؛ فقد كفر وأشرك بالله ـ تعالى ـ.

ومما يوضِّح ذلك ـ أيضاً ـ: أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ، كانوا يدعون الصالحين من دون الله، كالملائكة، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا ...﴾[٢].

ومنهم من عَبَدَ المسيح وأمّه، أو العزير، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾[٣].

فهؤلاء المشركون كفروا بذلك ـ أي: بدعائهم غير الله ـ تعالى ـ مع إقرارهم بأن الله ـ سبحانه ـ هو الخالق الرازق المدبِّر، وذلك لما سبق بيانه.

فحينئذٍ يتبيَّن معنى (لا إله إلا الله)، ويتَّضح أن من دعا غير الله

---

(١) سورة الكوثر، الآية: (٢).
(٢) سورة سبأ، الآيتان: (٤٠، ٤١).
(٣) سورة التوبة، الآية: (٣٠).

....

ـ تعالى ـ، ورجاه، واستغاث به، واستصرخه فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد كَفَرَ، وخرج من الإسلام.

وهذا هو بعينه نوع الكفر الذي لأجله قاتلهم النبي ﷺ.

الخلاصة

١ ـ أهل الشرك في هذا الزمان يتخذون وسائط، يسبغون عليها صفات الألوهية، ويصرفون لها العبادة من دون الله.

٢ ـ الكفار الأوّلون أقرُّوا لله ـ تعالى ـ بتوحيد الربوبية.

٣ ـ إقرارهم بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام، بسبب شركهم في الألوهية.

٤ ـ قاتلهم النبي ﷺ، واستباحهم لأجل إشراكهم في مسألة الألوهية.

المناقشة

س ١ : ماذا يقصد العامة في زمن الشيخ بكلمة: (السيد، الشيخ، الفقير)؟

س ٢ : هل أَقَرَّ الأوّلون بتوحيد الربوبية؟ ولماذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام؟

س ٣ : لماذا قاتلهم النبي ﷺ واستباحهم؟

الفصل الثالث
شبهة للمشركين وردّها

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبِّر، لكن هؤلاء الصالحين مقرَّبون، ونحن ندعوهم، وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوَجَاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبِّر.

فقُل: كلامك هذا مذهبُ أبي جهل وأمثاله، فإنهم يدعون

اللغة

(الوَجَاهة) الجاه، والمنزلة، والمكانة.

الشرح

يورد المشركون شبهة، مفادها: أنهم مقرُّون بأمر الربوبية تماماً، غير أنهم لعلمهم بقرب هؤلاء الصالحين من الله ـ تعالى ـ، فقد دعوهم، ونذروا لهم، واستغاثوا بهم؛ ليقربوهم إلى الله ـ تعالى ـ، ويشفعوا لهم عنده، وهم مقرُّون مع ذلك بالربوبية.

ويُجَاب عليهم: بأن هذا هو بعينه كلام أبي جهل وأمثاله، فقد أقرُّوا لله ـ تعالى ـ بأمر الربوبية تماماً، لكنهم اتخذوا وسائط من

عيسى، وعزيراً، والملائكة، والأولياء، يريدون ذلك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾.

فإذا تأمَّلتَ هذا تأمُّلاً جيداً، وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية ـ هو: تفرّده بالخلق والرزق والتدبير ـ، وهم ينخون عيسى، والملائكة، والأولياء، يقصدون أنهم يقرّبونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده.

دون الله، بدعوى أنها تقربهم إليه، وتشفع لهم عنده، كما قال ـ تعالى ـ حاكياً ذلك عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[(١)].

وقال ـ أيضاً ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[(٢)].

فهذا كان حقيقة شركهم بالله ـ تعالى ـ.

فإذا تبيّن أن هؤلاء المشركين كانوا مقرّين بأمر الربوبية، لكنهم دعوا ورجوا غير الله ـ تعالى ـ، مثل: عيسى وغيره من الملائكة، والأنبياء، والأولياء، بزعم أنهم يشفعون لهم عند الله ـ تعالى ـ، ويقرّبونهم إليه زلفى.

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٢) سورة يونس، الآية: (١٨).

وعرفتَ أن من الكفار ـ خصوصاً النصارى منهم ـ من يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلاً في صومعة عن الناس، وهو مع هذا كافر، عدو الله، مخلَّد في النار، بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه، أو يذبح له، أو ينذر له . . .

تبيَّن لك كيف صِفَة الإسلام، الذي دعا إليه نبيك محمد ﷺ.

وتبيَّن لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل.

اللغة

(المعزل) الجانب، البعد.

الشرح

ولو نظرتَ إلى حال الكفار لرأيتَ طائفةً منهم ـ خصوصاً من النصارى ـ من يعبدون الله ليلاً ونهاراً، ويستقلون من الدنيا زهداً فيها، ويتصدقون بما ينالون منها، معتزلين عن الناس في صومعة، ومع كل هذه الخصال فالواحد فيهم كافر، عدو الله ـ تعالى ـ، مخلَّد في النار، لأنه اتخذ من دون الله إلهاً، كما قال ـ تعالى ـ على لسان عيسى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

حينئذٍ يظهر لك صِفَة الإسلام، الذي دعا إليه النبي ﷺ، واتضح أن كثيراً من الناس بمعزل عنه، لصرفهم العبادة لغير الله ـ تعالى ـ،

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

وتبيَّن لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ».

وتبين حينئذ معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» فقد استغرب الكفار قديماً عبادةَ إله واحد، واليوم يتكرر نفس الشيء.

الخلاصة

١ ـ الكفار أقرُّوا بتوحيد الربوبية، لكنهم اتخذوا وسائط للشفاعة والقربة لله، فكفروا بذلك.

٢ ـ العمل الصالح مهما بلغ لا ينفع صاحبه المشرك.

المناقشة

س ١: هل ينتفع الكافر بعمله الصالح؟

س٢: لماذا حكمنا بكفر الكافرين مع إقرارهم بالربوبية؟

الخـــاتمـــة

فالله الله يا إخواني! تمسّكوا بأصل دينكم.

وأوّلُه وآخرُه، وأسُّه ورأسُه: شهادة (ألا إله إلا الله).

واعرفوا معناها، وأحبُّوها، وأحبُّوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين.

واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وابغضوهم، وابغضوا من أحبَّهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفِّرهم، أو قال: ما علَيَّ منهم، أو قال: ما كلَّفني الله بهم.

من اللغة

(أُس) أصل وأساس.

من الشرح

يناشد المؤلف إخوانه في الله ـ تعالى ـ التمسكَ بأصل دينهم وأساسه: الشهادة التي توجب عليهم إخلاص الدين لله ـ تعالى ـ.

ويدعوهم إلى تَعَلُّمِ معناها، وحبها، وحب أهلها؛ فإن ذلك من الواجب عليهم.

فقد كذَب هذا على الله وافترى.

فقد كلَّفه الله - تعالى - بهم، وافترض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

فالله الله يا إخواني! تمسَّكوا بذلك، لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئاً.

اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله - تعالى - في كتابه، تبيِّن لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله، ﷺ، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسَّهم الضر تركوا السادة

ويدعوهم إلى الكفر بأعدائها، وبغضهم، ومعاداتهم، وبغض كل من والاهم، أو لم يكفِّرهم، أو لم يثبت وجوب الكفر بهم وبغضهم؛ فإن الله قد افترض ذلك فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1].

ثم يدعوهم إلى التمسك بكل ذلك، حتى يلقوا الله - تعالى - مؤمنين به موحِّدين.

ويدعو لهم بحسن الختام على الإسلام ودرجات الصالحين.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: (٢٢).

والمشايخ، فلم يدعوا أحداً منهم، ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنتَ ترى المشركين من أهل زماننا ـ وبعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة ـ إذا مسَّه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل: (معروف) أو (عبد القادر الجيلاني)، وأجَلّ من هؤلاء، مثل: (زيد بن الخطاب)، و (الزبير)، وأجَلّ من هؤلاء، مثل: (رسول الله ﷺ) فالله المستعان.

وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكَفَرة والمَرَدة، مثل: (شمسان) و (إدريس) ـ ويقال له: (الأشقر) ـ، و (يوسف)، وأمثالهم.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

اللغة:

(أَطَمّ) أدهى وأعظم.

الشرح:

يختم ـ رحمه الله ـ كلامه بما يوضح أن الكفار في زمانه أعظم شركاً من متقدمي المشركين، فإن الأقدمين كانوا يشركون في السرَّاء، ويوحِّدون في الضرَّاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾[1].

أما مشركو زماننا فإنهم يشركون في كل حال، في السرَّاء والضرَّاء، فإذا أصابهم الضرُّ قاموا ـ ومنهم من يُنسَب إلى العلم والزهد

---

(١) سورة سبأ، الآية: (١٣).

والحمد لله أولاً وآخراً.

وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين... آمين.

ـ فاستغاثوا بغير الله من الصالحين، كمعروف، وعبد القادر، أو من هو أفضل منهم كالزبير وزيد بن الخطاب، أو من هو أفضل منهم كالنبي ﷺ.

بل والأدهى أن منهم من يقوم فيستغيث بالطواغيت والكَفَرَة، مثل: شمسان، وإدريس ـ الذي يقال له: الأشقر ـ، ويوسف، وغيرهم.

فهل هناك ضلال أشد من هذا؟.

ثم ختم ـ رحمه الله ـ كلامه بحمد الله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ وآله وصحبه.

الرسالة الثالثة

شرح القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة.

وأن يجعلك مباركاً أينما كنت.

وأن يجعلك ممن إذا أُعطِيَ شكر، وإذا ابتُلِيَ صبر، وإذا أذنب استغفر.

فإن هذه الثلاثة عنوان السعادة.

اللغة

(يتولاك) يتخذك ولياً بالمحبة، والتوفيق، والسداد.

الشرح

بدأ - رحمه الله تعالى - بالدعاء وسؤال المولى - عز وجل - الكريم، رب العرش العظيم؛ أن يتولى القارىء لهذا الكتاب، في الدنيا والآخرة.

أما التولّي في الدنيا: فبالمحبة، والهداية والتسديد، والنصرة.

....

وأما التولّي في الآخرة: فإنه يكون بالرحمة والمغفرة، والوقاية من النيران ودخول جنة الرضوان.

ثم دعا له ـ كذلك ـ بالبركة أينما كان.. وبأن يجعله الله ـ تعالى ـ مستوفياً لمظاهر العبودية ومقاماتها، وهي ثلاث:

الأولى: شكر النعمة عند العطاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[١].

وكما قال: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[٢].

وكما في قوله: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٣].

وشُكر النعمة يكون بالقلب إقراراً واعترافاً وامتناناً، وباللسان تحدُّثاً بالنعمة وحمداً عليها، وبالجوارح عملاً بمرضاة المنعم ـ سبحانه ـ.

الثانية: الصبر على البلاء: والمصائب والمكروهات التي تنزل بالإنسان ابتلاءً واختباراً من الله، والواجب فيها الصبر، وهو حبس القلب عن التسخُّط والقنوط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عما ينافي الصبر ويناقضه.

وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[٤].

وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٦٧).
(٢) سورة الزمر، الآية: (٧).
(٣) سورة البقرة، الآية: (١٥٢).
(٤) سورة لقمان، الآية: (١٧).
(٥) سورة البقرة، الآية: (١٥٥).

....

الثالثة: الاستغفار عند الذنب: إذ كل بني آدم خطّاء، ولكن الواجب على الإنسان إذا وقع في معصية أن يسارع بالاستغفار والتوبة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1].

فهذه الأمور الثلاثة: (شكر النعمة، والصبر على البلاء، والاستغفار عند الذنب) من وُجِدت فيه كان من أهل السعادة ولا شك، بل إن السعادة مرتبطة بهذه الثلاث أكثر من غيرها، كلها فيها معاني التوحيد والانقياد والإذعان والإقبال على الله ـ تعالى ـ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥).

الفصل الأول
أصل الحنيفية مِلة إبراهيم ـ عليه السلام

اعلم ـ أرشدك الله لطاعته ـ أن الحنيفية مِلَّة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾.

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمَّى

اللغة

(الحنيفية) أصل الحنيف: هو المائل عن الشرك، المستقيم على التوحيد.

الشرح

بدأ الشيخ ـ رحمه الله ـ ببيان أصل الحنيفية، وهي ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وأساسها ما قاله ـ سبحانه وتعالى ـ داعياً الناس إلى اتباع إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٢٥).

عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة.

قال الإمام المصلح: فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار؛ عرفتَ أن أَهَمَّ ما عليك معرفةُ ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله ـ تعالى ـ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾(١).

فأصلها: إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة وإخلاصها له، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٢).

فالله ـ تعالى ـ ما خلق الإنسان إلا لعبادته، والعبادة لا يَصْدق عليها هذا الاسم إلا بالتوحيد، لأن من شروط صحتها إخلاصها لله ـ تعالى ـ، تماماً كما أن الصلاة لا يَصْدق عليها اسم الصلاة إلا بالطهارة، لأنها شرط في وجودها، وإلا فإن الشرط إذا انعدم انعدم المشروط، ودخول الشرك على العبادة يبطلها ويفسدها، كما أن طروء الحدث يفسد الطهارة ويبطلها.

❀ ❀ ❀

(أحبط) أبطل ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما هو أقل من الشرك من المعاصي وغيرها.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٦١).

(٢) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

وذلك بمعرفة أربع قواعد، ذكرها الله ـ تعالى ـ في كتابه.

الشرح

فإذا قد تبيَّن أن الشرك يفسد العبادة إذا خالطها، فيضيع أجرها، وتُرَدُّ على صاحبها، ويحبط العمل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١).

واستحق الواقعُ في هذا الشرك، والفاعلُ له؛ استحقَّ الخلود في النار، كما قال ـ تعالى ـ في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾(٢).

وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾(٣).

حينئذٍ يتضح أن أهم ما يجب على العبد معرفتُه هو:

كيف يوحّد الله ـ تعالى ـ؟، وكيف يجتنب الشرك به؟

لعله أن يفلت من هذه الشبكة الشيطانية، التي وضعها الشيطان ليضل الناس عن ربهم، ويوقعهم في الإشراك به، وهو ما لا يغفره الله ـ تعالى ـ، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٤).

ولا يتم ذلك إلا بمعرفة القواعد الأربع الآتية، والتي ذكرها الله في كتابه.

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٦٥).
(٢) سورة التغابن، الآية: (١٠).
(٣) سورة المائدة، الآية: (٧٢).
(٤) سورة النساء، الآية: (١١٦).

الخلاصة

١ ـ أصل مِلَّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ: إخلاصُ العبادة لله ـ تعالى ـ، وعدم الإشراك به.

٢ ـ الشرك يفسد العبادة ويحبط العمل، وصاحبه مخلَّد في النار.

٣ ـ أهم ما يجب على العبد معرفته: معرفةُ التوحيد للعمل به، ومعرفة الشرك لاجتنابه.

المناقشة

س ١: ما أصل مِلَّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ؟ وما الدليل؟

س ٢: وضِّح أثَر الشرك على العبادة، وبماذا يشبه؟ مع التمثيل.

س ٣: ما أهم ما يجب على العبد تعلُّمه ومعرفته؟

الفصل الثاني
القاعدة الأولى

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرُّون بأن الله ـ تعالى ـ هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن

اللغة

(مقرُّون) معترفون (المدبِّر) المصرِّف ﴿تَتَّقُونَ﴾ تجعلون بينكم وبين ما تخافونه وقاية وحاجزاً.

الشرح

أولَى هذه القواعد: العلم بأن المشركين على عهد الرسول ﷺ من كفار مكة وغيرهم، كانوا مقرِّين بأمر الربوبية، وهي انفراد الله ـ تعالى ـ بالخلق والتدبير والتصرف في الكون، لم يشركوا معه في ذلك.

والأدلة على ذلك:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ

يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ

وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾.

ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾(١).

وكذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٢).

والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً، وكلها توضِّح أن المشركين أقرُّوا لله ـ تعالى ـ بالانفراد بالخلق والرزق والتصريف والتدبير، لكنهم أشركوا في العبادة، فلم ينفعهم ذلك الإقرار، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرِّم دماءهم وأموالهم، بل قاتلهم النبي ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم بذلك، ولم يحكم عليهم بالإسلام لمجرد إقرارهم بالربوبية، بل جعل قيامهم بتوحيد الألوهية إقراراً وعملاً شرطاً للحكم لهم بالإسلام، والكفُّ عنهم، وحقن دمائهم.

الفوائد

١ ـ إن المشركين على عهد الرسول ﷺ كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية.

٢ ـ الإقرار بالربوبية لا يكفي لإثبات حكم الإسلام للشخص.

المناقشة

س ١: ما موقف المشركين في عهد الرسول ﷺ من توحيد

---

(١) سورة يونس، الآية: (٣١).

(٢) سورة لقمان، الآية: (٢٥).

....

الربوبية؟ هات ثلاث آيات تُدَلِّل بها على ما تقول.

س ٢: ما موقف الرسول ﷺ من هؤلاء المشركين في عهده؟

س ٣: هل الإقرار بالربوبية يكفي لثبوت حكم الإسلام؟ دَلِّل على ما تقول.

الفصــل الثالــث
القاعــدة الثانيــة

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلا لطلب القُربة والشفاعة.

فدليل القُربة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

ودليل الشفاعة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

﴿زُلْفَىٰٓ﴾ قربى ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ جمع شفيع، وهو من يتوسط لشخص عند آخر لجلب نفع أو دفع ضر.

وهؤلاء الكفار احتجُّوا لدعائهم وعبادتهم لآلهةً أخرى من دون الله؛ بأنهم ما دعوهم ولا توجَّهوا إليهم إلا لسببين:

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مُثبتة.

فالشفاعة المنفية: ما كانت تُطلب من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ

الأول: أن يقربهم هؤلاء المعبودون إلى الله ـ تعالى ـ.

والثاني: أن يشفعوا لهم عند الله.

والدليل على الأول قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ...﴾[1].

أي: إنما دعوناهم وعبدناهم كي يكونوا سبباً في تقرُّبنا إلى الله ـ تعالى ـ، ونيل المنزلة عنده.

والدليل على الثاني قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[2].

أي: إنما عبدناهم ليشفعوا لنا عند الله ـ تعالى ـ في جلب النفع، ودفع الضر.

ثم بيَّن الشيخ أن الشفاعة نوعان في كتاب الله ـ تعالى ـ:

الأول: شفاعة نفاها القرآن، وأنكرها، ومنع حصولها.

والنوع الثاني: شفاعة مُثبتة، أثبت القرآن وقوعها يوم القيامة بالدليل الواضح.

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٢) سورة يونس، الآية: (١٨).

أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، والشافع مُكرَم بالشفاعة، والمشفوع له: من رضي الله قوله وعملَه بعد الإذن، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

﴿خُلَّةٌ﴾ محبة.

أما الشفاعة التي نفاها الله ـ تعالى ـ في كتابه، حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[1].

فهي: الشفاعة التي يُطلب فيها من غير الله شيء لا يقدر عليه إلا الله، كمن يطلب من غير الله أن يُدخله الجنة ـ مثلاً ـ، أو ينجِّيه من النار.

و ـ كذلك ـ يدخل في الشفاعة المنفية: الشفاعة لمن لم يأذن فيه الله كالكفار، أو الشفاعة ممن لم يأذن له الله.

وأما الشفاعة المثبتة: فهي التي تطلب من الله، وتكون بإذنه فالذي يشفع يُكرمه الله ـ تعالى ـ بالشفاعة، والمشفوع له هو الذي يرضى الله قولَه وعملَه، بعد إذنه ـ تعالى ـ بالشفاعة، كما قال ـ تعالى ـ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2].

والشفاعة الحق المثبتة؛ لا تكون إلا بعد أن يتوافر شرطان:

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٥٥).

....

الأول: الإذن للشافع أن يشفع، كما في الآية السابقة.

الثاني: الرضى عن المشفوع فيه، وذلك كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[1].

وبهذا تكون الشفاعة كلها بإذن الله ـ تعالى ـ وبيده، وبأمره، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[2].

التلخيص

١ ـ الكفار عبدوا غير الله ـ تعالى ـ طلباً للقُربة والشفاعة عند الله.

٢ ـ النية الطيبة لا تكفي إلا مع اتباع السنة.

٣ ـ الشفاعة نوعان: مُثبتة، ومنفية.

٤ ـ شروط الشفاعة: الإذن للشافع، والرضى عن المشفوع فيه.

المناقشة

س ١: ما الذي حمل الكفار على عبادة غير الله؟ دَلِّل على ما تقول.

س ٢: ما هي أنواع الشفاعة؟ اذكر دليلاً واحداً لكل نوع.

س ٣: ما هي شروط الشفاعة المُثبتة؟

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٤٤).

الفصـــل الرابـــع
القاعـــدة الثالثـــة

القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر في أناس متفرّقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار[١]، ومنهم من يعبد الشمس والقمر.

وقاتلهم رسول الله، ﷺ، ولم يفرّق بينهم.

والدليل قوله ـ تعالى ـ ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

﴿فِتْنَةٌ﴾ الفتنة هي الشرك (آيات) علامات ودلائل.

إن النبي ﷺ قد بُعِثَ إلى أقوام متفرّقين في عبادتهم، متنوّعين في أديانهم، منهم من يعبد الملائكة، أو الأنبياء والصالحين، أو

(١) تنبيه: لم يعبد الحجر والشجر لذاتهما أحد من البشر وإنما عبدوا الشجر والحجر لعلاقتهما بالصالحين.

ودليل الشمس والقمر قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾...﴾.

ودليل الملائكة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾.

ودليل الأنبياء قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

الأشجار والأحجار، أو الشمس والقمر، فشرع الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ أن يقاتلهم، بل أمره بذلك، دونما تفريق بينهم، أمره بقتالهم جميعاً حتى يكون الدين لله، وحتى يظهر الإسلام على ما عداه من المِلَل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[1].

فقاتلهم ﷺ كلّهم، حتى أنزلهم على حكم الإسلام، وشرائع الإسلام.

ومما يدل على وجود من يعبد الشمس والقمر، ونهي الله لهم عن ذلك؛ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٣٩).
(٢) سورة فصلت، الآية: (٣٧).

ودليل الصالحين قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

ودليل الأحجار والأشجار قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾.

اللغـة:

﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون «حدثاء عهد» قريبو زمن «سدرة» شجرة سدر، وهو النبق «ينوطون» يعلقون.

الشرح:

ومما يدل على وجود من كان يعبد الملائكة، ونهي الله لهم عن ذلك، قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾(١).

ومما يوضح وجود عُبّاد الأنبياء، وإبطال دعوتهم تلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ . . .﴾(٢).

فتبرأ ـ عليه السلام ـ من عبادتهم إياه، وحكَم ببطلانها.

ومما يدل على وجود عبادة الصالحين، والحكم ببطلانها، قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(٣).

قال بعض المفسرين: «كان طائفة من العرب يعبدون ناساً من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٨٠).
(٢) سورة المائدة، الآية: (١١٦).
(٣) سورة الإسراء، الآية: (٥٧).

وحديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...» الحديث.

الجن، فأسلم أولئك الجن، ولا يدري بهم من عبدوهم، فبيَّن الله لهم أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم أنفسُهم يتقرَّبون إلى الله ـ تعالى ـ، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه».

ومما يدل على وجود عبادة الأحجار قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[١].

وهي الآلهة التي كان مشركو مكة يعبدونها، أصناماً صنعوها وعبدوها من دون الله.

ومما يدل على وجود عبادة الأشجار حديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ، لما خرجوا مع النبي ﷺ إلى حنين، وكانوا حديثي عهد بكفر، لم يسلموا إلا من قريب، فرأوا سدرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط كان المشركون يتبرَّكون بها، ويعلِّقون بها أسلحتهم، فطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط مثلها، فكَبَّر وغضب، وأغلظ القول لهم، ونهاهم عن ذلك، وقال لهم: **«قُلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قال أصحاب موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون»**[٢].

---

(١) سورة النجم، الآية: (١٩، ٢٠).

(٢) أخرجه أحمد: (٥/٢١٨)، وعبد الرزاق: (٢٠٧٦٣)، والطيالسي: (١٣٤٦)، والحميدي: (٨٤٨)، والترمذي: (٢١٨٠) وقال: «حسن صحيح»، وغيرهم. من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

....

فدَلَّ الحديث على وجود عبادة من المشركين للأشجار.

كما دلَّ ـ أيضاً ـ أن الاعتقاد في الأشجار كفر.

ودَلَّ على أن فضلاء الناس وعلماءهم قد يقعون في الشرك وهم لا يشعرون.

ودَلَّ على أن المرء إذا قال كلمة الكفر غير عالم بكونها كفراً، ولا قاصداً لذلك؛ لا يكفُر حتى يعلَم.

فأبطل الله ـ تعالى ـ كل أنواع العبادة هذه، وأمر رسوله ﷺ بقتال كلِّ أولئك الناس، دون تفريق بينهم.

فوائد الدرس

١ ـ بُعِث النبي ﷺ إلى أناس متفرقين، مِلَلُهم شتى.

٢ ـ قاتل النبي ﷺ كلَّ هؤلاء الناس، دون تفريق بينهم.

٣ ـ لا يكفر المسلم بكلمة الكفر إذا قالها غير عالم ولا متعمد.

٤ ـ الحق قد يخفى على أكابر الناس، فضلاً عن العوام.

المناقشة

س ١: اذكر بعضاً من أنواع العبادة التي كانت موجودة عند بعثَتِهِ ﷺ، مع ذلك دليل واحد لكل نوع منها.

س ٢: هل فرَّق النبي ﷺ بين أصحاب هذه المِلَل؟

س ٣: ماذا تستفيد من حديث الباب المذكور.

الفصل الخامس
القاعدة الرابعة

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأوَّلين، لأن الأوَّلين يشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة، والدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

اللغـة:

(أغلظ) أعظم وأشد (الرخاء) اليسر وحال النعمة (الشدة) العسر وحال نزول البلاء.

الشـرح:

هذه هي القاعدة الرابعة والأخيرة، وهي: أن المشركين في زماننا، الذي يصرفون شيئاً من العبادة لغير الله ـ تعالى ـ كالصالحين من المقبورين وغيرهم، هؤلاء أعظم شركاً وأغلظ كفراً من المشركين الأوَّلين، وذلك لأن المشركين الأوَّلين كانوا يشركون في حال الرخاء فقط، وأما في حال الشدة فقد كانوا يخلصون الدعاء لله، ويعلمون أنه لا ينجيهم غيره، وأن آلهتهم لن تغني عنهم شيئاً.

تمَّت... وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلَّم.

ومما يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

فدلَّت الآيات على أنهم كانوا يشركون في السرَّاء فقط، وأما في الضرَّاء فلا.

أما مشركو زماننا فإنهم يشركون في كلتا الحالتين، إن أصابتهم نعمة وسرَّاء هرعوا إلى القبور يقدمون لها القرابين ويذبحون عندها، ويقدمون الشكر للمقبورين فيها، ويسبِّحون بحمدهم.

وإن نزلت بهم مصيبة هرعوا إليها يستغيثون بهم، ويدعونهم، وينذرون لهم كذا وكذا إذا ارتفعت عنهم المصيبة، كما نراه جليًّا عند الأضرحة المعبودة من دون الله، كضريح (الحسين)، و (السيدة زينب)، و (عبد القادر الجيلاني)، و(السيد البدوي) وغيرهم.

فتبيَّن بذلك: أن شرك هؤلاء المتأخِّرين أعظم من شرك الأوَّلين، لأنه شرك متواصل في كل حال.

وبهذا يتم المقصود من هذه الرسالة.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: (٦٥).

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: (٦٣، ٦٤).